# الدليل الوحيد الممكن
## لإثبات وجود الله

ترجمة وتقديم: د. منال محمد خليف

# إيمانويل كانط




mohamed khatab
mohamed khatab

mohamed khatab



mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

# الدليل الوحيد الممكن لإثبات وجود الله

تأليف

إيمانويل كانط

ترجمة وتقديم

د. منال محمد خليفة

الطبعة الأولى: 2020

تصميم الغلاف: كارل بتشفارش



للنشر والتوزيع /ألمانيا ـ ميونخ

ألمانيا : 004915771203247

بغداد : 009647811898461

Email: Abkallu91@gmail.com

إيمانويل كانط

# الدليل الوحيد الممكن لإثبات وجود اللّٰه

ترجمة وتقديم

د. منال محمد خليف

أبكالو 2020

# المحتوى

# مقدمة المترجم

توجهت الفلسفة منذ بداياتها الأولى إلى البحث عن أصل العالم وحقيقة الكائن(*) العظيم الأول "الله"، أو الصانع أو المحرك الأول، وانصبت جهود الفلاسفة الماديين منهم والعقلانيين على إثبات وجود الله، وقدموا أدلةً عديدة على ذلك، متحدّين الاعتقاد السائد في المجتمع الفلسفي بعدم إمكانية تقديم أدلة تثبت وجود الله أو عدم وجوده، ونجم هذا الاعتقاد الأخير من قبل **إيمانويل كانط**،(**) في كتابه الذي نحن بصدد تقديمه للقراء، والذي أثار ظهوره انتقاد العديد من الفلاسفة سواء المعاصرين له أو اللاحقين؛ نظراً لأنَّ الهدف من الكتاب كان نقد الأدلة على وجود الكائن الأسمى، والتي قدمها **فولف Wolff** وباومغارتن **Baumgarten**، وبشكل خاص **كروسيوس CRUSIUS**. وغيرهم ممن كان له أيضاً تأثيراً على آراء

---

* أثرنا ترجمة Being بمعنى الكائن أفضل من لفظة موجود؛ لعدة أسباب ومنها أنَّ الله واجد خالق ولا يجوز أن نطلق عليه لفظة موجود على وزن مفعول، والموجود يستلزم موجداً أعلى وهذا لا يجوز على الله الواجد لكل شيء، لذلك أثرنا التعبير عن وجود الله تعالى بلفظة الكائن، من الكينونة. (المترجم)

** حول سيرة حياة كانط: أنظر الملحق في نهاية الكتاب.

**كانط** المتعلقة بالعلاقة بين الطبيعة والله، وطبيعة المادة. والذي أثّر على نحوٍ قوي في بلورة هذه الآراء كان صدور كتابين لـ **موبيرتويس Maupertuis**: "مقال علم الكونيات"(1751) و"البحث الفلسفي"(1758).

ويناقش الكتاب الراهن الأدلة التي قدمها الفلاسفة لإثبات وجود الله، عبر ثلاثة أقسام، توضح رفض **كانط** للأدلة النظرية على وجود الله في أنماطها الثلاثة: وهي الدليل الأنطولوجي أو (الوجودي) القائم على فكرة الكمال، والدليل الكوني (الكوزمولوجي) القائم على الإمكان، وبيّن **كانط** أنَّ هذا الدليل هو الدليل الأنطولوجي ذاته، وكذلك الدليل الفيزيائي اللاهوتي المستند على شواهد من نظام الكون، فانتهى إلى استحالة وجود دليل نظري صحيح على إثبات وجود الله. وأوضح أنَّ النظام الذي يلاحظه الإنسان في الأشياء الممكنة لا يمكن أن يدفعه إلا إلى استنتاج وجود شيء منظم ممكن فحسب وليس إلهاً. ومن هنا فإنَّ العودة إلى الدليل الكوزمولوجي هي فقط لسد الفجوة بين الممكن والواجب، أو بين الخلق والخالق أو الله الذي ليس كمثله شيء. وبما أنَّ الدليل الأنطولوجي باطل، فكذلك الكوزمولوجي، والفيزيائي اللاهوتي والذي يعيدنا من جديد إلى الدليل الأنطولوجي.

وحاول **كانط** في القسم الأول من الكتاب أن يفنّد الدليل الأنطولوجي عبر حجة تعريف المصطلح، لتوضيح أنَّ الكثير من حالات سوء الفهم تنجم مع الأسف عن التعريفات المغلوطة

للمصطلحات، لاسيما تلك المستندة إلى التعريف الصوري، الذي يحدد العبارة من خلال العلاقة بين الموضوع والمحمول، و"لكن الوجود ليس محمولاً أو تحديداً لشيء"؛ لأنَّنا عندما نفكر بشيء (مثل البطل الخرافي) "أياً كانت المحمولات التي نفكر به من خلالها ومهما كان عددها، فنحن لا نضيف شيئاً على الإطلاق إلى الشيء عندما نُعلن وجوده، وإلا فلن يوجد كما هو، بل سيوجد أكثر مما فكرنا به في المصطلح". وبالتالي لا يمكن تقديم توضيح للمصطلحات بالمعنى الصوري، والوجود ليس محمولاً لشيء على الإطلاق. وبذلك لا يمكن قبول آراء **فولف** وتعريفه للوجود، على أنَّه إكمال للإمكان. فإذا لم نكن نعرف برأي **كانط** "مسبقاً حقاً ما يمكن التفكير فيه بشأن إمكان شيء، فلا يتوجب علينا أن نتعلمه من تعريف **فولف**". وكذلك ما قدمه **بومغارتن** حول تصور التحديد الداخلي الشامل، واصراره على أنَّه "يوجد في الوجود أكثر مما هو في الإمكان الخالص؛ لأنَّه يكمّل ما يُترك غير محدد بالمحمولات الملازمة للماهية **Essence** ".(*)

---

◆ الماهية هي العنصر الأساسي أو الأولي في وجود الشيء، وهو طبيعة الشيء، والذي لا يمكن من دونه أن يكون ما هو، ولا يمكن أن يفقد الشيء ماهيته من دون أن يكف عن أن يكون موجوداً، والطبيعة الأساسية للنوع الطبيعي، مثل الماء أو الذهب، هي تلك الخاصية التي لا يمكن من دونها أن نقدم مثالاً عن النوع. (المترجم) وللمزيد أنظر: **The Oxford Dictionary of Philosophy**, (Blackburn, Simon (Ed), Oxford University Press, Oxford New York, (1994.p.125.

ومن هنا ناقش كانط الأدلة التي تركّز على مبدأ عدم التناقض والهوية والثالث المرفوع والغائية في إثبات وجود الله، حيث يقرر مبدأ عدم التناقض استحالة الجمع بين النقيضين، العدم والوجود، فالوجود يحمل كلّ المحمولات التي توجد في زمان ومكان، وهما المقولتان اللتان استند إليهما كانط، في تأكيد مقدرة الإنسان على التفكير، فكلّ ما في الوجود ينظم بحسبهما فقط، وما لا يوجد في زمان ومكان يكون عدماً ولا يمكن التفكير فيه، فما أفترض أنّه يُعتبر "عدمٌ بإطلاق ومستحيل يجب أن يستبعد كلّ شيء يمكن التفكير به"، فالعدم لا يتضمن أيّ محمولات يمكن أن تكون محوراً للتفكير بها، ومن المستحيل أن يناقض الشيء ذاته، وعند "حذف قانون التناقض، يمكن التفكير في الأساس المنطقي المطلق لكلّ ذلك، ويختفي كلّ إمكان، ولا يُترك شيئاً للتفكير فيه". وبناءً على ذلك، قد يكون هناك شيء ضروري(*) بإطلاق إما "عندما يكون متناقض ذاتياً؛ أو عندما يستبعد عدم وجوده العنصر المادي وجميع معطيات كلّ ما يمكن التفكير به. ويترتب على ذلك إما أنّ تصور الوجود الضروري بإطلاق هو تصور كاذب، أو أنّ عدم وجود شيء هو في الوقت ذاته نفيٌ لجميع معطيات كلّ ما يمكن التفكير



---

(*) الضروري Necessary، أو اللازم وجوده تطلق فحسب على الله، وهو الذي لا يتصور عدم وجوده، وتفتقر له جميع الموجودات، وقد آثرنا لفظة ضروري على لفظة واجب التي استخدمها ابن سينا وغيره ممن اشتقوا المفردة من كلام المتكلمين المعتزلة ونحوهم، فالله واجب الوجود لذاته، وقائم بذاته، غني عن الخلق اجمعين، أبدي أزلي سرمدي.(المترجم)

به". ولكن هذا التصور، ليس خيالياً بل شيئاً حقيقياً، يتضح عندما نأخذ بالاعتبار "وجود كائن ضروري بإطلاق، وبسيط، ويحتوي على حقيقة أسمى، وهذا الكائن هو الأكثر واقعية بين جميع الكائنات الممكنة؛ والتي لا توجد إلا من خلاله وحده، وهو الله. ولا يمكن أن يحتوي الله على أيّ تضاد واقعي أو تعارض إيجابي بين تحديداته؛ لأنّ النتيجة ستكون ناقصة أو مفتقرة، وهذا يناقض حقيقته الأسمى". وبناءً على ذلك تركز الحجة الداعمة لإثبات وجود الله على تنزيه الله، وهو العقل كلّه؛ أبدي في ديمومته؛ و"غير قابل للتغيير من حيث تكوينه، وهو كاملٌ فيما يتعلق بكلّ ما هو ممكن وواقعي. إنّه الله. ولا يمكن لأيّ من البراهين لاسيما تلك التي ترتكز على مبدأ الغائية، أن تجعل طبيعة هذه الضرورة مفهومة، استناداً إلى فكرة أنّ وجود المعلولات يفترض وجود العلة بالضرورة.

أما القسم الثاني من الكتاب فقد تناول الفائدة الشاملة للدليل الأنطولوجي، والاستدلال على وجود الله لاحقاً من الوحدة المدركة في ماهيات الأشياء، من خلال الاحتكام إلى خصائص المكان. و"ليس هناك أعظم من نموذج الهندسة الرياضية، التي تكشف عن العلاقات المتناغمة التي تلازم خصائص المكان عموماً، وتأتي في الدرجة الثانية العلوم الفيزيائية"، حيث يتم الكشف عن هذه الوحدة في المتعدد من خلال الإشارة إلى ما هو ضروري في قوانين الحركة والخصائص الكلية للمادة، ويجب أن يعتمد موضوع هذه القوانين، على كائن واحد مشترك أصلي، وهو أساس النظام والانسجام. ولكن لا يمكن لأيّ من

هذه العلوم أن تساعد في التدليل على وجود الله، وكلّ الأشياء تعتمد في وجودها على الله.

واهتم **كانط** أيضاً بإظهار سخافة إسناد التناغم ذاته إلى حكمة الله كأساس خاص به. وبحقيقة أنَّ الأشياء، التي ترتبط بتناغم مع بعضها تُنسب إلى اختيار حكيم من الله الذي خلقها بحسب ذلك التناغم. ويناقش أيضاً تصنيف الموجودات وفقاً لما هو ضروري وما هو مشروط، وكذلك تبعية الأشياء واعتمادها على الله إما من خلال التدخل في نظام الطبيعة أو بشكلٍ مستقل عن ذلك النظام، ويتم تصنيفها حسب هذا الوضع، حيث "يُصنف شيء ما تحت نظام الطبيعة إذا أسس وجوده بشكلٍ كافٍ على قوى الطبيعة. بشرط أنَّ تكون قوة الطبيعة العلة الفاعلة للشيء، وأنَّ يكون الأسلوب الذي توجه به قوة الطبيعة إلى إنتاج هذا المعلول مستنداً بشكل كافٍ إلى سيطرة قوانين السببية الطبيعية. وتُدعى هذه الأحداث بالطبيعية. وما لا يُصنف تحت هذا الأساس يكون شيئاً خارقاً للطبيعة. وهذا إما لأنَّ العلة الفعالة المباشرة خارجة عن الطبيعة، أيّ أن القوة الإلهية تحدثها مباشرة، أو لأنَّ الأسلوب الذي توجه من خلاله قوى الطبيعة لإحداث التأثير لا يخضع بحد ذاته لسيطرة الطبيعة".

ويحاول **كانط** بعد ذلك أن يفند الدليل الفيزيائي -اللاهوتي' والذي يعتمد على المنهجين الفيزيائي واللاهوتي، ويشير إلى الطريقة التي تقود من تأمل الطبيعة إلى معرفة الله. ولكنه يؤكد على أنَّ اتباع هذا المنهج له مزايا وعيوب، ويظهر إلى أيّ مدى يتفوق هذا الدليل

على غيره من الأدلة، صحيح أنّه ينطلق من مبدأ الغائية ومبني على معرفة العلاقة بين الله والعالم، ومبدأ النظام والانسجام في الكون وترابط الأحداث وتسلسلها، وعودتها إلى علة أولى، غير أنّه لا يبرهن على "وجود خالق للمادة ذاتها، وعلى أصل الأجزاء المكونة للكون". ولابدّ أن "يفضح هذا العيب الكبير كلّ أولئك المنتفعين بحد ذاتهم من هذا المنهج الوحيد بالخطأ المعروف باسم "الإلحاد المتكرر". ووفقاً لهذا النوع من الإلحاد، يُنظر إلى الله بصرامة على أنّه مهندساً للعالم وليس خالقاً له: يأمر ويشكل المادة، لكنه لا ينتجها أو يخلقها. ولا يمكن لشيءٍ أن يُلحق الضرر بفكرة الخالق(*) الإلهي للكون، أكثر من الرغبة في أن تُنسب إلى الصدفة العمياء قاعدةً عظيمة ومثمرة للملاءمة والفائدة والتناغم". كما أنَّ نظام الطبيعة، الذي يُنظر إليه على أنّه مشروطاً وناجماً عن اختيار الله، ليس دليلاً على أنَّ الأشياء في الطبيعة، المرتبطة على نطاقٍ واسع في هذا النظام، تدينُ أيضاً بوجودها لهذا الخالق؛ لأنَّ المركب وحده هو الذي يفترض خطةً ذكية. وبالتالي يفتقر الدليل الفيزيائي اللاهوتي للقدرة على إثبات الكائن العظيم.

---

(*) الخالق Author، أو المؤلف والموجد والمبدع، وقد أثرنا ترجمتها إلى لفظة الخالق لأنّ لا يجوز إطلاقها إلا عليه سبحانه وتعالى، وهو اسم من أسمائه الحسنى وهو المبدع للخلق المخترع له على غير مثال سابق، خلق الكون من عدم مطلق، في قوله تعالى: "اللهُ خالقُ كلّ شيء وهو على كلّ شيء وكيل(62)" (سورة الزمر). [المترجم]

ويصنف كانط في القسم الثالث الأدلة على وجود الله حسب أهميتها، وحسب تدرّجها من الممكن إلى الكائن الضروري، كأساس أو كمعلول، أو تمضي الحجج من الوجود الذي نختبره بحساسيتنا وفهمنا إلى علة أولى مستقلة، هي الله. وتحاول تلك الحجج اشتقاق خصائص الكائن الإلهي. وكما أظهر كانط في البداية عند حديثه عن الدليل الأنطولوجي أنّ الوجود ليس محمولاً على الإطلاق، وليس محمولاً للكمال أيضاً. يعود في هذا القسم للتأكيد على ذلك، ويظهر أنّه "ليس من الحكمة الاستدلال على الممكن من تعريفٍ، يحتوي على مزيج تعسفي من محمولات مختلفة تُستخدم لتشكّل تصور لشيءٍ ممكن. لذلك يستحيل البرهان، ولا يمكن أن نتخذ من التصور التجريبي أساساً لإثبات وجود الله، أو أن نستدل على هذا الوجود الكامل من وجود الكائن الناقص الفاني.

وهذا ما أكد عليه أيضاً الدليل الكوزمولوجي حيث يُستدل على وجود الله وخصائصه، من التصورات التجريبية لأشياء موجودة، ومن خصائص الموجودات وتنظيمها المشروط. وعلى الرغم من تفوق هذا الدليل، لكنه غير قادر على تحقيق اليقين أو الدقة الرياضية. ولن يثبت أبداً أكثر من وجود خالق عظيم غير مفهوم للكلية المتمثلة بحد ذاتها أمام حواسنا. ولن يكن قادراً أبداً على إثبات وجود أكمل الكائنات الممكنة كلّها". ورغم صعوبة تحديد أيّ الدليلين الأنطولوجي أو الكوزمولوجي هو الأفضل، أو المتفوق، لكن يمكن القول: "إذا كانت الدقة المنطقية والكمال هما القضية، فإنَّ الدليل الأنطولوجي هو

المتفوق. وإذا كان المرء يبحث عن إمكانية الوصول إلى الحس المشترك السليم، وحيوية الانطباع، والجمال والإقناع فيما يتعلق بالدوافع الأخلاقية للإنسان، فيجب عندئذٍ منح الميزة إلى الدليل الكوزمولوجي"، كونه يلهم الإنسان مشاعر نبيلة، مفعمة بالأعمال السامية، ويعطي وضوحاً ومنفعةً أكبر.

ورغم ذلك لا تعطي أيٌّ من هذه الأدلة المقدمة الدقة المطلوبة لإثبات وجود الله. لذلك ينبغي التخلي عن البحث عن الدليل على وجود الله ضمن هذه الأدلة، بسبب محدودية العقل البشري وعدم قدرته على إدراك واجب الوجود، فمهما كان نوع تفكيرنا وفهمنا، فسيصعد بنا من الجزئيات إلى الكليات أو العكس، وسيضعنا ضمن دائرة مفرغة، أمام تصور هذا الكائن العظيم، والذي يستحيل البرهنة على وجوده أو عدم وجوده؛ لأنَّ هذه القضية في نظر **كانط** تخرج عن دائرة التجربة الممكنة، وبالتالي تتجاوز حدود المعرفة البشرية، وهذا ما أكد عليه لاحقاً في كتابه العقل المحض، ولكنه عاد في كتابه "نقد العقل العملي" ليقرر وجود الله بوصفه مسلمة أخلاقية ضرورية. فإذا كان من المستحيل على العقل النظري البرهنة على وجود الله بطريقة عقلية نظرية، فإنَّ هذا لا يثبت إمكان البرهان على عدم وجوده: فالاستحالة قائمة في الحالتين: إثبات وجود الله عن طريق العقل النظري، وإثبات عدم وجوده بالعقل النظري.

ولا يسعنا في النهاية سوى أن نلفت انتباه القارئ إلى بعض الملاحظات المتعلقة بترجمتنا لهذا الكتاب المعنون بـ "**الدليل الوحيد الممكن لإثبات وجود الله**" والدافع إلى ترجمته. وهنا ننوه إلى أنَّ هذا هو العنوان في الطبعة الأصلية الألمانية، وآثرنا أن نعتمد على ترجمة العنوان عن الألمانية، نظراً لمدلوله الأوضح، في حين عمدت الترجمة الإنكليزية إلى منحه عنوان "**الحجة الوحيدة الممكنة الداعمة لإثبات وجود الله**"، وكثيراً ما كنا نعتمد في ترجمة العديد من الكلمات والمصطلحات على اللغة الأصلية، والسبب في ذلك يعود إلى أنَّ المفردة تحمل معنى مختلفاً في الألمانية عنه في الإنكليزية، وهذا ما قادنا إلى فهم النص على نحوٍ أفضل.

أما عن تاريخ صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب، رغم أنَّه يشير إلى عام 1763، غير أنَّ أفكار **كانط** المتنوعة والغنية في هذا الكتاب توحي إلى أنَّها تعود إلى ما قبل ذلك بكثير، وأنَّها نتيجة تأملات طويلة، وجدت النور لتصدر في طبعة عام 1763، ويظهر ذلك من حديث **كانط** ذاته عن ذلك في تصدير هذا الكتاب، حيث يقول في مقدمة هذا الكتاب: "الملاحظات التي أقدمها هنا هي ثمار تأمل طويل. ولكن بسبب مجموعة متنوعة من الالتزامات منعتني من تكريس الوقت اللازم لها، فإنَّ الأسلوب الذي يتم به عرض هذه الملاحظات يُظهر العلامات المميزة لشيء غير مكتمل". وهذا يؤكد على أنَّ موضوعات وأفكار الكتاب قد تمت بالفعل إما بشكلٍ كامل أو تطورت بالكامل في أعمال سابقة.

إذ يحتوي كتاب "التاريخ الطبيعي العام"(1755) على تصريحٍ مفصل لنظرية الكون الكانطية التي تتجسد في شكل مختصر، في التأمل السابع من هذا كتاب. ويتطرق كتاب "التاريخ الطبيعي العام" إلى العلاقة بين الشرح العلمي والإيمان الديني وعدم التوافق المزعوم بينهما، وكذلك طبيعة اعتماد العالم على الله. ويحتوي أيضاً كتاب "التوضيح الجديد" (1755) على تصريحٍ موجز لنقد برهان **ديكارت Descartes** الأنطولوجي على وجود الله وتصريح موجز للدليل الأصلي لوجود الله من إمكان الأشياء بشكلٍ عام، والتي تشكل قلب الكتاب الراهن.

ولا أريد أن أطيل على القارئ في هذه المقدمة التي نوهتُ فيها إلى أهم الأفكار التي يقدمها هذا الكتاب، عبر تفنيد **كانط** للأدلة على وجوده، ولكن أود أن أشير إلى صعوبة فهم مقاصده ومضامين فلسفته، الأمر الذي جعل ترجمة كتبه من أصعب الترجمات على الإطلاق ضمن نطاق الفلسفة الحديثة، ومن هنا أتوجه بالشكر إلى كلّ من سبقني في ترجمة أفكار **كانط** وآراءه في العديد من كتبه الأخرى، والتي كان لها الفضل في فهمي للكثير مما عناه **كانط**، وأشكر الأستاذ **محمد رسول** الذي نصحني بهذه الترجمة، وكان من القراء المتعطشين لقراءة **كانط** وفلسفته اللاهوتية، ولولا ذلك لما كان هذا الكتاب قد تحول إلى لغة الضاد. وأودّ أن ألفت انتباه القارئ إلى أنّ كلّ مترجم قد تخونه الترجمة في كثيرٍ من الأحيان، لذلك عمدتُ إلى المحافظة على معاني المصطلحات باللغة الألمانية، والتي وردت في حاشية

الصفحات، للعودة إليها، وأرفقت الكتاب بصفحة هوامش تتضمن ملاحظات الترجمة الإنكليزية، وحافظتُ عليها كما وردت في الكتاب الأصلي، مع ترجمة أسماء المراجع والمصادر، وتوثيق المصادر ضمن فهرس المصادر، وكان لابدّ من ملحقٍ يشرح سيرة حياة **كانط**، والتي تتضمن الكثير من التفاصيل التي أغفلتها الترجمات الأخرى لكتبه، وينبغي أن أنوه للأمانة العلمية إلى أنَّ هذا الكتاب وجد ضمن مجلدٍ ضخم يحمل عنوان (الفلسفة النظرية 1770 -1775) ضم العديد من كتب **كانط** التي ألفها بين هذه الأعوام وقد تم ترجمة هذه الكتب من اللغة الألمانية إلى الإنكليزية، لذلك حافظتُ على أرقام الصفحات ضمن هذا المجلد بين حاصرتين [ ]، وأرفقت البحث بفهرس لأسماء الفلاسفة اللذين استشهد بهم **كانط** ضمن البحث.

**المترجم**

**د. منال محمد خليف**

**صيف عام 2020**

# تصدير

**لا تستخف بهذه الهدايا التي قدمتها بازدراء، وأعددتها لك بعناية مخلصة، حتى تفهمها.**

**لوكريتيوس LUCRETIUS[1]**

لا أقِدّر استخدام مسعى كهذا الراهن، لدرجة أن أفترض أنّ الأهم بمعرفتنا كلّها، أيّ "وجود الله"، سوف يتزعزع أو يتعرض للخطر إذا لم يُدعم بتحقيقات ميتافيزيقية عميقة. ولم تكن مشيئة العناية الإلهية أن تعتمد الأفكار الضرورية لسعادتنا على سفسطة الاستدلالات البارعة.[1] بل على العكس من ذلك، نقلت العناية الإلهية هذه الأفكار مباشرة إلى حسنا الطبيعي المشترك.[2] والذي، شريطة عدم خلطه بالفن الزائف، لا يفشل في قيادتنا مباشرة إلى ما هو صحيح ومفيد؛ كوننا في أمس الحاجة إلى هذين الأمرين. وهكذا، يقدم استخدام العقل السليم،[3] الذي لايزال يكمن في حدود الأفكار

(1) Spitzfindigkeit feiner Schlüsse.
(2) dem natürlichen gemeinen Verstande.
(3) der gesunden Vernunft.

العادية، ببراهين مقنعة[1] بما فيه الكفاية على وجود هذا الكائن وصفاته، على الرغم من أنّ العالم البارع سيشعر في كلّ مكان بعدم وجود إثبات[2] (2) وبصحة التصورات المحددة بدقة والأقيسة المنطقية المترابطة على نحوٍ منتظم. ومع ذلك، لا يمكن للمرء أن يمتنع عن البحث عن هذا الإثبات، على أمل أن يقدم نفسه في مكان ما؛ لأنه، ومن دون ذكر الرغبة المعقولة بالبحث لمعرفة هذا الشيء المهم، والكامل والمفهوم بشكلٍ واضح – ولا يمكن لفهم اعتاد البحث أن يتخلى عن هذه الرغبة - من المأمول أن تكون هذه الفكرة، بمجرد تحقيقها، قادرة على تسليط الضوء على الكثير مما يتعلق بهذا الموضوع. ولكن لكي يحقق المرء هذا الهدف، يجب أن يغامر في هاوية الميتافيزيقيا التي لا نهاية لها. فالميتافيزيقيا محيطٌ مظلم لا شواطئ له، ولا تميزه منارات. ويجب أن يمضي المرء قدماً كما يمضي البحارة في بحرٍ غير متحرك: ما أن يهبط، يُخضع رحلته للتدقيق، بهدف تحديد ما إذا كانت التيارات غير المكتشفة، على سبيل المثال، لا تدفعه ربما بعيداً عن المسار، رغم كلّ العناية المنصوص عليها في فن الملاحة الذي أخذ به.

ومع ذلك، لم يتم اكتشاف هذا الإثبات بعد، وقد لوحظ هذا الفشل بالفعل من قبل كُتاب أخرين. وما أعرضهُ [111] هنا هو بالفعل

---

(1) genugsam überführende Beweistümer.

(2) Demonstration.

مجرد حجة لدعم الإثبات.[3](1) وما أوفره هنا هو مواد[2] لتشييد البناء، تم تجميعها بصعوبةٍ كبيرة، وهي الآن معروضة للتدقيق النقدي على الخبير على أمل أن يُستخدم ما هو نافع بينها لإقامة صرح يتوافق مع قواعد المتانة والانسجام.[3] ولا أتمنى أن يؤخذ تحليل التصورات[4] الذي أستخدمُه من أجل التعريفات[4] بالاعتبار أكثر مما أتمنى أن يتم التمسك بما أعرضه هنا من أجل الإثبات بحد ذاته. فالتحليلات التي أقدمها توفر ملاحظات مميزة صحيحة للأشياء التي أتعامل معها: فهي تمكننا من الوصول إلى تعريفات دقيقة،[5] ونافعة بحد ذاتها لبلوغ الحقيقة والوضوح. لكنها لاتزال تنتظر يد فنان لينجزها، ولا يمكن اعتبارها تعريفات حتى وإن رُحب بها. فهناك عصور أخذ فيها المرء على عاتقه في علم مثل الميتافيزيقيا، تعريف[6] وإثبات كلّ شيء بثقة، ولكن هناك عصور من ناحية أخرى، يغامر المرء فيها بمثل هذه التعهدات ولكن بخوفٍ وارتياب.

---

(1) Beweisgrund / Beck (1798) (hereafter B): argument / Carabellese (hereafter C): argoment / Festugière (hereafter F) & Zac (hereafter Z); fondement / Treash (hereafter T): basis.

(2) Baugerath.

(3) Wohlgereimtheit / B: congruity / C: armonia / F. bon appareillage / T: harmonious adaptation / Z: harmonic.

(4) Auflösungen der Begriffe.

(5) abgemessenen Erklärungen.

(6) erklären.

إنّ الملاحظات التي أقدمها هنا هي ثمارٌ لتأملٍ طويل. ولكن، بسبب الالتزامات المتنوعة التي منعني من تكريس الوقت اللازم لها، يُظهر الأسلوب الذي تُقدم فيه هذه الملاحظات علامة مميزة لعمل شيء غير مكتمل. ومع ذلك، فإنّ مناشدة غفران القارئ لكونه قادر فقط على انتظاره بشيء ذي جودة رديئة، بغض النظر عن السبب، ستكون جزءاً من عبثٍ غير مجدي. فالقارئ لن يمنح عفوه أبداً مهما كان العذر. ويُعزى الشكل غير المكتمل للعمل في الحالة الخاصة بي إلى الإهمال أقل من الإغفال المتعمد. وكان هدفي الوحيد هو رسم الخطوط العريضة للمسودة الرئيسية، ولا يعني اعتقادي بذلك الصرح أن أبني التفوق على أساس هذه المسودة، شريطة أن تكون الأيدي مدربة أكثر من تلك التي لدي لتعطيها دقةً أكبر في الأجزاء وانتظاماً مثالياً بشكلٍ عام. وبعد هدفي هذا، سيكون بذل عناية مفرطة ومتلهفة لرسم جميع الخطوط بدقة في الأجزاء الفردية جهداً غير مجدي؛ لأنّ المخطط بشكلٍ عام يجب أن ينتظر أولاً الحكم الحاسم من المتخصصين في هذا المجال.[1] لهذا السبب، غالباً ما أدلي بالحجج[2] من دون غطرسة لأدعي بأنّني قادر على أن أظهر في الوقت الحالي، اتصالها بشكلٍ واضح بالنتيجة. وطورتُ في بعض الأحيان، أحكاماً عامة للفهم من دون إعطائها هذا الشكل [112] الصارم الذي يجب أن تكون عليه عناصر النسق من

(1) der Meister in der Kunst.
(2) Beweisthumer.

خلال فن المنطق. وكان سبب هذا الإغفال إما لأنني وجدت المهمة صعبة، أو لأنّ مدى التحضير كان غير متناسب بالضرورة مع حجم الكتاب المقصود، أو لأنني اعتبرتُ نفسي بالفعل، ولا أعد بالإثبات، متحرراً من المتطلبات التي تُقدم بشكلٍ قانوني من مؤلفين منظمين. وأقلية من أولئك الذين يجرؤون على الحكم على أعمال العقل، تنظر بجرأة إلى المحاولة ككل وتولي اهتماماً خاصاً للعلاقة الممكنة بين أجزائها الرئيسية والصرح المبني بشكلٍ سليم، بمجرد معالجة بعض العيوب وتصحيح بعض الأخطاء. إنّ الحكم على قارئ من هذا النوع مفيد بشكلٍ خاص للمعرفة البشرية. أما بالنسبة لقارئ من نوع آخر: فهو غير قادر على فهم الاتصال بشكلٍ عام، ويلفت انتباهه المفعم بالحيوية إلى بعض التفاصيل أو غيرها، غير مبالٍ فيما إذا كان اللوم، الذي يستحقه ربما بجانب، لا يؤثر أيضاً على قيمة الكل، وفيما إذا كان يمكن للتحسينات المفصلة للجوانب الفردية أن تحفظ المخطط العام، والذي هو ناقص إلى حدٍ ما. وقد وجد قرّاء من هذا النوع، الذين همهم الوحيد والثابت هو سحق أيّ بناء أنّه بدأ بالانهيار قبل أن يكتمل، وكانوا يخشون ربما، وهذا صحيح، على حساب عددهم، رغم أنّ حكمهم له أهمية طفيفة بالنسبة للعقلاء عندما يتعلق الأمر بتحديد القيمة الحقيقية للعمل.

ولم أشرح ربما بنفسي في بعض الأماكن، بتفصيل كافٍ لكي أحرم أولئك الذين يرغبون فقط لذريعة خادعة في إلقاء اللوم المرير

للابتداع[1] على الكتاب، من كلّ فرصة للقيام بذلك. ولكن ما هو التدبير الوقائي الذي يمكن أخذه إذن لمنع هذا؟ أعتقد أنني تحدثتُ رغم ذلك بشكلٍ واضح كفاية عن أولئك الذين يرغبون فحسب في عمل ينوي المؤلف تنفيذه. وورطت نفسي قدر الإمكان في اعتراضات، على الرغم من أنَّ ادعاءاتي تختلف كثيراً عن ادعاءات الآخرين أيضاً. وسأترك مثل هذا الخلاف إلى رأي القارئ الذي فهم جانبي السؤال. وإذا فُحصت أحكام العقل غير المتحيز التي اتخذها أشخاص مختلفون عميقو الفكر بصراحة من محامي غير فاسد - محامي يزن أسس الموقفين المتنازع عليهما لدرجة قدرته على تخيل نفسه في وضع المؤيدين، حتى يقتنع بأكبر قدر ممكن من وجهات نظرهم الخاصة، والذي قرر عندئذ فقط أيّ جانب يرغب أن يلزم نفسه به - إذا فُحصت أحكام العقل غير المتحيز بهذه الطريقة، سيكون عدم اتفاق الفلاسفة أقل بكثير مما هم عليه. وسيوحّد الإنصاف غير المنصف[2] في تبني الرأي المضاد قدر الإمكان عقول متسائلة حالاً على مسار واحد.

وأستطيع، وأفترض في تأمل صعبٍ كالراهن، [113] وأعهد لنفسي بتقديم حقيقة تقول: إنَّ العديد من الأشياء التي سأقولها ستكون غير صحيحة، والعديد من التوضيحات التي سأقدمها لن تكن كافية، والعديد من المواقف التي سأقوم بتطويرها[3] سيثبُت أنَّها ضعيفة

---

(1) Vorwurf des Irrglaubens.
(2) ungeheuchelte Billigkeit.
(3) Manche Ausführung.

وناقصة. أنا لا أكذب بالزعم باتفاق غير مشروط للقارئ ؛ نادراً ما أعترف بهذا الدعم غير المشروط للمؤلف بنفسي. لذلك ، لن أُفاجأ إذا صحح لي آخرون العديد من النقاط. وسأجد في الواقع ، سهولة في الانقياد لمثل هذه التعليمات. وإذا كان المرء ، عندما يضع أحد ما في البداية أسس لحجته ، لا يدعي بثقة أنَّه مخطئ ، فمن الصعب سحب مثل هذا الادعاء في وقت لاحق ؛ من الصعب تقديم الادعاء باعتدال وتحدي وتواضع. وسيلاحظ حتى المغرور الأكثر مكراً ، شريطة أن يفهم ذاته ، أنَّ السماح لنفسه بالاقتناع من قبل الآخرين يستحق الكثير من الثناء مثل إقناع الآخرين أنفسهم ، وربما بقدر ما يتطلب ذلك العمل السابق إنكاراً أكبر للذات ومزيداً من الفحص للذات ، هو حقاً أكثر مصداقية من الآخر. وقد يبدو أنَّ الظهور المتكرر للشروحات[1] المادية المفصلة إلى حدٍ ما في الكتاب من شأنه أن يضر بالوحدة التي يجب على المرء مراعاتها عند التفكير في موضوعه. ومع ذلك ، وبما أنَّ هدفي قد ركز في هذه الحالات بشكلٍ خاص على المنهج المستخدم في العلم الطبيعي لتحقيق معرفة الله ، فقد تمكنتُ بالكاد من تحقيق هذا الغرض من دون نشر مثل هذه الأمثلة. ولهذا السبب يتطلب التأمل السابع في القسم الثاني قدراً أكبر من الغفران. وهذا صحيح بشكلٍ خاص حيث يؤخذ محتواه من كتاب نشرتهُ ذات مرة من دون الكشف

(1) ziemlich ausführliche physische Erläuterungen.

عن هويته[4](*) وتناولتُ فيه الموضوع ذاته بتفصيلٍ أكبر، على الرغم من ارتباطه بفرضيات مختلفة لشخصية جريئة إلى حدٍ ما. ومع ذلك، فإنَّ التقارب الموجود بين الحرية المسموح بها على الأقل بالمغامرة بمثل هذه الشروحات وهدفي الرئيسي، وكذلك الرغبة في رؤية جوانب معينة من الفرضية الخاضعة للنقد من قبل الخبراء، قد تسبب في إدراج هذا التأمل. وهو ربما بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في فهم جميع حججه، قصير للغاية. وربما يكون بالنسبة لأولئك الذين لا يتوقعون سوى الميتافيزيقيا، طويلاً جداً. وقد يتخطى قُراء أخرون هنا التأمل.[114] وسيكون من الضروري، قبل قراءة الكتاب، تصحيح بعض الأخطاء المطبعية التي قد تؤثر على الشعور بكلماتي. ويمكن العثور على قائمة بهذه الأخطاء في نهاية الكتاب.[8]

---

* عنوان الكتاب هو ("التاريخ الطبيعي ونظرية السماء"، كونبغسبرغ ولايبزيغ: 1755). هذا العمل، الذي لم يُعرف عنه إلا القليل، (5) لا يمكن أن يلفت الانتباه، من بين أمور أخرى، للاحتفال بتقديم لامبيرت (.H. Lambert) بعد ست سنوات، في ملخصه الكوزمولوجي (1761)، (6) النظرية ذاتها تماماً والقانون الأساسي المتناسق للكون بشكلٍ عام، ودرب التبانة، السدم، وما إلى ذلك، والتي يمكن العثور عليها في نظريتي المذكورة أعلاه عن السماوات، الجزء الأول، ويُشار بالمثل في مقدمة هذا الكتاب، أيضاً إلى شيء من هذه النظرية في المخطط الموجز بالصفحات من 154 إلى 158 من الكتاب الحالي.(7) ويكاد الاتفاق بين أفكار هذا الرجل العبقري والأفكار التي قدمتها بنفسي في ذلك الوقت يمتد إلى التفاصيل الدقيقة للنظرية، وهو يعمل فقط على تعزيز فرضيتي بأنَّ هذا المخطط سيحصل على تأكيد إضافي في سياق الزمن.

ويتكون الكتاب نفسه من ثلاثة أقسام: يقدم الأول الحجة ذاتها؛ ويشرح الثاني فائدتها واسعة النطاق. ويقدم الثالث أسباباً تهدف إلى إظهار أنّه لا توجد حجة أخرى ممكنة تدعم إثبات وجود الله.[115]

# القسم (1)

## تُقدم فيه الحجة الداعمة لإثبات وجود الله

# التأمل الأول: في الوجود[1] بشكلٍ عام

لا تتطلب قاعدة الشمول حتى في أعمق الدراسات، أن يتم تطوير أو تعريف كلّ تصور يُستخدم دائماً.[9][2] ولا يوجد مثل هذا المطلب، أيّ، إذا كان المرء متأكد من أنّ التصور الواضح والعادي في حد ذاته لا يمكن أن يُساء فهمه في كثير من الأحيان في السياق المستخدم فيه. وهذا هو الحال مع المختص بالهندسة الرياضية الذي يكتشف بأكبر قدر من اليقين الخصائص الغامضة والعلاقات الواسعة، رغم أنّه يقوم بذلك بمجرد استخدام التصور العادي للمكان. وهذا هو الحال أيضاً في أعمق علم على الإطلاق، حيث تُفهم كلمة "التصور" بدقة كافية وتُستخدم بثقة، مع أنّه لا يمكن أبداً تحليل معناها من خلال التعريف.[10] [3]

ومن هنا لم يكن من الممكن أن أطمح في هذه التأملات إلى تحليل تصور الوجود البسيط والمفهوم جيداً، لولا حقيقة أنّ الحالة الراهنة هي حالة يمكن أن يُحدث فيها هذا الإغفال تشويشاً ويؤدي إلى أخطاء

(1) Dasein.
(2) erklärt.
(3) niemals durch eine Erklärung kann aufgelöset werden.

جسيمة. ومن المؤكد أنَّه أمكن استخدام التصور في أيِّ مكان آخر في الفلسفة بثقة في الشكل غير المطوّر الذي يظهر به عند الاستخدام العادي. والاستثناء الوحيد هو السؤال المتعلق بالوجود الضروري بإطلاق والوجود المشروط. وفي هذه الحالة، استخلصَ التحقيق في نوعٍ بارع استنتاجات خاطئة من تصور مفتعل مع الأسف[1] ولكنه محض للغاية بطريقة أخرى. وامتدت هذه الاستنتاجات الخاطئة ذاتها إلى الأجزاء الأكثر سمواً في الفلسفة.

ولا يُتوقع أن أبدأ بتقديم تعريف صوري[2] للوجود. فمثل هذه الطريقة غير مرغوب فيها دائماً عندما لا يتم التأكد جيداً من صحة التعريف المقترح.[3] وينشأ هذا الموقف على نحوٍ متكرر أكثر مما يدركه ربما المرء. وستكون الطريقة الخاصة بي مماثلة [116] لطريقة الشخص الذي يبحث عن تعريف ويطمئِن نفسه قبل كلّ شيء لما يمكن أن يُقال بشكلٍ مؤكد، سواء أكان إيجاباً أم سلباً، حول موضوع التعريف،[4] رغم أنَّه لم يتم بعد إثبات تصور الموضوع بالتفصيل.[5] ويغامر المرء قبل ذلك بكثير بتعريف موضوع شخص ما،[6] وحتى عندما يفتقر بالمطلق إلى الشجاعة لتقديم تعريف، لا يزال هناك الكثير مما يمكن تأكيده بأقصى درجة من اليقين حول الموضوع المطروح. وأشك فيما إذا

(1) unglücklich gekünstelten.
(2) mit einer förmlichen Erklärung.
(3) wo es so unsicher ist, richtig erklärt zu haben.
(4) Erklarung.
(5) ausführlich.
(6) Erklärung von seinem Gegenstande.

كان هناك أيّ شخص قد عرَّف بشكلٍ صحيح[1] ما هو المكان. ولكن، من دون التورط في مثل هذا التعريف، أنا متأكد من أنّه عندما يوجد مكان، يجب أن تكون العلاقات الخارجية موجودة أيضاً، ولا يمكن أن يكون له أكثر من ثلاثة أبعاد، وهكذا. ومهما كانت الرغبة، المبنية على تمثيل ما أو غير ذلك، فهي تسلّم في الاستمتاع في موضوع الرغبة، وما إلى ذلك. وكما هو معروف على وجه اليقين وقبل تعريف شيء، من الممكن في كثيرٍ من الأحيان الاستدلال بيقينٍ كامل على ما يتعلق بهدف بحثنا. وأن تطمح إلى تعريف يعني أن تغامر بصعوبات غير ضرورية، حيث تسبب الهوس للمنهج ومحاكاة عالِم الرياضيات، الذي يتقدم بخطوة واثقة على طريقٍ طويل ذو سطحٍ جيد، بالاصطدام بعددٍ كبيرٍ من هذه الحوادث المؤسفة على أرض الميتافيزيقيا[11] الزلقة. وهذه الحوادث المؤسفة موجودة أمام أعين المرء باستمرار، ولكن هناك أملٌ ضئيل في أن يتم تحذير الناس منها، أو سوف يتعلمون أن يكونوا أكثر حرصاً نتيجةً لذلك. وبهذا المنهج وحده، آمل أن أصل إلى التنوير الذي أسعى إليه عبثاً عند الآخرين. أما بالنسبة إلى فكرة الإطراء فستؤمِن فطنة الشخص الكبيرة له النجاح الذي حُرم منه آخرون: من الجيد أن يُذكر أنَّ هذا كان دائماً أسلوب أولئك الذين قادتنا رغبتهم من أخطاء ارتكبها آخرون إلى أخطاء ابتكروها هم.

(1) richtig erklärt.

## 1 -الوجود ليس محمولاً أو تحديداً[1] لشيء

تبدو هذه القضية غريبة وسخيفة، لكنها يقينية من دون شك. ولتوضيح ذلك تناول أيّ موضوع تريده، وليكن **جوليوس قيصر** **Julius Caesar**، على سبيل المثال، وضع قائمة بكلّ المحمولات التي يُعتقد أنَّها تنتمي إليه، ولا تستثني أيضاً تلك الموجودة في المكان والزمان. وسترى بسرعة أنَّه من الممكن أن يكون إما موجوداً مع كلّ هذه التحديدات،[2] أو غير موجود على الإطلاق. وبإمكان الكائن الذي أعطى وجوداً للعالم ولبطلنا ضمن هذا العالم، أن يعلَم كلّ واحد من هذه المحمولات من دون استثناء، ولا يزال من الممكن اعتبارها مجرد شيء ممكن، وفي حال غياب قرار الكائن المتعلق بخلقها، لن تكن موجودة. ولكن من يستطيع أن ينكر أنَّ ملايين الأشياء التي لا توجد في الواقع، تكون ممكنة فقط بموجب كلّ المحمولات التي سوف تتضمنها إذا ما وجِدت.[117] أو من يستطيع أن ينكر أنَّه عند تصور الكائن الأسمى لها، لا تكون إحدى التحديدات مفقودة،[3] رغم أنَّ الوجود ليس من بينها؛ لأنَّ الكائن الأسمى يعلَمها فقط كأشياء ممكنة. ولا يمكن أن يحدث بناءً على ذلك، أن تحتوي على محمول إضافي، إذا كانت موجودة؛ لأنَّه في حالة إمكان شيء عند تحديده بالكامل، لا يمكن أن ينقص أيّ محمول على الإطلاق. ولو أنَّها كانت مُرضية لخلق

(1) Determination.
(2) Bestimmungen.
(3) Bestimmung.

الله سلسلةً مختلفة من الأشياء، وخلق عالماً مختلفاً، ولوجدَ هذا العالم مع كلّ تحديداته، وما من تحديدات إضافية، والتي يعلم أنّها تمتلكها، رغم أنَّ هذا العالم كان مجرد إمكان.

ومع ذلك، يُستخدَم تعبير "الوجود" كمحمول. ويمكن القيام بذلك بالفعل بأمان ومن دون أخطاء جسيمة، شريطة ألا يصرّ المرءُ على اشتقاق الوجود من مجرد تصورات ممكنة، بما أنَّ عليه القيام بذلك عندما يريد البرهنة على وجود ضروري بإطلاق. ولذلك يسعى المرء للبحث عبثاً بين محمولات هذا الكائن الممكن؛[1] ولا يعثر بالتأكيد على الوجود بينها. ولكن عندما يظهر الوجود كمحمول في كلام مشترك، لا يكون محمولاً للشيء ذاته بقدر الفكرة التي يمتلكها المرء عن الشيء. وعلى سبيل المثال: يُنسب الوجود إلى وحيد القرن البحري (أو قنفذ البحر) ولكن ليس إلى وحيد القرن البري.[2] وهذا يعني ببساطة أنَّ تصور وحيد القرن البحري (أو قنفذ البحر) هو تصور تجريبي؛ وبعبارة أخرى، هو تصور لشيءٍ موجود. ولهذا السبب أيضاً، لا يفحص المرء تصور الموضوع من أجل إثبات صحة القضية المتعلقة

(1) Wesen (alt: entity).

(2) الكلمة الألمانية لـ "وحيد القرن" هي Einhorn: كلمة Landeinhorn غير مدرجة في سخطٍ. من المحتمل أن تكون لفظة جديدة لكانط، تم اختراعها لإيجاد موازٍ لـ Seceinhorn، وهي الكلمة النظامية لـ"قنفذ البحر". ومن أجل الحفاظ على التوازي، تمت ترجمة Landeinhorn بلفظة جديدة "وحيد القرن البري" Seceinhorn بعبارة "وحيد القرن البحري"(أو قنفذ البحر).

بوجود هذا الشيء، بل يتضمن تصور الموضوع فقط محمولات إمكان. وإذا كان المرء يرغب في إثبات صحة هذه القضية، فإنّه يفحص مصدر معرفة المرء بالموضوع. حيث يقول أحدهم: "رأيته" أو "سمعتُ عنه من أولئك الذين رأوه". وبالتالي، فإنَّ عبارة " وحيد القرن البحري (أو قنفذ البحر) هو حيوان موجود" ليست صحيحة تماماً. ويجب أن تُصاغ العبارة بطريقة أخرى لتُقرأ "المحمولات التي أفكر بها بالمجمل عندما أفكر في وحيد قرن بحري (أو قنفذ البحر)، ترتبطُ بحيوان بحري موجود". ولا ينبغي للمرء أن يقول: "السداسيات المنتظمة موجودة في الطبيعة" بل بالأحرى: "المحمولات التي يفكرُ فيها المرء بالمجمل عندما يفكرُ في مسدس، ترتبطُ بأشياء معينة في الطبيعة، مثل خلايا قرص العسل وبلورة جوهرة". إنَّ جميع اللغات البشرية لها عيوب معينة غير قابلة للتصحيح ومنبثقة من الظروف المشروطة المحيطة بأصولها. وسيكون من اللامبالاة وغير المجدي الإفراط في صقل اللغة وفرض حدود عليها في تلك الحالات التي لا يمكن أن يحدث فيها إساءة فهم، عند الاستعمال العادي. [118] ويكفي أن تُحدد هذه الفروقات في تلك الحالات النادرة التي ينخرط فيها المرء في تأمل نوع أدق وأعمق، حيث تكون هذه الفروقات ضرورية. ولا يمكن الحكم على ما يُقال هنا بشكلٍ ملائم إلا في ضوء ما يلي.

**2 -الوجود هو الوضع[1] المطلق للشيء. ويتميز الوجود بالتالي أيضاً عن أيّ محمول؛ لا يوضع هذا الأخير دائماً على هذا النحو، إلا بالنسبة إلى شيء آخر.**

إنَّ تصور الوضع أو الموضع[2] بسيط للغاية: يتطابق مع تصور الكائن بشكلٍ عام.[3] ويمكن التفكير الآن بشيء ما كوضع على نحو نسبي فحسب، أو للتعبير عن الأمر بشكلٍ أفضل، يمكن التفكير به على أنَّه علاقة (**علاقات منطقية respectus logicus**)[12] الشيء فحسب كعلامة مميزة للشيء.[13][4] وفي هذه الحالة، لا يكون الكائن، أي بمعنى الواضع لهذه العلاقة، سوى الرابطة[5] في الحكم. وإذا كان ما يؤخذ بالاعتبار ليس هذه العلاقة فحسب بل الشيء الموضوع في حدّ ذاته ولذاته، فإنَّ هذا الكائن هو الموجود بذاته.[14][6]

هذا التصور بسيط للغاية بحيث لا يمكن قول أيّ شيء آخر على سبيل التوضيح،[7] باستثناء فقط ملاحظة الحذر الذي يجب أن يتم التدريب عليه كي لا يتم الخلط بينه وبين العلاقات التي يجب أن تربط الأشياء بعلاماتها المميزة.

---

(1) die obsolute Pasition.

(2) الموضع أو الوضع oder Setzung / (المصطلحان مترادفان، وتمت ترجمتهما في مكان آخر بـ "طرح")

(3) Sein überhaupt.
(4) Merkmal.
(5) Verbindungsbegriff.
(6) Wird nicht bloss diese Beziehung, Sondern die Sache an und für sich selbst geselzl betrachtel, so ist dieses Sein so viel als Dasein.
(7) zu seiner Auswicklung.

وبمجرد إدراك أنَّ معرفتنا بالكامل تحلل بذاتها في نهاية المطاف إلى تصورات غير قابلة للتحليل، فسيُفهم أيضاً أنَّ هناك بعض التصورات التي تكون غير قابلة للتحليل تقريباً؛ وبعبارة أخرى، سيكون هناك بعض التصورات تكون فيها العلامات المميزة أوضح بدرجة أقل فقط وأبسط من الشيء ذاته.[15] وهذه هي الحال مع تعريفنا للوجود.[1] وأعترف بسهولة أنَّ تعريفنا يحيل بدرجة صغيرة للغاية تمييز التصور فقط لما تمّ تعريفه. لكن طبيعة الشيء المتعلق بملكة الفهم لدينا لا تعترف بدرجة أعلى من التمييز.

وإذا قلتُ: "الله كلّيُ القدرة" فكلّ ما يتم التفكير به هو العلاقة المنطقية بين الله والقدرة المطلقة؛ لأنَّ الأخيرة هي علامة مميزة للسابق. ولا يوضع هنا العدم أيضاً. وسواء كان الله، أي بمعنى، سواء الله هو الواضع بإطلاق أو الموجد، غير وارد في التأكيد الأصلي على الإطلاق. لهذا السبب، تُستعمل لفظة "الكائن" بشكلٍ صحيح أيضاً في حالة العلاقات التي تربط الأشياء السخيفة[2] مع بعضها. على سبيل المثال: "يخضع الله عند سبينوزا **Spinoza** للتغيير المستمر".[16][119]

وإذا كنتُ أتخيل قول الله سبحانه وتعالى "فليكُن"[3] على عالَم ممكن، فهو لا يمنح أيّ تحديدات جديدة إلى الكل الذي يتصوره في

---

(1) Erklärung von der Existenz. Undinge.
(2) Undinge.
(3) sein allmächtiges Werde.

فهمه. ولا يضيف أيّ محمولٍ جديد لها. ويضع بدلاً من ذلك، سلسلة من الأشياء بشكلٍ مطلق وغير مشروط، ويضعها مع جميع محمولاتها؛ فكلّ شيء آخر ضمن سلسلة الأشياء موضوع على نحوٍ نسبي فقط بهذا الكل. ولا تصمم علاقات المحمولات بموضوعاتها أيّ شيء موجود؛ إذا كان ذلك، فيجب عندئذٍ طرح الموضوع بالفعل على أنّه موجود. ويجب أن تبقى القضية "الله كلّي القدرة" صادقة حتى بالنسبة إلى شخصٍ لا يعترف بوجود الله، شريطة أن يفهم كيف أفسر تصور الله. ولكن يجب أن يُنسب وجوده مباشرة إلى الأسلوب الذي يوضع به تصوره؛[1] لأنّ وجوده لن يوجد بين المحمولات ذاتها. وإذا لم يتم التسليم بوجود الموضوع بالفعل، فكلّ محمول يُحدد دائماً ما يتعلق به سواء ينتمي إلى الوجود أو إلى موضوع ممكن فحسب. وبالتالي، لا يمكن للوجود أن يكون محمولاً بذاته. وإذا قلتُ: "الله شيء موجود" يبدو كما لو كنت أعبّر عن علاقة محمول بموضوع. ولكن يوجد خطأ في هذا التعبير. وبالمعنى الدقيق للكلمة، يجب صياغة الأمر على النحو التالي: "الشيء الموجود هو الله". وبعبارة أخرى، ينتمي للشيء الموجود تلك المحمولات التي تؤخذ معاً، ونعيّنها من خلال التعبير "الله". وترتبط هذه المحمولات الموضوعة بالموضوع، في حين يوضع الشيء بحد ذاته، إلى جانب جميع محمولاته بإطلاق.[17]

(1) Allein sein Dasein muss unmiltelbar zu der An gehören, wie sein Begriff gesetzi wird.

أخشى أن أصبح غامضاً عند تقديم شرح أكثر تفصيلاً لهذه الفكرة البسيطة، وربما أخشى أيضاً من الإساءة إلى حساسيات معطاة لأولئك الذين يتذمرون بشكلٍ خاص من بلادة التوضيح. ومع ذلك، على الرغم من أنني لا أرغب في رفض هذا النقد مع أنه تافه، إلا أنه يجب أن أتحلى في هذه المناسبة بالغفران. ولدي القليل من الذوق كالرجل التالي للحكمة شديدة الحساسية من أولئك الذين يقضون الكثير من الوقت في مختبراتهم المنطقية، يخضعون تصورات دقيقة ونافعة للتحليل المفرط، وتقطيرها وتنقيتها حتى تتبخر تماماً في أبخرة وأملاح متطايرة. ومع ذلك، فإنَّ الهدف من هذا التأمل الحالي هو بهذا النوع، الذي يجب على المرء أن يتخلى فيه عن كلّ أملٍ في الوصول إلى يقين توضيحي[1] لهذا الأمر، أو يجب أن يتقبل بصبرٍ تحليل تصوراته إلى هذه الذرات.

### 3 -هل يمكن القول بشكلٍ مناسب أنَّه يوجد في الوجود أكثر مما هو موجود في الإمكان الخالص؟

للإجابة على هذا السؤال، اسمحوا لي أن أشير سلفاً فقط إلى أنَّه يجب التمييز بين ما يوضع وكيف يوضع.[120]

فيما يتعلق بالسابق: ما يوضع في شيء واقعي ليس أكثر مما يوضع في شيء ممكن خالص؛ لأنَّ جميع تحديدات ومحمولات الشيء

(1) Demonstrative Gewisshent.

الواقعي يمكن العثور عليها أيضاً في الإمكان الخالص للمثلث الشيء ذاته. ومع ذلك، فيما يتعلق بهذا الأخير، يوضع المزيد في الواقع؛[1] لأنني إذا كنت أسأل: "كيف يوضع كلّ هذا في حالة الإمكان الخالص؟"، أدركُ أنَّ الوضع يحدث فقط بالنسبة إلى الشيء ذاته. أي بمعنى، إذا كان المثلث موجود، إذن يوجد أيضاً ثلاثة أضلاع. وسطح مغلق، وثلاث زوايا، وما إلى ذلك. أو للتعبير عن الأمر بشكلٍ أفضل: توضع علاقات هذه التحديدات فقط بشيء ما كالمثلث؛ ولكن إذا كان المثلث موجود، فإنَّ كلّ هذا يوضع بإطلاق. وبعبارات أخرى، يوضع الشيء ذاته مع هذه العلاقات؛ وبالتالي يوضع المزيد. لذا من أجل تلخيص كلّ شيء في تصورٍ بارعٍ بما يكفي لتفادي التشويش، أشير إلى أنّه لا يوضع شيء في شيء موجود أكثر مما يوضع في شيء ممكن خالص (لأنَّ المرء حينئذ يتحدث عن محمولات هذا الشيء). ولكن ما يوضع من خلال شيء موجود أكثر مما يوضع من خلال شيء ممكن خالص؛ لأنَّ الوضع من خلال شيء موجود ينطوي على الوضع المطلق للشيء نفسه أيضاً. وبالفعل في حال الإمكان الخالص، ليس الشيء في ذاته هو الذي يوضع؛ إنَّها مجرد علاقات تربط شيء بشيء وتوضع وفقاً لقانون التناقض. ولا يزال من المؤكد أنَّ الوجود ليس في الواقع محمولاً لشيء على الإطلاق. وعلى الرغم من أنَّ الانخراط في الجدل ليس جزءاً من هدفي الحالي، رغم أنَّ المؤلف، في رأيي، إذا قرأ أفكار الآخرين بعقلٍ محايد وجعلها خاصة به من خلال تأمله فيها، يمكنه أن يعهد بدرجة

(1) Wirklichkeit.

معقولة من اليقين بتقييم عقائده الجديدة وغير التقليدية[1] إلى حكم القارئ له - على الرغم من أنّ كلّ هذا صحيح، إلا أنني سأقول بضع كلمات موجزة في هذا الصدد.

من الواضح أنّ تعريف **فولف** للوجود،[18] على أنه إكمال للإمكان،[2] غير محدد للغاية. فإذا لم يكن يعرف المرء مسبقاً حقاً ما يمكن التفكير فيه بشأن الإمكان في شيء، فلا يتوجب عليه أن يتعلمه من تعريف **فولف**. ويقدم **بومغارتن** تصور التحديد الداخلي الشامل،[19][3] ويصر على أنه يوجد في الوجود أكثر مما هو في الإمكان الخالص؛ لأنه يكمِل ما يُترك غير محدد بالمحمولات الملازمة للماهية. ولكننا رأينا بالفعل أنّ الفرق بين شيء حقيقي وشيء ممكن خالص، لا يكمَن أبداً في ربط ذلك الشيء بجميع المحمولات التي يمكن التفكير فيها. علاوة على أنّ القضية القائلة: يؤخذ بالاعتبار أنّ عدم تحديد[4] شيء ممكن كهذا، يتعلق بالعديد من محمولاته، يمكن أن تؤدي إذا أخِذت حرفياً إلى خطأ فادح؛ لأنّ عدم التحديد هذا ممنوع بموجب قانون الوسط المستبعد (الثالث المرفوع) الذي [121] ينص على أنه لا يوجد وسيط بين محمولين يناقض بعضهما بعض. ومن المستحيل على سبيل المثال ألّا يكون للرجل حالة معينة، وضع في الزمان، عمر، ويشغل حيزاً في المكان، وما إلى ذلك. ويجب أن تؤخذ قضيتنا بالأحرى في المعنى التالي: المحمولات التي يتم التفكير بها معاً في شيء، لا تحدد

(1) abweichende.
(2) Ergänzung der Möglichkeit.
(3) die durchgangige innere Bestimmung.
(4) unbestimmt.

محمولات أخرى عديدة لذلك الشيء. وهكذا، على سبيل المثال، ما يتم جمعه معاً في تصور الإنسان على هذا النحو لا يعين شيئاً يتعلق بالخصائص الخاصة بالعمر والمكان وما إلى ذلك. لكن يمكن العثور على هذا النوع من عدم التحديد في شيء موجود وكذلك في شيء ممكن خالص. ولهذا السبب لا يمكن استعماله للتمييز بين الاثنين. ويعتبر **كروسيوس** الشهير أنَّ: "مكان ما" و"زمان ما" ينتميان إلى تحديدات لا لبس فيها للوجود.[20] ولكن، ومن دون إشراك أنفسنا في فحص القضية ذاتها التي تقول: يجب أن يكون كلّ ما هو موجود في مكان ما وزمان ما، لا زالت هذه المحمولات تنتمي إلى أشياء ممكنة على نحوٍ خالص أيضاً. وبالتالي يمكن أن يوجد العديد من الأشخاص في العديد من الأماكن المحددة وفي وقتٍ معين. إذ يعلم العالِم بكلّ شيء **Omniscient** بالتأكيد جميع التحديدات التي تكمن في هذا الشخص، إذا كان موجوداً، حتى وإن لم يوجد بالفعل. ولا شك أنَّ اليهودي الخالد، "**أحشويروش Ahasuerus**"،[21] فيما يتعلق بجميع المناطق التي يتجول فيها، وجميع الأزمنة التي يعيش فيها، هو شخص ممكن. وهنا آمل ألا يصر أحد على أنَّ "مكان ما" و"زمان ما" هي علامات مميزة كافية للوجود فقط عندما يكون الشيء موجوداً حقاً. وسيتطلب ذلك أن يتنازل المرء سلفاً عمّا يهدف إلى توضيحه بعلامة مميزة مناسبة.[1]

---

(1) denn da würde man fordern, dass dasjenige schon eingeräumt werde, was man sich anheischig macht, durch ein taugliches Merkmal von selber kenntlich zu machen.

# التأمل الثاني:
# يفترض الإمكان الذاتي،[1] إلى حدٍ ما الوجود

### 1. التمييز الضروري في تصور الإمكان

أيّ شيء متناقض ذاتياً يكون مستحيلٍ ذاتياً. وهذه قضية صادقة، حتى إذا تُركت بلا تقرير سواء أكانت تعريفاً صادقاً أم لا.[2] ولكن من الواضح في حالة التناقض،[3] أنَّ شيئاً ما يجب أن يتخذ موقف الضد المنطقي لشيء آخر، أيّ أنَّ تأكيد شيء ما يكون مرفوضاً في القضية ذاتها. ولا يحدد كروسيوس هذا التعارض في تناقض ذاتي فحسب. بل يؤكد أنَّه يُدرَك من خلال الفهم، وفقاً لقانون طبيعي به. [122] ولكن المستحيل وفقًا له أيضاً، يحتوي دائماً على مزيج من شيء ما موضوع مع شيء يلغيه أيضاً.[22] وأنا أسمي هذا الازدراء "العنصر الصوري"[4] في عدم إمكانية التصور" أو "الاستحالة". وذلك العنصر المادي[5] الذي يردْ هنا كموقف في هذا التعارض هو شيءٌ ما بحد ذاته ويمكن التفكير

(1) Von der innern Möglichkeit.
(2) Erklärung.
(3) Bei diesem Widerspruch / (the diesem ['this'] has been translated by 'a' since there is no specific contradiction to which the 'this' could refer).
(4) das Formale.
(5) das Materiale.

به. ويكون مثلث رباعي الزوايا أمرٌ مستحيل بإطلاق. ومع ذلك، فإنَّ المثلث شيء ما، وكذلك الرباعي. وتستند الاستحالة ببساطة على العلاقات المنطقية الموجودة بين شيء يمكن التفكير به وآخر، حيث لا يمكن أن يكون أحدهما علامة مميزة للآخر. وبالمثل، يجب أن نميز في كلّ إمكان أولاً الشيء الذي يتم التفكير به، ويجب أن نميز بعد ذلك بين اتفاق ما يتم التفكير به مع قانون التناقض. وبذلك فإنَّ المثلث الذي له زاوية قائمة ممكن في حد ذاته. والمثلث والزاوية القائمة هما المعطيات أو العنصر المادي في هذا الشيء الممكن. ومع ذلك، فإنَّ اتفاق أحدهما مع الآخر، وفقاً لقانون التناقض، هو العنصر الصوري في الإمكان. وسأطلقُ على هذا الأخير أيضاً اسم "العنصر المنطقي[1] في الإمكان"؛ لأنَّ مقارنة المحمولات بموضوعاتها، وفقاً لقاعدة الواقع، ليست سوى علاقة منطقية. ويُطلق أحياناً على الشيء، أو ذلك الذي يعين هذا الاتفاق، "العنصر الحقيقي للإمكان". وبهذه المناسبة، أود أن ألفت الانتباه إلى حقيقة أنَّ ما سأناقشه هنا سيكون ذاتياً دائماً أو ما يسمى بالإمكان والاستحالة المطلقين وغير المشروطين، لا غير.

### 2. يفترض الإمكان الذاتي لكلّ الأشياء وجوداً ما أو آخر.

يتضح مما تم تقديمه الآن أنَّ الإمكان لا يختفي فقط عندما يكون هناك تناقض ذاتي، كالعنصر المنطقي للاستحالة، ولكن أيضاً عندما لا يوجد عنصر مادي، ولا معطيات **datum** يمكن التفكير بها. وعندها

(1) das Logische.

يمكن التفكير في العدم المعطى. ولكن كلّ شيء ممكن هو شيء يمكن التفكير فيه، وتتصل العلاقة المنطقية به وفقاً لمبدأ التناقض.

والآن، إذا تم إلغاء كلّ وجود،[1] عندها يوضع العدم بإطلاق، ويقدم العدم بالإطلاق، ولا يوجد عنصر مادي لأيّ شيء يمكن التفكير به؛ يختفي كلّ الإمكان تماماً.[23] ومن المسلم به أنّه لا يوجد تناقض ذاتي في إنكار الوجود ككل. فلكي يكون هناك تناقض ذاتي، من الضروري وضع شيء ما وإلغائه في الوقت ذاته. ولكن لا يوجد أيّ شيء يوضع هنا. وكنتيجة، لا يمكن بالطبع القول: ينطوي نفي كل وجود على تناقض ذاتي. ونقول من ناحية أخرى، يوجد إمكان ولكن لا يوجد شيء حقيقي على الإطلاق متناقض ذاتياً؛ لأنّه إذا كان العدم موجود، [123] فإنّ العدم الذي يمكن التفكير به مُعطى أيضاً، ونناقض أنفسنا إذا كنا لا نزال نرغب في القول: إنّ شيئاً ما ممكناً. ورأينا في تحليلنا لتصور الوجود أنّ الكائن أو الكائن الموضوع بإطلاق،[2] شريطة ألّا تُستخدم هذه الكلمات للتعبير عن العلاقات المنطقية بين المحمولات والمواضيع، يعني تماماً الوجود ذاته. وبناءً على ذلك، فإنّ التأكيد "يوجد عدم" يعني التأكيد ذاته على أنّه "لا يوجد شيء على الإطلاق". ومن الواضح أنّ المتناقض ذاتياً يضيف، على الرغم من ذلك، "شيء ما ممكن".

(1) aufgehoben.
(2) das Sein oder das schlechthin Gesetzt sein.

**3 - من المستحيل بإطلاق أن يوجد عدم بالمطلق.**

ذلك الذي يُحذف من خلاله كلّ إمكان مهما كان، يكون مستحيل بإطلاق ؛[1] لأنَّ التعبيرين مترادفان. ويُحذف بادئ ذي بدء العنصر الصوري لكلّ إمكان ؛ أيّ المتفق مع قانون التناقض، من خلال ذلك الذي يناقض ذاته. وبالتالي، ما هو متناقض مع ذاته هو بحد ذاته مستحيل بإطلاق. ولكن ليست هذه هي القضية، حيث يتعين علينا النظر في الاستبعاد الكامل لكلّ الوجود ؛ لأنَّ الحذف الكامل لكلّ الوجود، كما أثبتنا ذلك، لا ينطوي مهما كان على تناقض ذاتي. ومع ذلك، فإنَّ الوسائل التي يُحذف من خلالها العنصر المادي، والمعطيات، وكلّ ما هو ممكن، هي أيضاً الوسائل التي يُرفض من خلالها كلّ إمكان بحد ذاته. ويؤثر هذا في الوقت ذاته على حذف كلّ الوجود. وهكذا، عندما يُرفض كلّ الوجود، يُحذف كلّ إمكان أيضاً. وكنتيجة، من المستحيل بإطلاق أن يوجد عدم بالمطلق.

**4 -يُقدم كلّ إمكان في شيءٍ ما واقعي، إما كتحديد موجود ضمنه أو كنتيجة ناجمة عنه.**

ما يجب إظهاره من كلّ إمكان بشكلٍ عام وكلّ إمكان بشكلٍ خاص هو أنَّه يفترض شيئاً ما واقعياً، سواء كان شيئاً أو أكثر. ويمكن أن تكون هذه العلاقة لكلّ إمكان بوجود ما أو غيره على نوعين : إما

(1) Wodurch alle Möglichkeit überhaupt aufgehoben wird, das ist schtechlechterding unmöglich.

أنَّ الممكن يمكن التفكير به بقدر التفكير بما هو واقعي في حد ذاته، ومن ثم يُقدم الإمكان كتحديد موجود ضمن الواقعي؛ أو يكون الممكن بسبب شيء آخر واقعي؛ وبعبارة أخرى، يُقدم إمكانه الذاتي كنتيجة من خلال وجود آخر. غير أنَّه لا يمكن حتى الآن تقديم الأمثلة التوضيحية بشكلٍ مناسب هنا، ولابد من النظر إلى طبيعة الموضوع الوحيد الذي يمكن أن يفيد كمثال في هذا التأمل قبل كلّ شيء. وأود في هذه الأثناء، أن أضيف فقط الملاحظة التالية: الواقع(1) الذي يُقدم من خلاله، ومن خلاله كأساس، الإمكان الذاتي لوقائع أخرى، [124] سأدعوه الأساس الواقعي الأول لهذا الإمكان المطلق،(24) ويماثل قانون التناقض، من حيث الأسلوب أساسه المنطقي الأول؛ لأنَّ العنصر الصوري للإمكان يتضمن الاتفاق معه. ويوفر ما هو واقعي بالطريقة ذاتها، المعطيات أو العنصر المادي لذلك الذي يمكن التفكير به.

وأنا أدركُ تماماً أنَّ قضايا من النوع المقدم في هذا التأمل بحاجة إلى قدرٍ كبير جداً من التوضيح إذا أرادوا الحصول على الإضاءة اللازمة لجعلها واضحة لهم. ولكن الطبيعة المجردة جداً للموضوع ذاته تعيق كلّ جهد ممكن للحصول على توضيحٍ أكبر، تماماً كاستعمال الأجهزة المجهرية للرؤية(2) فكلاهما يضخم صورة الموضوع بحيث يمكن تمييز أجزائه الدقيقة لكنهما يقللان أيضاً بشكلٍ متناسب من سطوع وحيوية

(1) dasjenige Wirkliche.
(2) so wie die mikroscopischen Kunstgriffe des Sehens.

الانطباع. ومع ذلك، يجب أن أحاول قدر المستطاع، استحضار فكرة الوجود، وهي أمرٌ أساسي دائماً للإمكان الذاتي، وأقرب قليلاً لتصورات الفهم السليم العادية جداً.

أنت تعرف أنَّ الجسم الناري، والشخص الماكر، وما شابه ذلك، أشياءً ممكنة. وإذا كنتُ أسأل عن العدم أكثر من الإمكان الذاتي، فلن تجد أنَّه من الضروري على الإطلاق أن يكون الجسم، أو النار، وما إلى ذلك، موجودة كمعطيات له: يمكن التفكير فيها، وهذا يكفي. لكن الاتفاق بالمحمول، الناري، ومع الموضوع، الجسم، وفقاً لقانون التناقض، يتصل بالتصورات ذاتها بغض النظر عما إذا كانت الأشياء ذاتها واقعية أو ممكنة. وأنا أعترف أيضاً أنَّه ليس من الضروري أن تكون الأجسام ولا النار أشياءً واقعية: وعلى الرغم من ذلك أيضاً، الجسم الناري ممكن ذاتياً. ولكن أمضي لأسأل: هل الجسم ذاته ممكن بحد ذاته؟ وهنا لا يُسمح بالاحتكام إلى الخبرة، وستسرد أنت معطيات إمكانه، أيّ الامتداد، وعدم القابلية للاختراق، القوة، ولا أعرفُ أيّ شيء آخر؛ وستضيف أنَّه لا يوجد تناقض ذاتي هنا. وما زلتُ أعترف بكلّ شيء. ومع ذلك، يجب أن تعطيني تفسيراً لما يؤهلك بسهولة لقبول تصور الامتداد كمعطى. ولنفترض أنَّ العدم محدداً: سيكون تفسيرك المزعوم لإمكان الجسم مجرد وهم. وسيكون من غير المناسب أيضاً الاحتكام للخبرة فيما يتعلق بهذه المعطيات؛ لأنَّ ما هو موضوع القضية بالضبط هو ما إذا كان سيظهر إمكان ذاتي للجسم الناري حتى لو لم يكن العدم موجوداً على الإطلاق. لنفترض أنَّه لم يعد بإمكانك

الآن تقسيم تصور الامتداد إلى معطيات أبسط لكي تظهر أنه لا يوجد أيّ شيء متناقض ذاتياً فيه – لابدّ أن تصل في نهاية المطاف إلى أنّ الشيء لا يمكن تحليل إمكانه[25] – عندئذٍ ستكون المسألة ما إذا كان المكان والامتداد عبارة عن كلمات فارغة، أو ما إذا كانت تدل على شيء ما. إنَّ عدم وجود تناقض لا يقرر القضية الحالية: لا تُعيّن الكلمة الفارغة أبداً أيّ شيء متناقض ذاتياً. وإذا لم يكن المكان موجوداً، أو إذا لم يُعطَ المكان على الأقل كنتيجة لشيء موجود، فإنّ كلمة "مكان" لن تعني شيئاً على الإطلاق. وطالما أنك تبرهن على الإمكانيات [125] من خلال قانون التناقض، فأنت تعتمد على ما هو قابل للتفكير في الشيء، والمعطى لك فيه، وتأخذ بالاعتبار فقط العلاقة وفقاً لهذه القاعدة المنطقية. ولكن في النهاية، عندما تفكر في كيفية إعطاء هذا لك، فإنَّ الشيء الوحيد الذي يمكن أن تحتكم إليه هو الوجود.[1]

ولكن يجب أن ننتظر تطور هذا التأمل. فالتصور الذي يمكن بالكاد أن يشرحه المرء بذاته من دون الإفراط في الوصول إلى ذاته، حيث يتعامل مع الأسس الأولى لما يمكن التفكير فيه، يمكن أن يصبح أكثر وضوحاً من خلال تطبيقه.

---

(1) ein Dasein.

# التأمل الثالث:
# عن الوجود الضروري بإطلاق

### 1 -تصور الوجود الضروري بإطلاق بشكلٍ عام

إنَّ ذلك التضاد المستحيل في حدّ ذاته يكون ضروري بإطلاق. وهذا تعريفٌ اسميٌ صحيح بالتأكيد.(26)[1] ولكن إذا كنتُ أسأل: على ماذا تعتمد الاستحالة المطلقة لعدم وجود الشيء؟ فإنَّ ما أبحثُ عنه هو التعريف الواقعي؛(27)[2] ويمكن أن يخدم هذا وحده غرضنا. وقد ترقى كلّ تصوراتنا عن الضرورة الذاتية في خصائص الأشياء الممكنة بأيّ نوع إلى هذا: التضاد هو المتناقض ذاتياً. ومع ذلك، إذا كان الوجود الضروري بإطلاق هو موضوع القضية، فلن يحرز المرء نجاحاً كبيراً إذا حاول الوصول إلى فهم ما به عن طريق الوصف أعلاه. إنَّ الوجود ليس محمولاً على الإطلاق، وليس إلغاء الوجود إنكاراً للمحمول،[3] الذي يتم من خلاله إلغاء شيء ما في شيء وينبثق من

---

(1) Nominal-Erklärung.
(2) Realerklänung.
(3) Dar Dasein ist gar kein Prädikat und die Aufhebung des Daseins keine Verneinung eines Prüdikats.

خلاله تناقض ذاتي. فحذف الشيء الموجود هو إنكارٌ كاملٌ لكلّ ما يوضع بوجوده من دون قيد أو بإطلاق. وعلى الرغم من ذلك، تكون العلاقات المنطقية بين الشيء، كشيء ممكن ومحمولاته المتبقية. ولكن تختلف هذه العلاقات تماماً عن الوضع المطلق لشيء ما لوحده مع محمولاته، وهو ما يكون موجوداً. وبناءً على ذلك، فما يُحذف بعدم الوجود ليس هو ذاته ما يوضع في الشيء، بل شيئاً آخر؛ ونتيجة لذلك لا يوجد تناقض هنا أبداً. وسيقوم التأمل الأخير بهذا الكتاب بكلّ ذلك على نحوٍ معقول أكثر؛ سيتم هذا من خلال تقديم شرحٍ واضح لعدم قابلية النظر في الرؤية المدروسة في الحالة التي تمّ التفكير فيها بصدق، رغم الاعتقاد خطأً أنَّ الوجود الضروري المطلق يمكن شرحه بوساطة قانون التناقض.(28) ومع ذلك قد تُسمى الضرورة في محمولات التصورات الممكنة فقط بالضرورة المنطقية. لكن الضرورة، التي أبحث عنها هي الأساس[1] المطلق، [126] أيّ، ضرورة الوجود، هي ضرورة واقعية مطلقة.[2] وما أجده في البداية هو هذا: ما أفترض أنَّه يُعتبر عدمٌ بإطلاق ومستحيل يجب أن يستبعد كلّ شيء يمكن التفكير به؛ لأنَّه إذا كان لا يزال هناك شيئاً ما يمكن التفكير به، فلن يكون غير قابل للتفكير به تماماً أو مستحيل بإطلاق.

(1) Hauptgrund.
(2) die absolut Realnothwendigkeit.

وإذا أخذت بالاعتبار الآن للحظة لماذا ينبغي أن يكون ما يناقض ذاته عدمٌ بإطلاق ومستحيل، أجد أنَّه من خلال حذف قانون التناقض، يمكن التفكير في الأساس المنطقي المطلق لكلّ ذلك،[1] ويختفي كلّ إمكان، ولا يُترك شيئاً للتفكير. وتنتج النتيجة على الفور أنَّه عندما أحذف كلّ وجود مهما كان ويتلاشى معه الأساس الواقعي المطلق لكلّ ما يمكن التفكير به، ويختفي بالمثل كلّ إمكان، لم يعد هناك أيّ شيء يمكن التفكير فيه. وبناءً على ذلك، قد يكون هناك شيء ضروري بإطلاق إما عندما يُحذف العنصر الصوري لكلّ ما يمكن التفكير به من خلال ضده، أيّ عندما يكون متناقض ذاتياً؛ أو بدلاً من ذلك، عندما يستبعد عدم وجوده العنصر المادي وجميع معطيات كلّ ما يمكن التفكير به. وكما قلتُ، لا يظهر السابق أبداً في حالة الوجود. ويترتب على ذلك، نظراً لعدم وجود إمكان ثالث، أنَّ تصور الوجود الضروري بإطلاق إما أنَّه تصور خادع وكاذب،[2] أو يجب أن يرتكز على حقيقة أنَّ عدم وجود شيء ما هو في الوقت ذاته نفيٌ لجميع معطيات كلّ ما يمكن التفكير به. ولكن هذا التصور، ليس خيالياً بل شيئاً حقيقياً واضحاً من الاعتبار التالي.

(1) der letzte logische Grund alles Denklichen.
(2) ein täuschender und falscher Begriff.

## 2. يوجد كائن ضروري بإطلاق.[1]

يفترض كلّ إمكان شيئاً فعلياً[2] يُقدم فيه كلّ ما يمكن التفكير به. وبناءً على ذلك يوجد واقع معين، سيلغي حذفه بحد ذاته كلّ إمكان ذاتي أياً كان. لكن ذلك الحذف الذي يستأصل كلّ إمكان يكون ضروري بإطلاق؛ لذلك يوجد شيء ما ضروري بإطلاق. ومن الواضح حتى الآن أنَّ وجود شيء أو أكثر يكمن في حد ذاته في أساس كلّ إمكان، وأنَّ هذا الوجود ضروري في حد ذاته. ومن السهل أيضاً استخلاص تصور مشروط. ويكون ذلك الضد الممكن، وفقاً للتعريف الإسمي،(29)[3] مشروطاً، ومع ذلك، لإيجاد تعريف واقعي(30)[4] للمشروط، من الضروري إجراء التمييز التالي: في المعنى المنطقي، ذلك الذي يكون محمولاً مشروطاً بموضوع هو ذلك الضد الذي لا يناقض الموضوع. على سبيل المثال: يُشترط في المثلث بشكلٍ عام أن يكون فيه [127] زاوية قائمة. ويظهر هذا الشرط فقط عندما ترتبط المحمولات بموضوعاتها؛ وبما أنَّ الوجود ليس محمولاً، فلا يمكن تطبيق الشرط على الوجود بالمطلق. وعلى النقيض من ذلك، فإنَّ ما يُشترط بالمعنى الواقعي[5] هو ما يمكن التفكير في عدم وجوده؛ بمعنى أنَّ ما

(1) ein schlechterdings nothwendigens Wesen / (في عناوين الأقسام ذات الأرقام 2 إلى 6 الكلمة "كائن" [بمعنى كيان] translates Wesen not Sein).
(2) etwas Wirkliches.
(3) Worterklärung.
(4) Sacherklärung.
(5) im Realverstande.

يُشترط بالمعنى الواقعي هو أنَّ ذلك الحذف ليس حذفاً لكلّ ما يمكن التفكير به. وبناءً على ذلك، إذا لم يفترض الإمكان الذاتي للأشياء وجوداً معيناً،[1] يكون الأخير مشروطاً، لأنّ ضده لن يلغي الإمكان. أو للتعبير عن الأمر ذاته بطريقة مختلفة: ذلك الوجود، والذي لا يُقدم من خلاله العنصر المادي لكلّ ما يمكن التفكير به، في حالة عدم وجوده رغم ذلك، لا يزال يترك شيئاً ما يمكن التفكير به، أيّ أنَّه لا يزال شيئاً ممكناً - وضد هذا الوجود الممكن بالمعنى الواقعي ذاته، يكون المعنى الواقعي ذاته أيضاً مشروطاً.

### 3 - الكائن الضروري لا مثيل له[2]

نظراً لأنَّ الكائن الضروري يتضمن الأساس الواقعي المطلق[3] لجميع الإمكانيات الأخرى، يترتب على ذلك أنَّ كلّ شيء آخر يكون ممكناً فقط بقدر ما يُعطى من خلال الكائن الضروري كأساس له. وبناءً على ذلك، كلّ شيء آخر لا يمكن أن يظهر إلا كنتيجة لذلك الكائن الضروري. وبالتالي يعتمد إمكان ووجود كلّ الأشياء الأخرى عليه. ولكن الشيء الذي يُعتمد عليه بحد ذاته، لا يتضمن الأساس الواقعي المطلق لكلّ إمكان؛ لذلك هو ليس ضرورياً بإطلاق. ونتيجة لذلك، لا يمكن لعدة أشياء أن تكون ضرورية بإطلاق.

---

(1) ein gewisses Dasein.
(2) Einig.
(3) letzten Realgrund.

افـترض أنَّ (أ) هـو كـائن ضروري واحـد وأنَّ (ب) هـو الآخر. يترتب على تعريفنا أنَّ (ب) ممكن فقط بقدر ما يُعطى من خلال أساس آخر، (أ)، وكنتيجة لـ (أ). ولكن بما أنَّ الفرضية، (ب) يكون ضروري بحد ذاته، ينتج عن ذلك أنَّ إمكانه فيه كمحمول وليس نتيجة لشيء آخر، ومع ذلك، وفقاً لما قيل للتو، إمكانه فيه فقط كنتيجة، وهذا متناقض ذاتياً.

### 4. الكائن الضروري بسيط.

يتضح أنَّه لا يمكن لشيء يتركب من عدة جواهر **Substances** أن يكـون كائنـاً ضـرورياً بـإطلاق مـن الاعتبـار التـالي: افـترض أنَّ أحـد أجزاءه فقط ضروري بإطلاق، يترتـب على ذلـك أنَّ الأجزاء الأخرى معاً ممكنة فقط كنتائج له؛ ولا تنتمي إليه كأجزاء متناظرة.(1) وإذا كنتَ تفترض أنَّ هناك العديد من الأجزاء الضرورية، أو أنَّ جميع الأجزاء كانت ضرورية، فسيناقض ذلك العدد السابق. وبناءً على ذلك، لم يبـق سـوى إمكـان آخـر: يجب أن يوجـد كـلّ جـزء بمفـرده على نحوٍ مشـروط، في حـين [128] يجب أن توجـد كـلّ الأجـزاء معـاً بالضـرورة بإطلاق. ولكـن هـذا مستحيل؛ لأنَّ مجموع الجواهر ككل لا يمكن أن يكون لـه ضرورة في الوجـود أكثر من تلك التي تنتمي إلى الأجزاء؛ وحيث أنَّه ما من ضرورة تنتمي على الإطلاق للأجـزاء، فإنَّ وجودها

(1) Nebentheile.

مشروط، وينتج عن ذلك أنَّ الوجود ككل سيكون أيضاً مشروطاً. ولنفترض أنَّ المرء اعتقد أنَّ بإمكانه الاحتكام إلى تعريف الكائن الضروري، [1] لذلك قال: مُنحت المعطيات المطلقة لبعض الإمكانات الذاتية لكلّ الأجزاء على نحوٍ فردي، ومُنح كلّ إمكان لجميع الأجزاء معاً. وإذا اعتقد المرء أنَّه يمكن إجراء مثل هذا الاحتكام، فسيقدم شيئاً كلياً، على الرغم من أنَّه خفيٌّ وغير متسق؛ لأنَّه إذا كان ينبغي على المرء أن يتصور إمكان ذاتي بهذه الطريقة فمن الممكن أن تُحذف بعض الأجزاء، ولكن لكي تُحذف لا يزال هناك شيء باقٍ يمكن التفكير به ويُعطى من خلال الأجزاء الأخرى، ويجب على المرء أن يفترض أنَّه كان من الممكن رفض الإمكان الذاتي في حد ذاته أو حذفه. ولكن من غير المتصور تماماً ومتناقض ذاتياً أن يكون شيء ما عدماً. لكن هذا يعادل القول: إنَّ حذف الإمكان الذاتي هو ذاته استبعاداً لكلّ ما يمكن التفكير به. ويتضح من هذا أنَّ معطيات أيّ شيء يمكن التفكير به يجب أن تُعطى في شيء يكون حذفه أيضاً ضد كلّ إمكان؛ وبالتالي، فإنَّ ما يحتوي على الأساس المطلق للإمكان الذاتي للمرء يحتوي أيضاً على الأساس المطلق لكلّ إمكان أيّاً كان؛ [2] ونتيجة لذلك، لا يمكن تقسيم هذا الأساس المطلق لكلّ إمكان أياً كان بين جواهر مختلفة.

---

(1) Die Erklärung des nothwendigen Wesens.
(2) ihn (i.e., den letzten Grund) auch von aller (i.e., Möglichkeit).

### 5. الكائن الضروري غير قابل للتغيير وأبدي.

نظراً لأنَّ إمكانه الخاص أيضاً وكلّ إمكان آخر يفترض مسبقاً هذا الوجود،[1] فيترتب على ذلك أنَّه لا توجد طريقة أخرى ممكنة لوجوده؛[2] أي أنَّ الكائن الضروري لا يمكن أن يوجد بعدة طرق. وفي الواقع، كلّ ما هو موجود محدد بشكلٍ كامل. وبما أنَّ هذا الكائن ممكن الآن لأنَّه ببساطة موجود، ينتج عن ذلك أنَّه ما من إمكان يحدث له، باستثناء ما هو موجود في الواقع. ولذلك، غير ممكن بأيّ طريقة أخرى كما هو في الواقع. وبناءً عليه، لا يمكن تحديده أو تغييره بطريقة أخرى. وعدم وجوده مستحيل بإطلاق، وكذلك حياته وموته أيضاً، وهو وفقاً لذلك أبدي.

### 6. يحتوي الكائن الضروري على واقع أسمى.[3]

يجب العثور على معطيات كلّ إمكان في الكائن الضروري إما كتحديدات له، أو كعواقب تُعطى من خلال الكائن الضروري كأساس واقعي مطلق. ويظهر بالتالي أنَّ كلّ [129] واقع، بطريقة أو بأخرى، مطوق بأساس واقعي مطلق.[4] لكن هذه التحديدات بشكلٍ خاص، والتي يكون بموجبها هذا الكائن الأساس المطلق لكلّ واقع ممكن،

---

(1) dieses Dasein.
(2) Keine andere Art der Existenz desselben.
(3) die Hörhstr Realitir.
(4) durch (i.e., durch den ersten realgrund) begriffen sei (the word begriffen may mean either "understood" or "embraced", the opening phrase of sentence suggests the latter).

غلّفت ذلك الكائن بخصائص[1] واقعية ذات درجة أعلى، ويمكن أن تكون موجودة دائماً في الشيء. وبالتالي، فإنّ هذا الكائن هو الأكثر واقعية بين جميع الكائنات الممكنة؛ لأنّ جميع الكائنات الأخرى ممكنة فقط من خلاله وحده. لكن لا يُفهم هذا بمعنى أنّ كلّ واقع ممكن متضمن بين تحديداته. وهذه هي الفوضى[2] المفاهيمية التي بقيت سائدة بشكلٍ غير مألوف حتى اليوم. إذ تُنسب كلّ الوقائع بشكل عشوائي كمحمولات إلى الله أو إلى الكائن الضروري. ولا يُلاحظ أنّ كلّ هذه المحمولات لا يمكن أن تتواجد بأيّ حال من الأحوال معاً كتحديدات في موضوعٍ واحد. إذ لا يمكن أن تكون مرونة الأجساد، والامتداد وما شابه ذلك، سمات لتلك التي لديها فهمٌ وإرادة. ولا تساعد إذا كان المرء يحاول التهرب من القضية من خلال التأكيد على أنّ النوع المعني لا يُعتبر واقعاً حقيقياً. ولا شك أنّ قوة الجسد أو قوة تماسكه هي شيء إيجابي حقاً.[31] وبالمثل، في إحساسات العقل، لا يكون الألم مجرد نقصان.[32][3] وقد بررت الفوضى[4] على ما يبدو مثل هذه الفكرة؛ بمعنى أنّ الحقيقة والواقع لا يناقض أحدهما الآخر؛ لأنّ كلاهما تأكيدات صادقة، ونتيجة لذلك، لا يتعارضان مع بعضهما في الموضوع أيضاً. ورغم أنّني أعترف الآن بأنّه لا يوجد تناقض منطقي هنا، لكن

(1) den grössten Grad realer Eigenschaften.
(2) eine Vermengung der Begriffe.
(3) Beraubung.
(4) ein irriger Gedanke.

الاشمئزاز الواقعي لا يُلغى. ويظهر هذا الاشمئزاز[1] الواقعي[33] دائماً عندما يقضي شيء، كأساس، بوساطة الضد[2] الواقعي على نتيجة شيء آخر. فالقوة الدافعة للجسم في اتجاه واحد وميل قوي مساوي له في الاتجاه المضاد لا يناقض بعضها بعض. وهي ممكنة في الواقع أيضاً في جسم واحد في الوقت ذاته. ومع ذلك، فإنّ قوة دافعة واحدة تقضي على النتائج الواقعية للقوة الدافعة الأخرى؛ وبما أنّ نتائج كلّ قوة دافعة ستكون بحد ذاتها حركة واقعية بطريقة أخرى، فإنّ نتيجة كلّ منهما معاً في موضوع واحد ليست شيئاً. وهذا يعني أنَّ نتيجة هذه القوى الدافعة المضادة هي السكون. لكن السكون ممكن من دون شك. ويتضح من هذا أيضاً أنَّ التضاد الواقعي شيئاً مختلفاً تماماً عن التضاد أو التناقض المنطقي؛ لأنَّ نتيجة هذا الأخير مستحيلة بإطلاق.[34] والآن، لا يمكن أن يكون هناك في الكائن الأكثر واقعية على الإطلاق أيُّ تضاد واقعي أو تعارض إيجابي بين تحديداته؛ لأنَّ النتيجة ستكون ناقصة أو مفتقرة، وهذا يناقض حقيقته الأسمى. وبما أنَّه من الضروري أن يحدث تعارضاً مثل هذا، إذا كانت جميع الوقائع موجودة في الكائن الأكثر واقعية كتحديدات، فلا يمكن بناءً على ذلك أن تكون كلّها موجودة فيه كتحديدات. وبالتالي، نظراً لأنَّها تُمنح جميعها من خلاله، فستنتمي إما إلى تحديداته أو إلى نتائجها.[130]

(1) Realrepugnanz.
(2) realentgensetzung.

وقد يبدو للوهلة الأولى أيضاً أنّه يترتب على ذلك، نظراً لأنّ الكائن الضروري يتضمن الأساس الواقعي المطلق لجميع الإمكانات الأخرى، أنّه يجب أن يتضمن أيضاً أساس عيوب ونقائض ماهيات الأشياء.[1] وإذا قُبل ذلك، فمن الضروري في بعض الأحيان أن تستنتج بأنّ الكائن الضروري يجب أن يكون له نقائض بين محمولاته ذاتها وليس الواقع حصرياً. ولكن يؤخذ بالاعتبار الآن تصور الكائن الضروري الذي أنشأناه. ويُمنح إمكانه الخاص أصلاً في وجوده. ومن الإمكانات الأخرى التي يتضمنها الكائن الضروري هو الأساس الواقعي. ويترتب على ذلك وفقاً لقانون التناقض أنّه لا يمكن أن يكون الأساس الواقعي لإمكان الكائن الأكثر واقعية بذاته، ولا يمكن نتيجة لذلك أن يكون الأساس الواقعي للإمكانات التي تتضمن نقائض وعيوب.

وبناءً على ذلك، يعتمد إمكان الأشياء الأخرى كلّها، فيما يتعلق بما هو واقعي فيها، على الكائن الضروري كأساس واقعي لها. لكن بقدر ما أنّ العيوب أشياء أخرى وليست الكائن الأصلي بذاته، فإنّها تعتمد على الكائن الضروري وكذلك على أساس منطقي.[2] وبقدر ما يمتلك الجسد امتداداً وقوةً وما إلى ذلك، فإنّ إمكان الجسد يتأسس على الكائن الأسمى. ولكن بقدر ما يفتقر الجسد إلى قوة التفكير، فإنّ هذا النقيض يلازم الجسد بحدّ ذاته وفقاً لقانون التناقض.

(1) der Grund der Mängel und Verneinungen der Wesen der Dinge.
(2) die Mängel aber darauf, weil es andere Dinge und nicht das Urwesen selber sind, als einem logischen Grunde.

والنقائض بحد ذاتها ليست أيّ شيء بالفعل، ولا يمكن التفكير فيها بحد ذاتها. ومن الممكن شرح ذلك بسهولة في الطريقة التالية. إذا وضع العدم بعيداً عن النقائض، فالعدم يُمنح إذن بالمطلق، ولا يوجد شيء يمكن التفكير به. وبالتالي، يمكن التفكير بالنقائض فقط من خلال الأوضاع المضادة، أو بالأحرى، ألا يكون هناك أوضاعاً ممكنة أعظم. ومن هنا، وفقاً لقانون الهوية، توجد النقائض بالفعل بحد ذاتها. ومن الواضح أيضاً أنَّ كلّ النقائض الملازمة لإمكانات أشياء أخرى لا تفترض أساساً واقعياً (لأنَّها ليست أيّ شيء إيجابي). وتفترض بالتالي مسبقاً أساساً منطقياً فحسب.

# التأمل الرابع:
# الحجة الداعمة لإثبات وجود الله

### 1. الكائن الضروري هو العقل.[1]

تمت البرهنة أعلاه على أنَّ الكائن الضروري جوهره بسيط. وقد بُرهن بالمثل ليس فقط على أنَّ كلّ واقعة أخرى معطاة من خلال الكائن الضروري كأساس لها، بل أيضاً على أنَّ أعظم قدرة واقعية ممكنة [131] للكائن متضمنة في الكائن كتحديد ملازم للكائن الضروري. والآن، يوجد طرق مختلفة للبرهنة على خصائص الفهم تلك، والتي سوف تُنسب أيضاً إلى الكائن الضروري. أولاً: الفهم والإرادة، كلاهما وقائع حقيقية،[2] ويمكن تواجدهما مع أعظم واقعة ممكنة[3] في شيء واحد. ويفرض الحكم المباشر للفهم على المرء الاعتراف بحقيقة هذا الخلاف، ويُمنح على الرغم من أنَّه لا يستطيع الكلام بشكلٍ صحيح التميز المطلوب للبرهان الكامل منطقياً.

---

(1) Geist.
(2)- beides ist wahre Realität.
(3) mit der grösst möglichen (sc. Realität).

ثانياً: إنَّ خصائص العقل، الفهم والإرادة، هي من النوع الذي لا يمكننا فيه أن نفكر بأيّ واقع يمكن أن يكون في حال غيابها، بمثابة بديل مناسب في الكائن عنها. وبما أنَّ الفهم والإرادة خصائص قادرة بدرجة أعلى من الواقع، مع أنَّها تؤخذ بالحسبان من بين خصائص ممكنة فقط، فسينتج أنَّ الفهم والإرادة وكلّ حقيقة عن طبيعة العقل، ستكون ممكنة عند الآخرين من خلال الكائن الضروري كأساس لها، مع أنَّها لن توجد أيضاً كتحديدات في الكائن الضروري ذاته. وبالتالي ستكون النتيجة أكبر من الأساس ذاته؛ لأنَّه من المؤكد أنَّه إذا لم يمتلك الكائن الأسمى بحد ذاته فهماً وإرادة، فكلّ كائن آخر وضع من خلال الكائن الأسمى وله خاصتي الفهم والإرادة هذه لابد أن يأخذ رغم ذلك، فيما يتعلق بهذه الخصائص من النوع الأعلى وإغفال تبعيتها وعيوب قوتها الأخرى وإلخ، الأسبقية على الكائن الأسمى. والآن، بما أنَّ النتيجة لا يمكن أن تفوق الأساس، فلابدَّ أن يكمن الفهم والإرادة في الجوهر البسيط الضروري كخصائص له. وهذا يعني أنَّ الجوهر البسيط الضروري هو العقل.[35]

ثالثاً، يفترض النظام والجمال والكمال في كلّ ما هو ممكن إما الكائن، من حيث تأسيس الخصائص الموجودة بهذه العلاقات، أو على الأقل، كائن تتفق من خلاله الأشياء، كأساس رئيسي، مع هذه العلاقات الممكنة. والآن الكائن الضروري هو الأساس الواقعي الكامل لكلّ شيء آخر يكون ممكناً، بصرف النظر عن ذاته. ويترتب على ذلك أنّ الكائن الضروري سوف يمتلك تلك الخاصية التي يكون بموجبها كلّ

شيء آخر، بغض النظر عنه ذاته، قادراً على أن يصبح واقعياً عندما يتفق مع هذه العلاقات. ومع ذلك، يبدو أنَّ أساس الإمكان الخارجي للنظام والجمال والكمال لا يكفي ما لم يُفترض مسبقاً وجود إرادة تتفق مع الفهم. لذلك، يجب أن تُنسب هذه الخصائص إلى الكائن الأسمى.

وبصرف النظر عن جميع الأسباب المسؤولة عن تكاثر النباتات والأشجار، يعرف كلّ شخص أنَّ أحواض الزهور العادية، والطرق المليئة بالأشجار وما شابهها، ليست ممكنة كنتيجة للفهم الذي يتصور الخطة والإرادة التي تنفذها فحسب. إذ لا توجد في حال غياب الفهم، [132] سلطة أو قوة توليدية، (1) ولا أيّ معطيات أخرى عن الإمكان، تكفي لجعل إمكان هذا النظام كاملاً.

ويمكن أن يُشتق البرهان على أنَّ الكائن الضروري يجب أن يمتلك الإرادة والفهم، وبالتالي يجب أن يكون عقلاً، إما من إحدى الحجج التي تمّ تقديمها هنا أو أخذها كلها معاً. وسأكتفي بإتمام الحجة فحسب، وليس في نيتي تقديم إثبات صوري.

## 2 - إنّه الله

يوجد شيء ضروري بإطلاق، وهو واحد من حيث ماهيته؛ بسيط من حيث جوهره؛ وهو عقلٌ وفقاً لطبيعته؛ أبديٌّ في ديمومته؛ وغير قابل للتغيير من حيث تكوينه، وهو كاملٌ فيما يتعلق بكلّ ما هو

(1) Hervorbringungskraft.

ممكن وواقعي.(36) إنَّه الله، وأنا لا أعرض هنا تعريفاً محدداً[1] لتصور الله. وإذا كان هدفي هو التعامل مع الأمر بطريقة منهجية، فيجب أن أقدم مثل هذا التعريف. ولكن ما أضعه هنا يرمي إلى أن يكون تحليلاً يمكن أن يفيد كأساس للعقيدة الصورية المناسبة.[2] وفي هذه الأثناء، يمكن تكوين تعريف لتصور الله بأيّ طريقة يراها المرء مناسبة. ولكنني متأكد من أنَّ الكائن، الذي برهنّا على وجوده للتو، هو بالضبط الكائن الإلهي، الذي سيتم اختزال خصائصه[3] المميزة، بطريقة أو بأخرى، إلى الصيغة الأكثر اختصاراً.[4]

### 3. ملاحظة

لا يثبت التأمل الثالث أكثر من أنَّ كلّ حقيقة يجب أن تُمنح إما كتحديد في الكائن الضروري، أو يجب أن تُمنح من خلال الكائن الضروري كأساس. وهذا يترك سؤالاً متردداً حول ما إذا كان يمكن العثور على خصائص الفهم والإرادة في الكائن الأسمى كتحديدات متأصلة فيه، أو ما إذا كان يجب اعتبارها مجرد نتائج تنجم عنه في أشياء أخرى. وإذا كان البديل الأخير هو القضية، فسيتبع ذلك أنَّه على الرغم من جميع الامتيازات التي تظهر في الكائن الأصلي والتي تصدر عن كمال وجوده ووحدته واستقلاله عن موجوداته، وعن الأساس

---

(1) bestimmte Erklärung.
(2) förmlichen Lehrverfassung.
(3) Untersheidungszeichen.
(4) in die Kürzeste Benennung.

العظيم أيضاً، فستكون طبيعته مع ذلك أقل بكثير مما يجب على المرء أن يفكر فيه عندما يفكر في الله. ومن دون امتلاك المعرفة والاختيار، سيكون أساساً ضرورياً بشكل أعمى لأشياء أخرى وحتى لعقول أخرى، وسيختلف عن المصير الأبدي الذي افترضه بعض الفلاسفة القدماء في العدم باستثناء أنَّه وصِف بذكاءٍ أكثر. وهذا هو السبب في ضرورة إيلاء اهتمام خاص [133] لكلّ نظام بهذا الظرف، ولهذا السبب لم نتمكن من التغاضي عنه.

غير أنَّه لم يرد في أيّ مكان بأيّ من الحجج التي تنتمي إلى برهاني والمقدمة حتى الآن ذكرٌ يقدّم للتعبير "الكمال".(1) وسبب هذا الإغفال ليس أنَّني اعتقدتُ أنَّ كلّ حقيقة كانت مماثلة لكلّ كمال،(37) أو أنَّ الكمال متضمن بانسجام إلى أقصى درجة في واحد.(2) ولديّ أسباب واهية لعدم الاتفاق بقوة مع هذا الرأي السائد على نطاقٍ واسع. وقضيتُ وقتاً طويلاً في البحث بعناية عن تصورٍ الكمال بشكلٍ عام وعلى وجه الخصوص. وتعلمتُ أنَّ معرفة أدق للكمال تحتوي على قدرٍ كبير مخفي بداخلها قادراً على توضيح طبيعة العقل، وشعورنا الخاص وحتى التصورات الأساسية للفلسفة العملية.

ولاحظتُ أنَّ تعبير "الكمال" انحرف في بعض القضايا إلى حدٍ كبير عن المعنى الصحيح(3) للمصطلح بسبب عدم اليقين المتأصل في جميع

(1) Vollkommenheit.
(2) Zusammenstimmung zu Einem.
(3) von dem eigenthümlichen Sinne.

اللغات. ومع ذلك، من حيث أهمية المصطلح الذي يوليه الجميع الاعتبار الرئيسي، حتى في حالة الارتباكات التي ذُكرت للتو، يفترض تعبير "الكمال" دائماً علاقة بكائن مُنح المعرفة والرغبة.[1] وكان سيأخذني بعيداً جداً إذا ما تتبعت الحجة المتعلقة بوجود الله والحقيقة الملازمة له بهذه العلاقة، على الرغم من أنَّه أمكن بناء مثل هذه الحجة على هذا الأساس. ولهذا السبب، اعتبر تقديم تصور الكمال، والمناقشة واسعة النطاق التي أثيرت، غير متوافقتين مع الغرض من هذه الصفحات.

## 4. خاتمة

لن يجد أيّ شخص صعوبةً في استخلاص بعض النتائج الواضحة الأخرى من البرهان الذي قدمتهُ. وعلى سبيل المثال: أنا الذي اعتقدت أنَّني لست هذا الكائن الضروري بإطلاق؛ لأنَّني لست أساساً لكلّ حقيقة وأخضعُ للتغيير؛ وليس كائن آخر يكون عدم وجوده ممكن، وهذا يعني، أنَّ الكائن الآخر الذي لا يكون حذفه في الوقت ذاته حذف لكلّ إمكان، ليس هو كائن ضروري بإطلاق؛ وبالتالي الشيء الذي لا يخضع للتغيير أو توجد فيه حدود، بما في ذلك، العالم، هو كائن ضروري بإطلاق، والعالم ليس حادثاً[2] عن الله؛ لأنَّه يوجد في العالم تعارض، ونقص، وقابلية للتغيير، وكلّها أضداد للتحديدات

(1) Erkenntniss und Begierde.
(2) Accidens.

الموجودة في اللاهوت : الله ليس جوهر موجود فحسب ؛ بل جميع الجواهر الأخرى موجودة فقط بالاعتماد على الله و...إلخ.(38)

وعند هذا المنعطف ، أود فقط أن أضيف النقطة التالية : [134] الحجة التي نقدمها على وجود الله مبنية ببساطة على حقيقة أنَّ شيئاً ما ممكن. ووفقاً لذلك ، هو برهانٌ يمكن الإدلاء به بشكلٍ مسبق. ولا يفترض مسبقاً وجودي ، ولا وجود العقول الأخرى ، ولا وجود العالم المادي. إنَّه حقاً الحجة المستمدة من العلامة المميزة ذاتياً للضرورة المطلقة. وهكذا ، فإنَّ معرفتنا بوجود هذا الكائن مستمدة مما يشكل حقاً الضرورة المطلقة لذلك الكائن نفسه. وبالتالي يتم اكتساب هذه المعرفة بطريقة وراثية أصلية.(39)

ولا يمكن لأيٍّ من البراهين التي تجادل عن تأثيرات هذا الكائن بوجوده كعلة — حتى بمنح ذلك فهي ذات ميزة صارمة ، وهي في الواقع ليست كذلك - أن تجعل طبيعة هذه الضرورة مفهومة. ومن الممكن أن ينتج من حقيقة أنَّ شيئاً ما يوجد بالضرورة بإطلاق فقط أنَّ شيئاً ما هو العلة الأولى لشيء آخر. بل وينتج من حقيقة أنَّ شيئاً ما هو العلة الأولى ، أيّ العلة المستقلة ، فقط أنَّه إذا كانت المعلولات موجودة ، فيجب أن توجد العلة أيضاً ، ولا توجد العلة بالضرورة بإطلاق.(40)

ويتضح الآن أكثر من الحجة التي أوصينا بها أنَّ جميع ماهيات الأشياء الأخرى والعنصر الحقيقي لكلّ إمكان ترتكز على هذا الكائن الفريد ؛(1) حيث يتم العثور على أقصى درجة من الفهم والإرادة ؛

(1) dass alle Wesen anderer Dinge und das Reale aller Möglichkeit in diesem einigen Wesew gegründet seien.

وهذا هو أعظم أساس ممكن. وبسبب هذا ولأنّ كلّ شيء في مثل هذا الكائن يجب أن يكون منسجماً إلى أقصى درجة ممكنة،[1] فسينبثق مباشرة الاستنتاج التالي: بما أنَّ الإرادة تفترض دائماً الإمكان الذاتي للشيء نفسه، يتبع ذلك أنَّ أساس الإمكان؛ أيّ ماهية الله ستكون منسجمة إلى أقصى حد مع إرادته الخاصة. والسبب في ذلك ليس أنَّ الله هو أساس الإمكان الذاتي بموجب إرادته الخاصة، بل السبب هو أنَّ الطبيعة اللانهائية ذاتها ترتبط بكلّ ماهيات الأشياء كأساس لها؛ ولها علاقة في الوقت ذاته أيضاً برغبة عليا تتعلق بأعظم النتائج التي تُقدم بهذه الطريقة، ويمكن أن تكون الأخيرة مثمرة فقط إذا تم افتراض الأسبق. ووفقاً لذلك، تنسجم إمكانيات الأشياء ذاتها، التي تمنح لها من خلال الطبيعة الإلهية، مع رغبته العظمى. ولكن يتألف كلّ الخير والكمال من هذا التناغم. وبما أنَّ الخير والكمال متناغمان في مبدأ واحد، يتبع ذلك أنَّه يمكن العثور على الوحدة والانسجام والنظام بحد ذاتها في إمكانات الأشياء.

وحكمنا الناضج على الخصائص الأساسية للأشياء المعروفة لنا من خلال الخبرة، حتى في التحديدات الضرورية لإمكاناتها الذاتية، يمكّننا من إدراك الوحدة فيما هو متعدد والمتناغم فيما هو منفصل.[2] ويترتب على ذلك أنّ طريقة المعرفة اللاحقة ستمكنُنا من القول ارتدادياً بمبدإ واحد لكلّ إمكان.[135]

---

(1) in der äusserst möglichen übereinstimmung.
(2) eine Einheit im Mannigfaltigen und Wohlgereimtheit in dem Getrennten.

وهكذا سنصل أخيراً إلى التصور الأساسي ذاته للوجود الضروري بإطلاق، والذي بدأ منه نمط المعرفة القبلية في البداية. وسيكون هدفنا من الآن فصاعداً هو رؤية ما إذا كان الإمكان الذاتي للأشياء مرتبطاً بحد ذاته بالضرورة بالنظام والانسجام، وما إذا تم العثور على الوحدة في هذا المقدار المتعدد، بحيث يمكننا على هذا الأساس، اثبات ما إذا كانت ماهيات الأشياء تشير بحد ذاتها إلى أساسٍ مشتركٍ مطلق.(1)

[136]

(1) einen obersten gemeinschaftlichen Grund.

# القسم (2)

## يتعلق بفائدة شاملة خاصة بهذا النمط من الدليل بشكلٍ خاص

# التأمل الأول:
# يُستدل فيه على وجود الله لاحقاً من الوحدة المدركة في ماهيات الأشياء

## 1. إثبات الوحدة في تعدد[1] ماهيات الأشياء من خلال الاحتكام إلى خصائص المكان

منحت التحديدات الضرورية للمكان المهندس الرياضي سروراً بعيداً عن المعتاد. وفعلت ذلك بسبب يقين اقتناعها، ودقة تنفيذها، وشمولية تطبيقها. ولا يظهر نطاق واسع من المعرفة البشرية شيئاً يضاهيها، ناهيكَ عن أيّ شيء يفوقها. لكن أودُّ في الوقت الراهن، أن أدرس هذا الشيء نفسه من وجهة نظر مختلفة تماماً. ولاحظتُ عند النظر إليه بعين فلسفية، أنَّ النظام والانسجام، إلى جانب هذه التحديدات الضرورية، يسودان في أنحاء المكان، وأنَّ التوافق[2] والوحدة يسودان أنحاء التعدد الهائل. ودعونا نفترض، على سبيل المثال، أنّني أرغب في رسم مساحة ضيقة بخط مستقيم يتحرك حول نقطة ثابتة. وليس من

(1)- Mannigfaltigen/ B: multifarious /C: molteplice / F & Z: diversité / T: manifold.
(2) Zusammenpassung.

الصعوبة أن أدرك على الإطلاق أنَّ النتيجة هي دائرة، ومحيطها هو نقاطٌ متساوية البعد عن النقطة الثابتة المذكورة أعلاه. ولكن ليس لديَّ أيّ سبب على الإطلاق لافتراض أنَّ مثل هذا البناء البسيط الذي لابدَّ أن يخفي شيئاً معقداً للغاية يخضع في حد ذاته، بموجب هذا البناء ذاته، لقواعد النظام الرئيسية. واكتشفتُ مع ذلك، أنَّ جميع الخطوط المستقيمة التي تتقاطع مع بعضها بعض داخل دائرة في أيِّ نقطة معينة، عندما يتم تمديدها إلى محيطها، تكون مقسمة دائماً بنسبة هندسية.(41)(1) واكتشفتُ بالمثل، أنَّ جميع الخطوط المستقيمة التي تمتد من نقطة معينة خارج الدائرة لكي تنصف محيطها، تنقسم دائماً إلى أجزاء مرتبطة ببعضها بعض في[137] تناسب عكسي مع الكل.(42)(2) وضع في اعتبارك ما لا نهاية له من المواضع المختلفة التي يمكن أن تفترضها هذه الخطوط عند تقاطع الدائرة كما هو موصوف؛ نظراً للطريقة التي تخضع بها مع ذلك باستمرار للقانون ذاته، ولا يمكنها الانحراف عنه. وإذا نظر المرء إلى هذه الأشياء، لا يمكن له إلا أن يتفاجأ، على الرغم من سهولة فهم هذه الحقائق، أنَّ وصف هذا الشكل كان ينبغي أن يكون واضحاً جداً، ويجب أن يصدر عنه بالتالي نظاماً هائلاً جداً، وهذه الوحدة الكاملة في المتعدد.

---

(1) Indessen entdecke ich, dass alle gerade Linien, die einander aus einem beliebigen Punkt innerhalb dem Cirkel durchkreuzen, indem sie an dem Umkreis stossen, jederzeit in geometrischer Proportion geschnitten sind.

(2) imgleichen dass alle diejenige, die von einem Punkt ausserhalb dem Kreise diesen durchschneiden, jederzeit in solche Stücke zerlegt werden, die sich umgekehrt verhalten wie ihre Ganzen.

ولنفترض طرح المشكلة التالية: يجب بناء الأسطح المنحنية ذات التدرجات المختلفة، مع الأسطح المنحنية بهذا الطول بحيث تستغرق الأجسام المتدحرجة أسفلها جميعاً الوقت ذاته بالوصول إلى القاع. وسوف يدرك أيّ شخص من خلال فهم قوانين الميكانيكا أنّ بناء مثل هذه السلسلة من الأسطح المستوية المنحنية سيكون عملاً معقداً. ومع ذلك، يمكن العثور على هذا التنظيم مباشرة في الدائرة ذاتها، مع مجموعة متنوعة غير متناهية من المواضع، ولكن بأكبر قدر من الدقة في كلّ حالة. والسبب هو: أنَّ جميع الأوتار التي تلتقي بقطر الدائرة العامودي، بغض النظر عما إذا كانت تمتد من النقطة في الأعلى أو الأسفل، وبغض النظر عن زاوية ميلانها، سيكون لها جميعها هذه الميزة المشتركة: يستغرق السقوط الحر من خلال هذه الأطراف ذاتها الوقت ذاته تماماً في جميع الحالات.(43) وشرحتُ هذه المبرهنة ذات مرة، مع إثباتها لطالبٍ ذكي. وأتذكر أنَّه، بعد أن فهم كلّ تفاصيلها، كان معجباً بها كإعجابه بمعجزة الطبيعة. إنَّ المرء المنذهل والمندهش حقاً يجد، في مثل هذا الشيء الذي يبدو واضحاً[1] وبسيطاً كالدائرة، هذه الوحدة الرائعة للمتعدد، الخاضع لهذه القواعد المنتجة. ولا توجد معجزة في الطبيعة يمكن أن تعطي بجمالها ونظامها، سبباً أكثر للدهشة، ما لم تفعل ذلك استناداً إلى كون سببها أقل وضوحاً؛ لأنَّ الدهشة[2] وليدة الجهل.

(1) schlecht / (Kant is employing the word in the now archaic sense of 'smooth', 'simple'; cf. Grimm schlecht [1, 3, 4, & 7).
(2) Bewunderung.

إنَّ المجال الذي أجمعُ فيه ظواهر ملفتة للنظر مليء بها، لدرجة أنَّنا نتقدم من دون الحاجة إلى اتخاذ خطوة واحدة، بعدد لا يحصى من الأشياء الجميلة بأقدامنا ذاتها. وهناك حلولاً في الهندسة الرياضية حيث ما يبدو ممكناً فقط كنتيجة للتحضير المعقد يقدم نفسه من دون براعة،[1] كما كان في الشيء بذاته. ويجد الجميع أنَّ مثل هذه الحلول ساحرة.[2] وكلما قلّ ما يجب على المرء أن يفعله، وكلما بدا الأمر أكثر تعقيداً على الرغم من الحلول، زاد نموها سحراً. إنَّ الحلقة المكونة من دائرتين متحدتين بالمركز تختلف تماماً في الشكل عن السطح الدائري.[3] ولكن مهمة تحويل الحلقة [138] إلى هذا السطح الدائري تصيب الجميع بالذعر في البداية بما أنَّها مشروعاً صعباً يتطلب فناً عظيماً لتنفيذه. ولكن بمجرد أن أدرك أنَّ المماس الذي يمس محيط الدائرة الأصغر ويمتد حتى تقاطع طرفيه مع محيط الدائرة الأكبر هو قطر الدائرة التي تساوي مساحتها مساحة الحلقة[44][4] - حالما أدرك ذلك، لا يسعني سوى أن أتفاجئ من البساطة والسهولة التي يتم بها الكشف عن الحل المطلوب في طبيعة الأمر ذاته، ولا يتطلب أيّ جهد تقريباً من جانبي على الإطلاق.

---

(1) ohne alle Kunst.
(2) artig.
(3) der Cirkelring zwischen zwei Kreisen, die einen gemeinschaftlichen Mittelpunkt haben, hat eine von einer Cirkelfläche sehr verschiedene Gestalt.
(4) Allein so bald ich einsehe , dass die den inwendigen Cirkel berührende Linie, so weit gezogen, bis sie zu beiden Seiten den Umkreis des grossern schneidet, der Durchmesser dieses Cirkels sei , dessen Flache dem Inhalt des Cirkelringes gerade gleich ist.

وبذلك كان الغرض من مناقشتنا هو لفت الانتباه إلى الوجود، في الخصائص الضرورية للمكان، وإلى الوحدة إلى جانب أقصى درجة من التعقيد، والاتصال بين الأشياء حيث تبدو كلّها لها ضرورة منفصلة خاصة بها. ولتحقيق هذا الهدف، ركّزنا انتباهنا على شكل الدائرة وحده، التي لها عدد غير متناهي من الخصائص التي لا يُعرف سوى عدد صغير منها. ومن هنا يمكننا أن نستنتج كم هو عظيم بشكلٍ لا يقبل القياس عدد العلاقات المتناغمة التي تلازم خصائص المكان بشكلٍ عام. وتكشف الهندسة الرياضية العليا عن العديد من هذه العلاقات في تفسيرها للروابط بين أنواعٍ مختلفة للخط المنحني. وكلّ هذه العلاقات، بالإضافة إلى التدريب على الفهم من خلال استيعابنا الذهني لها،[1] تثير أيضاً العواطف،[2] وهي تفعل ذلك بأسلوب مشابه أو حتى أكثر سموّاً من تلك التي تثير فيها جماليات الطبيعة المشروطة المشاعر.

وفي حالة هذه الأشياء المنتظمة في الطبيعة، إذا كنا نبرر البحث عن أساس الانسجام الشامل للمتعدد، فهل نبرر قليلاً البحث عن أساس مماثل للانتظام[3] والوحدة التي ندركها في تحديدات مختلفة لا نهاية لها للمكان؟ هل هذا التناغم أقل إدهاشاً لكونه ضروري؟ أود أن أؤكد أنّ ضرورته تجعله أكثر إثارة للدهشة. فالتعدد، الذي لا يمتلك فيه

---

(1) ausser der Übung des Verstandes durch die denkliche Einsicht derselben.
(2) das Gefühl.
(3) Ebenmasses.

كلّ فرد ضرورته الخاصة به والمستقلة، نظاماً، أو تناغماً، لا يمكن أن يتحد في علاقاته المتبادلة مع غيره. ألا يقود هذا المرء، كما يقوده الانسجام في الأحكام المشروطة بالطبيعة، إلى الافتراض بأنَّ هناك أساساً سامياً لماهيات الأشياء بحد ذاتها؛ لأنَّ الوحدة في الأساس تنتج أيضاً وحدة في عالم نتائجها كلّها؟

### 2. الوحدة في تعدد ماهيات الأشياء مبرهنة من خلال الإشارة إلى ما هو ضروري في قوانين الحركة

إذا اكتشفنا تنظيماً في الطبيعة، والذي يبدو أنَّه تمّ إعداده لغرض خاص، نظراً لأنَّ الخصائص العامة للمادة [139] لا يمكن أن تحدث مثل هذا النظام، فإنَّنا نعتبر هذا الحكم مشروطاً ونتيجة للاختيار.(1) والآن، إذا كان الانسجام الجديد والنظام والفائدة يجب أن تجعلها تظهر، إلى جانب العلل الوسيطة التي حُددت خصيصاً لإحداث هذه المعلولات، فإنَّنا نحكم عليها بالطريقة ذاتها بكونها مشروطة ونتيجة للاختيار. إنَّ هذا الاتصال غريب تماماً عن طبيعة الأشياء ذاتها. ويقف في طريق هذه العلاقة(2) المتناغمة؛ لأنَّ شخصاً ما اختار ببساطة ربطها بهذه الطريقة. ولا يمكن أن نقدم سبباً عاماً لشرح الشخصية المُغلّفة؛ أيّ قابلية سحب مخالب القطة والأسد...الخ. فالشرح الوحيد الذي يمكن تقديمه هو أنَّ الخالق قد أمرها بهذه الطريقة، بهدف حمايتها من البلى؛

(1) als zufällig und als die Folge einer Wahl.
(2) in dieser Harmonie.

لأنَّ هذه الحيوانات يجب أن يكون لديها أدوات مناسبة للاستيلاء على فريستها والاحتفاظ بها. ولكن لنفترض أنَّ هذا الأمر له خصائص معينة ذات طابع أعم، والتي، بالإضافة إلى إنتاج بعض الفوائد التي يمكن تفسيرها على أنَّها سبب وجودها، هي أيضاً مناسبة بشكلٍ خاص لإنتاج المزيد من الانسجام، وتمّ القيام بذلك من دون أقل شرط لإحداثها. ولنفترض أنَّ قانوناً بسيطاً، والذي يُتفق عموماً أنَّه ضروري لإنتاج سلعة حبوب، يحدث تأثيرات مثمرة بطرقٍ أخرى عديدة أيضاً. ولنفترض أنَّ هذا القانون البسيط كان مصدراً للمزيد من الفائدة والتناغم،[1] وليس عن طريق الفن، بل بالضرورة. وافترض أخيراً أنَّه لابدّ من الاحتفاظ بذلك بالطبيعة المادية ككل. ولو تم التسليم بكلّ هذا، لكان من الواضح أنَّ ما يكمن في ماهية الأشياء ذاتها هو علاقات كلية تربط بين الوحدة والتماسك،[2] وسوف يمتد الانسجام الكلي في جميع أنحاء عالّم الإمكان ذاته. وستلهمنا مثل هذه الحالات إلى الإعجاب بمثل هذا التكيف الواسع[3] والانسجام الطبيعي.[4] ورغم ذلك لا يمكن أبداً لتلاؤم وانسجام طبيعي كهذا، رغم أنَّ تقديم الفن المهذب[5] والقسري لا لزوم له، أن يُنسب بحد ذاته إلى الصدفة. بل يشير إلى وجود وحدة يمكن العثور عليها في إمكانات الأشياء بحد

(1) Nutzen und Wohlgereimtheiten.
(2) Zusammenhange.
(3) Schicklichkeit.
(4) Zusammenpassung.
(5) peinlich.

ذاتها، ويفترض أنَّ ماهيات كلّ الأشياء تعتمد من دون استثناء على أساس واحد عظيم. وسأحاول شرح هذه الظاهرة الرائعة للغاية من خلال بعض الأمثلة البسيطة، مع الحرص على استخدام منهج التقدم ببطء مما هو مؤكدٌ على الفور من الملاحظة إلى أحكامٍ عامة أكبر.

افترضْ أنَّ أحدهم أصرّ بشكلٍ إيجابي على ضرورة أن يكون هناك أولاً غرضٌ أساسي لشرح حدوث شرط الطبيعة. ويمكن بعد ذلك شرح ضرورة الغلاف الجوي من حيث استعمال واحد بالألف له.(1) وسأسلمُ من أجل الحجة، [140] بهذه النقطة. وافترض أنَّ الغرض المطلق لشرط الطبيعة هذا هو، على سبيل المثال، تمكين الإنسان والحيوانات من التنفس. والهواء الآن من خلال تلك الصفات ذاتها الضرورية للتنفس، وعدم استعمال أيّ وسيلة أخرى على الإطلاق، يحدث أيضاً تأثيرات دقيقة ذات أعداد لا حصر لها، ويُحدث هذه التأثيرات الضرورية، من دون إصدار أيّ أحكام خاصة. إنَّ مرونة وضغط الغلاف الجوي بحد ذاتها تجعل الامتصاص ممكناً. ولن تحصل الحيوانات الصغيرة على الغذاء من دونه؛ فإمكانية نفخ الهواء نتيجة ضرورية له. وباستخدام هذه الوسائل ذاتها، تُسحب الرطوبة من الأرض على شكل أبخرة تتكثف إلى سحب، مما يعزز جمال اليوم

(1) Man kann einen Nutzen unter tausend wählen, weswegen man es als nöthig ansehen kann, dass ein Luftkreis sei, wenn man durchaus einen Zweck zum Grunde zu haben verlangt, wodurch eine Anstalt in der Natur zuerst veranlasst worden.

وغالباً ما يخفف الحرارة الزائدة للشمس. وتوفر هذه الوسائل ذاتها على وجه الخصوص رطوبةً لطيفة للمناطق القاحلة على سطح الأرض عن طريق أخذها من مجاري - المياه بالمناطق المنخفضة. ويكون لهذه الخصائص ذاتها للغلاف الجوي عواقب أخرى أيضاً، وهي طبيعية تماماً وعفوية. وأحد الأمثلة على ذلك هو البزوغ، الذي يطيل النهار، عن طريق درجات متوسطة تدريجية، تجعل الانتقال من الليل إلى النهار غير ضار بالعين. ومثالٌ آخر مهمٌ بشكلٍ خاص هو الرياح.

لنفترض أنَّ شخصاً ما وضع مخططاً يمكن من خلاله أن تتمتع سواحل البلدان الاستوائية، التي يجب أن تكون أكثر حرارة من المناطق الممتدة إلى الداخل إلى حدٍ أبعد، بدرجة حرارة مقبولة أكثر إلى حدٍ ما. ولهذا الغرض، من الطبيعي أكثر أن يفكر في رياح بحرية تسود خلال ساعات الذروة من النهار. ومع ذلك، نظراً لأنَّ درجة الحرارة تنخفض في الليل بشكلٍ أسرع بكثير فوق سطح البحر منها فوق الأرض، فقد لا يكون من الجيد أن تهب الرياح ذاتها طوال الوقت. ولهذا السبب، سيرغب مصممنا في أن تكون قد حدثت بعناية إلهية لتنظيم الأشياء خلال ساعات منتصف الليل، ويجب أن تهب الرياح في الاتجاه المعاكس من الأرض. وقد يكون لهذا التنظيم العديد من الاستعمالات الأخرى أيضاً. والآن، سيكون السؤال الوحيد هو: بأيِّ آلية أو تنظيم مصطنع يمكن الحفاظ على هذه الرياح البديلة؟ وعند طرح هذا السؤال، يمكن أن يمتلك المرء سبباً كبيراً للقلق، حيث لا يمكن للإنسان توقع ملاءمة جميع قوانين الطبيعة لراحته، فقد تنسجم آلية الحفاظ

علـى الريـاح البديلـة، إن أمكـن، بشـكلٍ سـيئ مـع نـوازع الطبيعة الضرورية الأخرى، التي وجدت الحكمة السامية أنّه من الجيد عدم نشرها. ولكن لا يكون هذا القلق برمته غير ضروري. فالجو، الذي يعمل وفقاً للقوانين العامة للحركة، يحقق من تلقاء ذاته ما يمكن أن يحققه التنظيم، ويؤسس بذاته بموجب اختيار معاكس. ويمتلك هذا المبدأ ذاته الذي له استعمالات واسعة أخرى هذا الاستعمال أيضاً، من دون الحاجة إلى شروط جديدة أو خاصة. وتقلل كثافة الهواء فوق الأرض الحارقة في مثل هذا البلد من حرارة النهار وينسحب ذلك بالتالي بالضرورة على الهواء الأكثر كثافةً وثقلاً فوق البحر البارد، مما يسبب الرياح البحرية. ولهذا السبب، تهب خلال ساعات الذروة من اليوم [141] حتى وقت متأخر من المساء. ولم يكن هواء البحر، للأسباب ذاتها ساخناً بشدة أثناء النهار كالهواء فوق الأرض، إذ يبرد بسرعة أكبر أثناء الليل، وينكمش ويتسبب في سحب الهواء البري ليلاً. ومن المعروف عموماً أنَّ جميع السواحل الاستوائية تتمتع بهذه الرياح المتناوبة.(45)

ومن هنا حاولتُ أن أبين ما هي العلاقات التي يجب أن تنتظم وتتناغم بها قوانين الحركة البسيطة والعامة للغاية، بحكم ضرورة ماهيتها. وتحقيقاً لهذه الغاية، وجّهتُ انتباهي إلى جزءٍ صغيرٍ من الطبيعة فقط؛ أي إلى الآثار الناجمة عن الغلاف الجوي. ويمكن أن نرى بسهولة أنَّ مجال الطبيعة بأكمله بكلّ أبعاده التي لا يمكن قياسها مفتوحاً أمامي جاهزاً لتلقي هذا التفسير ذاته. وأعتزم توسيع هذا

الاحتمال المحبب بإضافة بعض الاعتبارات الأخرى في مرحلةٍ لاحقة. ويجب أن أتجاهل في الوقت الحاضر، شيئاً أساسياً إذا لم آخذ بالاعتبار الاكتشاف المهم الذي قدمه موبيرتويس Maupertuis والمتعلق بالانسجام الذي يسود بين قوانين الحركة الضرورية والأعم.(46)

صحيح أنَّ دليلنا ارتبط بقوانين كانت ذات طابع ضروري للغاية وواسعة النطاق، لكنها كانت قوانين تحكم فقط نوعاً خاصاً من المادة في العالم. ومن ناحية أخرى، أثبت موبيرتويس أنَّه حتى أكثر قوانين المادة الكلية بشكلٍ عام - سواء كانت في حالة سكون أو حركة، وسواء في الأجسام المرنة أو في الأجسام غير المرنة، وسواء في جذب الضوء في الانكسار أو في حال صده في الانعكاس - تخضع لقاعدة مهيمنة واحدة، والتي يُلاحظ بموجبها أكبر قدر ممكن من اقتصاد الفعل.(47) ويمكّننا هذا الاكتشاف من أن نجمع التأثيرات الناتجة عن المادة، بغض النظر عن الاختلافات الكبيرة التي قد تمتلكها هذه الآثار بحد ذاتها، في صيغة كلية تعبّر عن العلاقة بين الملاءمة[1] والجمال والانسجام. ومع ذلك، فإنَّ قوانين الحركة تشبه بحدّ ذاتها هذه المادة التي لا يمكن التفكير فيها بشكلٍ مستقل عنها. وهذه القوانين هي بالضرورة تلك التي يمكن أن تُستمد من التكوين الكلي والأساسي لكلّ مادة، من دون تجربة على الأقل وبأكبر قدرٍ من التميز. وأحس هذا الإنسان الحاد والمتعلم على الفور، بعد أن أدخل الوحدة في التعدد

(1) Anständigkeit.

اللامتناهي للكون وخلق النظام فيما كان ضرورياً بشكلٍ أعمى، أنه يجب أن يكون هناك مبدأ أسمى تدين له جميع الأشياء بانسجامها وملاءمتها. واعتقدَ حقاً أنَّ مثل هذا التماسك[(1)] الكلي وفّر في أبسط طبيعة للأشياء أساساً ملائماً أكثر لاكتشافٍ لا لبس فيه، في كائن ما مثالي ومبدع، وعن علةٍ مطلقة لكلّ شيء في العالم، أكثر بكثير من أيّ إدراك لمختلف التنظيمات المشروطة والمتغيرة التي وضِعت وفقاً للقوانين الخاصة.[(48)] وسيكون السؤال المهم من هذه النقطة فصاعداً هو: ما هي الوظيفة التي يمكن أن تقدمها الفلسفة الأسمى لهذه الرؤية المهمة الجديدة؟ [142] ولا أعتقد أنَّني مخطئ في افتراضي عندما نوهتُ إلى أنَّ الأكاديمية الملكية للعلوم في برلين كان عندها هذا السؤال كموضوعٍ لحصولهم على جائزة المقال: هل قوانين الحركة ضرورية أم مشروطة؟ - السؤال الذي لم تُقدم إجابة مناسبة له.[(49)]

وإذا أُخذ بالاعتبار أنَّ المشروط بالمعنى الواقعي[(2)] يعني اعتماد العناصر المادية للإمكان على شيء آخر، فمن الواضح أنَّ قوانين الحركة والخصائص الكلية للمادة، موضوع هذه القوانين، يجب أن تعتمد على كائن واحد مشترك مبدع، وهو أساس النظام والانسجام. ولكن لأيّ سببٍ سيرغب أحد ما في الحفاظ على ذلك التعدد الواسع، الذي يكون فيه لكلّ شيء فردي طبيعته المستقلة تماماً، مع أنَّ كلّ شيء ينبغي أن يكون منظماً تماماً عن طريق حدث مدهش كان متناغماً مع

(1) Zusammenhang.
(2) im Realverstande.

كلّ شيء آخر وكان ينبغي أن تظهر الوحدة بحدّ ذاتها في الكامل؟ لكن الاعتبارات التالية توضح أنّ هذا المبدأ المشترك يجب ألا يرتبط فقط بوجود المادة والخصائص المنسوبة إليها، بل بكلّ إمكان وبماهية المادة عموماً.(1) والشروط الوحيدة التي يمكن بموجبها تصور ما يُفترض أن يملأ المكان، والذي لابد أن يُفترض أنَّه قادراً على الدفع والضغط، هي الشروط ذاتها التي تؤدي بالضرورة إلى القوانين المذكورة أعلاه. وعلى هذا الأساس يمكن ملاحظة أنَّ قوانين حركة المادة هذه ضرورية بإطلاق. وهذا يعني: إذا تمّ التسليم بإمكان المادة، فسيكون من المتناقض ذاتياً افتراض أنَّها تعمل وفقاً لقوانين أخرى. وهذه ضرورة منطقية من نوع أعلى. وعلى الرغم من ذلك من الواضح وفقاً للأساس ذاته، أنَّ الإمكان الذاتي للمادة بحدّ ذاته؛ أيّ المعطيات والعنصر الحقيقي الكامن وراء هذا الشيء القابل للتفكير، لا يُقدَّم بشكلٍ مستقل أو لذاته. بل يوضع الإمكان الذاتي للمادة، بمبدأ ما أو آخر. وبناءً على هذا المبدأ، يكتسب ما هو متعدد وحدته، ويتلقى ما هو متنوع اتصاله.(2) وهذا يبرهن على مشروطية قوانين الحركة بالمعنى الحقيقي للمصطلح.

(1) sondern selbst auf die Möglichkeit einer Materie überhaupt und auf das Wesen selbst.

(2) in welchem (i.e., Principium) das Mannigfaltige Einheit und das Verschiedene Verknüpfung bekommt.

# التأمل الثاني:
# الاختلاف في اعتماد الأشياء كلّها على الله في التبعية الأخلاقية وغير الأخلاقية

أشيرُ إلى أنَّ اعتماد الشيء على الله يكون أخلاقي عندما يكون الله أساس ذلك الشيء بمشيئته. وكلّ تبعية أخرى تكون غير أخلاقية. وبناءً على ذلك، إذا أكدتُ أنَّ الله يتضمن الأساس المطلق حتى للإمكان الذاتي للأشياء، فسيفهم الجميع بسهولة أنَّ هذا لا يمكن أن يكون إلا تبعية غير أخلاقية؛ لأنَّ الإرادة لا تجعل شيئاً ممكناً؛ [143] فهي تُقرر فقط بناءً على ما هو مفترض بالفعل قدر الإمكان. وبقدر ما يتضمن الله أساساً لوجود الأشياء، أعترفُ بأنَّ هذه التبعية دائماً أخلاقية. وبكلمات أخرى، الأشياء موجودة لأنَّ الله أراد أن تكون موجودة.

إنَّ الإمكان الذاتي للأشياء؛ أي بمعنى يمده، من قرر بناءً على وجود الأشياء، بمواد لازمة لها. وتحتوي هذه المواد في داخلها على ملاءمة(1) استثنائية مع التناغم؛ وتتضمن ماهيات هذه المواد بحد ذاتها

(1) Tauglichkeit.

في داخلها تناغماً مع كلّ ما هو منظم وجميل بطرقٍ مختلفة. إذ يمكن أن تُعزى حقيقة أنَّ الغلاف الجوي موجود إلى الله كأساس أخلاقي له بسبب الغرض الذي يمكن تحقيقه من خلاله. ولكن ينبغي أن تكون تلك الماهية للأساس الوحيد، والتي هي بسيطة للغاية، مثمرةً جداً، ملاءمة للغاية[1] ومنسجمة مع إمكانه ولا تتطلب تدخلات خاصة لتنسجم مع الأشياء الممكنة الأخرى في العالم، وفقاً لقواعد النظام المتعددة التي لا يمكن أن تُعزى بالتأكيد إلى خيارٍ حر؛ لأنَّ كلّ قرار للإرادة يفترض معرفة إمكان ما سيتم البت به.

وللسبب ذاته، لابدّ أن يكون كلّ شيء، الأساس الذي يجب البحث عنه باختيار حر، مشروط. ومن هنا لا يكون اتحاد العديد من النتائج المتنوعة، التي تصدر بالضرورة عن أساس واحد، اتحاداً مشروطاً. ولذلك لا يمكن أن يُنسب إلى التحديد الناجم عن إرادة حرة.[2] وقد شاهدنا بالفعل الشيء ذاته أعلاه عندما رأينا أنَّ إمكانات نفخ الهواء، والتنفس وتحويل السوائل، عند وجودها، إلى أبخرة، ورياح، وما إلى ذلك، لا تنفصل عن بعضها بعض؛ لأنَّها تعتمد جميعها على أساسٍ واحد، أيّ مرونة وضغط الغلاف الجوي. ولا يوجد هذا الانسجام للمتعدد في واحد[3] بالتالي في شرط حكيم، ولا يُنسب بناءً على ذلك إلى أساس أخلاقي.

(1) Schicklichkeit.
(2) freiwilligen Bestimmung.
(3) Übereinstimmung des Mannigfaltigen in Einem.

وهنا ينصب اهتمامي الوحيد على العلاقة التي تربط بين ماهية الغلاف الجوي، أو أيّ شيء آخر بالمطلق، وما يمكن أن ينتج عن العديد من النتائج المتفوقة للغاية. وهذا يعني: أنّني أفكر فقط في ملاءمة[1] طبيعتها مع العديد من الأهداف. حيث يخلق أساس واحد منسجم مع العديد من النتائج الممكنة وحدة في هذه الحالة بالضرورة، وبهذا تنفصل النتائج الممكنة عن بعضها بعض وعن الشيء بحد ذاته. وبالقدر ذاته يتم الاهتمام بالإنتاج الفعلي لهذه المزايا: إنّها مشروطة إما بقدر ما تكون إحدى الأشياء التي يرتبط بها الشيء غائبة، أو بقدر ما يمكن أن تمنع قوة خارجية حدوث التأثير.

ويمكن أن تعثر العلاقات الجميلة الملازمة لخصائص المكان؛ وعدد لا يمكن قياسه [144] من تحديداتها على وحدة تستحق الاعجاب. وبقدر ما يجب أن تملأ المادة المكان، فإنّ وجود كلّ هذا الانسجام وحده بكلّ نتائجه،[2] يُنسب إلى قوة اختيار العلة الأولى. أما بالنسبة لاتحاد العديد من النتائج مع بعضها بعض، فكلّها تتوقف على هذا التناغم العظيم مع أشياء العالم: سيكون من العبث أن ننسب هذا مرة أخرى إلى الإرادة. ويجب أن يؤخذ بالاعتبار أيضاً أنّ الصفة المميزة للهواء، والتي يتوفر بموجبها مقاومة للأجسام المادية المتحركة فيه، تكون نتيجة ضرورية لطبيعته. إذ يعترض الهواء سقوط قطرات المطر

---

(1) Tauglichkeit.
(2) Das Dasein aller dieser Wohlgereimtheiten , in so fern Materie den Raum erfüllen sollte, ist mit allen ihren Folgen.

المتساقطة من علوٍ كبير، فتنحدر بسرعةٍ معتدلة، وإذا لم تتأخر بهذه الطريقة، فستسقط من هذا الارتفاع، وتكتسب قوة ضارة جداً. ولا تُدمج هذه الميزة مع خصائص أخرى للهواء بقرار خاص؛ لأنَّ الهواء لا يمكن أن يوجد على الإطلاق من دون هذه الصفة المميزة. وقد يكون تماسك[1] أجزاء المادة، في حالة الماء، على سبيل المثال، نتيجةً ضرورية لإمكان المادة بشكلٍ عام، أو قد يكون تنظيماً تم إنشاؤه بشكلٍ خاص. وأيّاً كانت الحالة، فإنَّ النتيجة المباشرة هي التكوين الكروي لكميات صغيرة من الماء مثل قطرات المطر. ويكون إمكان قوس قزح ذو الألوان المتعددة اللطيفة نتيجة القوانين العامة للحركة ذاتها. وبروعة وانتظام يحركان الفؤاد، يتدلى معلقاً فوق الأفق عندما تشرق الشمس الصافية بوابلٍ من قطراتِ المطر المتساقطة عكسها. ولا يمكن أن يُعزى وجود السوائل والأجسام الثقيلة إلا لرغبة[2] هذا الخالق العظيم. ولكن كان ينبغي أن يسعى الجسم السماوي في حالته السائلة، بضرورة كلية ونتيجة لهذه القوانين الكلية، إلى افتراض شكل كروي - شكل يتناغم لاحقاً مع الأهداف الأخرى للكون أفضل من أيّ شكلٍ آخر ممكن، فعلى سبيل المثال، يمكن للسطح الكروي أن يشتت الضوء الأكثر تجانساً – الذي يكون ملازماً لماهية الشيء ذاته.

(1) Zusammenhang.
(2) Begehren.

إنَّ تماسك ومقاومة المادة، وتركيب أجزاءها وقابليتها للانفصال، تجعل الاحتكاك ضرورياً. فالاحتكاك ذو فائدةٍ كبيرة، وينسجم مع النظام السائد في جميع التغيرات العديدة التي تحدث في الطبيعة؛ يكون انسجامه مع هذا النظام الهائل مماثل لشيء لم يكن نتيجة لهذه المبادئ العامة بل تشكّل بشرطٍ خاص. وإذا لم يعرقل الاحتكاك الحركات، فسيتم اختزال كلّ شيء في نهاية المطاف إلى فوضى: ستستمر القوى، بمجرد توليدها، كنتيجة لاتصالها بأجسام أخرى عن طريق التنافر، والتصادم المستمر والاهتزاز. ولابدّ أن تكون الأسطح التي تدعم الأجسام دائماً أفقية تماماً (وهذا نادراً ما يكون ممكناً)، [145] وإلا ستنزلق الأجسام دائماً. وترتبط الخيوط المغزولة معاً فقط نتيجة الاحتكاك؛ لأنَّ الألياف، التي لا تعمل على طول الخيط بالكامل، ستتمزق أوصالها بأقل قوة إذا لم تتماسك معاً بواسطة الاحتكاك المتناسب مع القوة التي يتم بها ضغط الألياف ضد بعضها بالتوائها معاً.

والسبب في مناقشتي لمثل هذه التأثيرات المتواضعة التي تحظى بتقديرٍ ضئيل وتنبثق من أبسط وأعم قوانين الطبيعة، هو أنَّني كنت مهتماً جزئياً بإظهار كيف يمكن للمرء أن يستنتج من هذه التأثيرات المتواضعة أنَّ الانسجام الكبير والممتد إلى ما لا نهاية بين ماهيات الأشياء والتأثيرات المهمة المنسوبة إلى هذا الانسجام، حتى في الحالات التي يكون فيها المرء غير قادر بسبب نقص مهارته على تتبع تعدد النظام الطبيعي، يرجع إلى مثل هذه الأسس البسيطة والعامة. بل

وكنت مهتماً أيضاً إلى حدٍ ما بإظهار سخافة إسناد هذا التناغم ذاته إلى حكمة الله كأساس خاص به. وحقيقة أنَّ الأشياء، التي ترتبط بشكلٍ جميل مع بعضها بعض وكان ينبغي أن تكون موجودة بالمطلق، تُنسب إلى اختيار حكيم له، لمن خلقها بحسب ذلك الانسجام. ولكن كان ينبغي أن تحتوي كلّ هذه الأشياء، بموجب أسس بسيطة، على هذا التلاؤم الشامل للانسجام مع أنواع عديدة ومختلفة، وكان ينبغي الحفاظ على الوحدة الرائعة في الكل نتيجة لذلك –الملازم لإمكان الأشياء المعنية ذاتها. وبما أنَّ العنصر المشروط، والمفترض بأيِّ خيار يختفي هنا، يترتب على ذلك أنَّ أساس هذه الوحدة، حيث يمكن البحث عنه في كائن حكيم، لا يتم البحث عنه في ذلك الكائن عبر ما يتوسط حكمته بحد ذاته.(1)

(1) aber nicht vermittelst seiner Weisheit.

# التأمل الثالث:
# يتعلق باعتماد الأشياء في العالم على الله، إما من خلال التدخل في نظام الطبيعة أو بشكلٍ مستقل عن ذلك النظام

**1. تقسيم أحداث العالم وفقاً لما إذا كانت مصنفة تحت نظام الطبيعة أو غير مصنفة على هذا النحو.**

يُصنف شيء ما تحت نظام الطبيعة إذا أسس وجوده أو تغيّره بشكلٍ كافٍ على قوى الطبيعة. والشرط الأول لذلك هو أنَّ تكون قوة الطبيعة العلة الفاعلة للشيء، والشرط الثاني هو أنَّ يستند الأسلوب الذي توجه به قوة الطبيعة إلى إنتاج هذا المعلول بشكل كافٍ إلى سيطرة قوانين السببية الطبيعية. وتسمى هذه الأحداث أيضاً، بكلّ بساطة، أحداث العالم الطبيعية. وعندما لا يكون هذا هو الحال من ناحية أخرى، ولا يُصنف [146] تحت هذا الأساس يكون شيئاً خارقاً للطبيعة. وهذا إما لأنَّ العلة الفاعلة المباشرة خارجة عن الطبيعة، أيّ أن القوة الإلهية تحدثها مباشرة، أو بدلاً من ذلك، لأنَّ الأسلوب الذي يتم به توجيه قوى الطبيعة لإحداث التأثير لا يخضع بحد ذاته لسيطرة الطبيعة. وأسمي الحدث في الحالة الأولى **"خارق للطبيعة مادياً"**، وفي

الحالة الثانية "**خارق للطبيعة صورياً**". وسأضرب أمثلة على الحالة الأخيرة، لأنَّها الوحيدة التي يبدو أنَّها بحاجة إلى بعض الشرح؛ لأنَّ الأخرى واضحة بذاتها. هناك العديد من القوى في الطبيعة لديها القدرة على تدمير الأفراد والدول، أو حتى الجنس البشري بأكمله. فالزلازل، والأعاصير، والعواصف في البحر، والمذنبات، وما إلى ذلك، هي أمثلةٌ على هذه القوى المدمرة. وعلاوة على ذلك، يستند وقوع هذه الأحداث من وقت لآخر على نحوٍ كافٍ إلى تكوين الطبيعة، وفقاً لقانون كلي. ولكن الرذائل والفساد الأخلاقي للجنس البشري ليست أسساً طبيعية مرتبط بحدوث هذه الأحداث، ولا تُحسب ضمن القوانين التي تحدث وفقاً لها. إنَّ شر المدينة مثلاً ليس له تأثير على الحرائق المخفية داخل باطن الأرض، ولم يكن فساد العالم الأول[1] علة فعّالة يمكن أن تسحب المذنبات من مداراتها إلى الأرض. وإذا كان ينبغي وقوع مثل هذا الحدث، فإنَّه يعزى إلى علة طبيعية. ويعني هذا الإسناد ضمنياً أنَّ الحدث المعني كان سوء حظ، وليس عِقاباً: لا يمكن أن يكون السلوك الأخلاقي للإنسان سبباً للزلازل وفقاً لقانون طبيعي؛ كونه لا توجد صلة هنا بين العلة والمعلول.[50] خذ على سبيل المثال، تدمير مدينة **بورت رويال في جامايكا** جراء زلزال.[51][✥] فإذا وصفه أحدهم بأنَّه حدثٌ طبيعي، فسيعني وفق شهادة واعظهم، رغم

(1) die Üppigkeit der ersten Welt.

✥ See Raj, Von der Welt Anfang, Veranderung und Untergang.

أنَّ الأعمال الوحشية لسكان **بورت رويال** كانت تستحق التأديب بمثل هذا الدمار، أنَّ هذا الحدث بالذات يجب أخذه بالاعتبار، على الرغم من ذلك، كواحدٍ من العديد من هذه الأحداث التي تحدث من وقتٍ لآخر وفقاً لقانون الطبيعة العام. لأنَّ الزلازل، تهز بشكلٍ دوري مناطق مختلفة من الأرض، ويصدف أحياناً أن يكون هناك مدناً تقع في تلك المناطق، وأحياناً تكون بعض تلك المدن شريرة للغاية. ومن ناحية أخرى، إذا اعتُبر الزلزال عقاباً، فإنَّ ذلك يستتبع، نظراً لأنَّ قوى الطبيعة هذه لا يمكن وفقاً لأيّ قانون طبيعي أن يكون لها أيّ صلة بسلوك الإنسان، أنَّ كلّ حالة مفردة بشكلٍ خاص يجب أن تحدث من قبل الكائن الأسمى. ومن هنا فالحدث خارق للطبيعة بالمعنى الصوري للكلمة، على الرغم من أنَّ العلة الوسيطة للحدث كانت قوة الطبيعة. وحتى إذا وقع هذا الحدث في النهاية على شكل عقاب نتيجة لسلسلة طويلة من الترتيبات الراسخة بشكلٍ خاص في القوى المسببة للعالم، [147] وحتى لو افترض المرء أنَّه عند خلق العالم، خلق الله بالفعل جميع الشروط المطلوبة للحدوث اللاحق للحدث في الوقت المناسب كنتيجة لقوى الطبيعة الموجهة إلى تلك الغاية (كما يمكن للمرء أن يتخيل في حالة نظرية الفيضان عند **ويستون Whiston**، حيث من المفترض أن يكون الفيضان ناتجاً عن مذنب)[52] - ومع ذلك فإنَّ الخارق للطبيعة لا يتضاءل بأيّ حال من الأحوال. بل على العكس من ذلك، تتحول الميزة الخارقة للطبيعة للحدث ببساطة إلى طريقٍ طويل يعود إلى الفعل الأصلي للخلق، ويزداد نتيجة لذلك بشكلٍ غير قابل

للتعبير عنه. هذا التسلسل الكامل للأحداث، بقدر ما تشير طريقة ترتيبه إلى نتيجته، بقدر ما لا يمكن اعتبار نتائج هذا التسلسل من الأحداث نتيجة لقوانين الطبيعة الأعم - يشير هذا التسلسل الكامل للأحداث إلى أعظم عناية إلهية مشروطة ومباشرة، والتي تركز عليها هذه السلسلة الطويلة من الأحداث، بهدف تجنب العوائق التي قد تمنع البحث الدقيق عن المعلولات المطلوبة.

ومن ناحية أخرى، هناك عقوبات ومكافآت تتوافق مع نظام الطبيعة؛ لأنَّ السلوك الأخلاقي للإنسان مرتبط بها من خلال قانون العلة والمعلول. حيث تؤدي الفظاظة والفساد الجامح إلى حياة ضعيفة ومعذبة، وتكون المؤامرات والخداع إجهاضٌ في نهاية المطاف، ويكون الصدق في الواقع أفضل سياسة في النهاية. وفي كلّ هذا، ترتبط المعلولات بعضها ببعض وفقاً لقوانين الطبيعة. ولكن بالنسبة لتلك العقوبات والمكافآت وجميع الأحداث الأخرى في العالم في الحالة التي تتضمن القوى الطبيعية ستتوجه دائماً بشكلٍ خاص إلى إدراك كلّ حالة على حدا: حتى إذا كان ينبغي العثور على اتساق معين بين العديد منها، فستخضع لقانون إلهي مباشر، أيّ حكمة الله، وليس إلى أيّ قانون طبيعي.

### 2. تقسيم الأحداث الطبيعية وفقاً لما إذا كانت مصنفة تحت نظام الطبيعة الضروري أو المشروط.

كلّ الأشياء الطبيعية مشروطة في وجودها. فتركيب أنواعٍ مختلفة من الأشياء، مثل تركيب الهواء والتراب والماء، هو بلا شك مشروط. وبالتالي، يُنسب ببساطة إلى قوة اختيار الخالق الأسمى.[1] ولكن، على الرغم من أنّ قوانين الطبيعة، مثل الأشياء التي هي بحد ذاتها قوانين، تبدو بناءً على ذلك أنّها ليست ضرورية. وعلى الرغم من ذلك نكرر أنّ الروابط التي يمكن ممارسة هذه القوانين من خلالها تكون مشروطة، إلا أنّه لا يزال هناك نوع من الضرورة رائع جداً. أيّ يوجد العديد من قوانين الطبيعة تكون الوحدة لها ضرورية. وهذا هو الحال، على وجه التحديد في تلك الحالات التي يكون فيها مبدأ الانسجام مع قانون واحد هو بالضبط المبدأ ذاته الذي يجعل القوانين الأخرى ضرورية أيضاً. وعلى سبيل المثال: المرونة ذاتها وضغط الهواء، الذي [148] هو أساس قوانين التنفس، هو بالضرورة أيضاً أساس إمكان المضخات، وتشكّل الغيوم، وحفظ النار، والرياح، وما إلى ذلك. وطالما أنّه من الضروري وجود أساس أحدها فقط، كان ينبغي وجود أساس الأخرى أيضاً. ومن ناحية أخرى، إذا كان أساس المعلولات من نوع معين، والتي هي متشابهة وفقاً لقانون ما، ولا يكون أساس المعلولات في الوقت ذاته من نوع مختلف في الكائن ذاته وفقاً لقانون آخر، فعندئذٍ يكون اتفاق هذه القوانين مع بعضها بعض مشروطاً.

---

(1) der Willkür des obersten Urhebers.

وتكون الوحدة السائدة بين هذه القوانين فقط مشروطة. وما يحدث في الشيء وفقاً لهذه القوانين يحدث وفقاً لنظام مشروط بالطبيعة. فالبشر يبصرون، ويسمعون، ويشمون، ويتذوقون، وهلم جرا، لكن الخصائص التي هي أسس الرؤية ليست أسس التذوق أيضاً. إذ لابدّ أن يكون للإنسان أعضاء أخرى لكي يسمع، وبالمثل من أجل التذوق. ويكون اتحاد مثل هذه الملكات المختلفة مشروطاً؛ لأنَّ اتحادها يهدف إلى الكمال، ويكون اتحادها مصطنع في طبيعته. وثم مرة أخرى، في حالة كلّ عضو بمفرده، هناك وحدة مصطنعة. ففي العين، يختلف الجزء الذي يسمح للضوء بالدخول عن الجزء الذي يعكسه، والجزء الذي يستقبل الصورة يختلف بدوره عن الأجزاء الأخرى. ومن ناحية أخرى، لا تمنح مجموعة واحدة من العلل الأرض شكلها الكروي، ومجموعة أخرى تمنع الأجسام من الطيران فوق الأرض نتيجة لقوة الطرد المركزي لدورانها،[1] وغيرها من الأسباب التي تبقي القمر يدور في مداره. والجاذبية في حد ذاتها[2] هي سبب ضروري كافٍ لإحداث كلّ هذه المعلولات. والحقيقة التي تقول الآن بوجود أسس في الطبيعة لكلّ هذه المعلولات تكون بلا شك كاملة. وإذا كان ينبغي أن يكون الأساس ذاته الذي يحدد الشيء الواحد كافياً أيضاً لتحديد الأشياء الأخرى، فإنّ الوحدة التي تتراكم مع الكل هي أعظم بكثير. ولكن هذه الوحدة، إلى جانب الكمال أيضاً، ضرورية في هذه الحالة،

(1) Drehungsschwung.
(2) die einzige Schwere.

وترتبط بماهية الشيء. وكلّ الانسجام والخصب والجمال، الذي يرجع حتى الآن إلى هذه الوحدة، [1] يعتمد على الله إما من خلال نظام الطبيعة الوسيط والأساسي، أو من خلال الوسيط لما هو ضروري في نظام الطبيعة. وآملُ أن أكون مفهوماً حقاً. وأتمنى أن أوسّع هذه الضرورة، ليس إلى وجود هذه الأشياء ذاتها، بل فقط إلى الانسجام والوحدة اللذين يلازمان إمكانهما، ويشكلان الأساس الضروري لهذا التلاؤم والخصوبة الفائقين. وبناءً عليه تقدم مخلوقات الممالك النباتية والحيوانية في كلّ مكان أكثر الأمثلة روعةً عن الوحدة التي كانت منسجمة في الآن ذاته مع [149] الحكمة العظيمة ومشروطة بها. ضع في اعتبارك الأوعية التي تسحب النسغ، والأوعية التي تستقبل الهواء، وتلك التي تعالج النسغ وتلك التي تزفره، وما إلى ذلك. وحيث تصنع هذه الأوعية المتنوعة تعدداً كبيراً، فلا يمكن لأيّ منها أن يؤثر بالأخرى، ويُبتكر تركيبها في مجموعة موحدة وكاملة بشكلٍ مصطنع، [2] لذلك يشكل النبات بحد ذاته، والذي يرتبط بهذا التنوع في الأهداف، وحدة مشروطة بطبيعتها وناتجة عن الاختيار. [3]

ومن ناحية أخرى، قدمت الطبيعة غير العضوية على وجه الخصوص، أدلة لا حصر لها على وحدة ضرورية في العلاقة بين

(1) Diese Einheit aber und mit ihr die Vollkommenheit ist in dem hier angeführten Falle nothwendig und klebt dem Wesen der Sache an, und alle Wohlgereimtheit, Fruchtbarkeit und Schönheit, die (i.e., alle Wohlgereimtheit, Fruchtbarkeit und Schönheit) ihr (i.e., der Einheit) in so fern zu verdanken ist.
(2) künstlich.
(3) ein zufälliges und willkürliches Eine.

الأساس البسيط وعدد من النتائج المناسبة. وتميل حالة كهذه بالفعل إلى افتراض أنَّ هذا ربما يظهر حتى في الطبيعة العضوية، عندما تبدو العديد من الكمالات نتاجاً لأحكام تمت بشكلٍ خاص، وقد تكون على الرغم من ذلك، معلولات ضرورية لأساس واحد، الأساس الذي يربط بموجب خصوبته الأساسية تلك الكمالات مع العديد من المعلولات الجميلة الأخرى. والنتيجة هي أنَّ المرء مضطر لافتراض أنَّه قد يكون هناك المزيد من الوحدة الضرورية في عوالم الطبيعة هذه أكثر ربما مما يفكر به.

ومن هنا تحتوي قوى الطبيعة والقوانين السببية التي تحكمها، على أساس نظام الطبيعة. وبقدر ما يحتضن نظام الطبيعة هذا، انسجاماً معقداً في وحدة ضرورية، فقد يؤثر على تحويل تركيب الكمال العظيم في أساس واحد إلى قانون. وبالتالي، فإنَّ المعلولات الطبيعية المختلفة، فيما يتعلق بجمالها وفائدتها، تُعتبر مصنفة تحت النظام الأساسي للطبيعة، وبهذه الطرق يتم تصنيفها تحت الله. وعلى النقيض من ذلك، هناك العديد من الكمالات في كلّ شيء، وهي غير ممكنة بموجب خصوبة الأساس الواحدة لكنها تتطلب مجموعة متنوعة من الأسس المختلفة، التي رُكبت عن قصد[1] لهذه الغاية. ولهذا السبب، ستكون العديد من التنظيمات المتكونة[2] بشكلٍ مصطنع علة للقانون. وسيتم

(1) willkürlich.
(2) manche künstliche Anordnung.

تصنيف المعلولات التي تحدث وفقاً لذلك القانون تحت نظام الطبيعة المشروط بطبيعته والناتج عن الصنع ؛[1] وسيتم بفضل هذا الاندماج، تصنيفها أيضاً تحت الله.

(1) der zufälligen und künstlichen Ordnung der Natur.

# التأمل الرابع:
# توظيف حجتنا في الحكم على كمال العالم وفقاً لمسار الطبيعة

**1. ما يمكن استنتاجه من حجتنا الداعمة لتفوق نظام الطبيعة على النظام الخارق للطبيعة**

القاعدة المعروفة جيداً للفلاسفة، أو بالأحرى للحس المشترك بشكلٍ عام، أنَّه لا يمكن اعتبار شيء معجزة أو حدثاً خارقاً للطبيعة، [150] ما لم تكن هناك أسباباً قوية للقيام بذلك. وتعني هذه القاعدة، أولاً: أنَّ المعجزات نادرة. وثانياً: يمكن تحقيق الكمال التام للكون، بالانسجام مع إرادة الله ووفقاً لقوانين الطبيعة، من دون العديد من التأثيرات الخارقة للطبيعة. لأنَّ الجميع يعرف أنَّه إذا لم يحقق العالم الغرض من وجوده من دون مساعدة العديد من المعجزات، فإنَّ الأحداث الخارقة للطبيعة يجب أن تكون شائعة.[1] وهناك من يعتقد أنَّ العنصر الصوري في الارتباط الطبيعي للنتائج مع أساسها هو في حد ذاته كامل، وأنَّ هذا جيد بالفعل أيضاً للحصول على نتيجة أفضل،

(1) etwas Gemöhnliches.

إذا كان لا يمكن تحقيق ذلك إلا في نمطٍ خارقٍ للطبيعة.[1] ويربطون الميزة المباشرة للطبيعة على هذا النحو. وكلّ شيء خارق للطبيعة ومفسّر على أنَّه منقطع عن نظام الطبيعة، يبدو في حد ذاته على أنَّه تشوه.[2] ولكن هذه الصعوبة خيالية تماماً. والخير موجود في تحقيق الغاية الوحيدة؛ وإذا نُسب الخير إلى الوسائل، فإنَّه يحسب فقط في الغاية. ولا يحتوي النظام الطبيعي، إذا لم ينتج معلولات مثالية، على أيّ أساس مباشر للتفوق في حد ذاته؛ لأنَّه لا يمكن اعتباره إلا نوعاً من الوسائل، ولا يتم الاعتراف بأنَّ الوسائل لها أيّ قيمة خاصة بها، بل فقط لها قيمة مشتقة مستعارة من حجم الغاية التي تدركها. وقد تسلل الإحساس بالجهد[3] الذي يختبره الناس في مجهوداتهم المباشرة بحد ذاته خلسة هنا. وهذا يطوّق ما يمكن أن يُعهد به للقوى الخارجية بميزة، حتى عندما تفتقر الخلاصة إلى شيءٍ من الفائدة المقصودة. ومع ذلك، فالإنسان الذي يأخذ أخشابه إلى المنشرة لتحويلها إلى ألواح، إذا كان بإمكانه أن يؤثر كذلك على هذا التحويل مباشرة، فسيكون كلّ فنٍ بهذه الآلة مجرد دمية خاملة؛[4] لأنَّ قيمته بالكامل تتكون حصرياً من كونها وسائل لتحقيق هذه الغاية. وبالتالي، فإنَّ الشيء ليس جيداً ببساطة لأنَّه يحدث وفقاً لمسار الطبيعة، بل إنَّ الحال هو أنَّ مسار الطبيعة جيد في ضوء

(1) welcher allenfalls ein besserer Erfolg, wenn er nicht anders als übernatürlicher Weise zu erhalten stände, hintangesetzt werden musste

(2) Übelstand.

(3) Die Vorstellung der Mühsamkeit.

(4) Spielwerk.

حقيقة أنَّ ما يصدر عنها جيد. ويتضمن أمرُ الله عالماً فيه كلّ شيء ؛ لأنَّ معظمه يكتفي بحكم الأفضل كنتيجة لاتصالٍ طبيعي. ولهذا السبب، اعتبره الله جديراً باختياره، وليس في الواقع لكون الخير يتألف من كون العالم متصلاً بشكلٍ طبيعي، بل لأنَّ الاتصال الطبيعي للعالم أثر حقاً في أهدافه المثالية، من دون مساعدة المعجزات المتكررة.

والآن يُطرح السؤال التالي: كيف يمكن أن تتطابق القوانين الكلية للطبيعة، والتي يجري بموجبها مسار الأحداث في العالم، بشكلٍ جميل مع إرادة الكائن الأسمى؟ وما السبب الذي يجعل المرء ينسب إلى هذه القوانين [151] التلاؤم الذي نتحدث عنه، بحيث لا يضطر إلى الاعتراف بشكلٍ متكرر بوجود شروط غامضة وخارقة للطبيعة، ويصحح بشكلٍ ثابت أوجه القصور في تلك القوانين؟.(1)(*) ويتبين أنَّ تصورنا لاعتماد ماهيات كلّ الأشياء بحد ذاتها على الله هنا يفيد أكثر مما هو متوقع في هذا السؤال. إذ تُظهر أشياء الطبيعة، حتى في

---

* هذا السؤال أبعد ما يكون عن الإجابة المرضية التي تناشد الحكمة التي اختارها الله، والتي نظمت مسار الطبيعة مرة واحدة وإلى الأبد، ونظمته بشكلٍ جيد لدرجة أنَّ التطورات المتكررة كانت غير ضرورية. لأنَّ الصعوبة الرئيسية هي: كيف يكون من الممكن توحيد مثل هذا الكمال العظيم في مركب واحد من الأحداث العالمية وفقاً للقوانين الكلية؟ وكيف يمكن أن ينبثق الانسجام، ولا سيما بالنظر إلى عدد من الأشياء الطبيعية والنظر في سلسلة طويلة من التحولات التي لا تعد ولا تحصى، والتي كانت نتاج القوانين الكلية للسببية(1) المتبادلة للأشياء، ولكنه لم يكن بحاجة إلى معلولات خارق للطبيعة على نحوٍ متكرر؟

b- unverbesserlich.

التحديدات الأكثر ضرورة لإمكانها الذاتي، علامةً مميزة للاعتماد على ذلك الكائن، حيث يتناغم كلّ شيء مع صفات الحكمة والخير. وقد يتوقع المرء أن يجد الانسجام والجمال في مزيجٍ من الأشياء الطبيعية، والوحدة الضرورية في العديد من العلاقات المفيدة لأساس واحد للعديد من القوانين المناسبة. وعندما تعمل الطبيعة وفقاً للقوانين الضرورية، لن تكن هناك حاجةً إلى أن يصحح الله مسار الأحداث من خلال التدخل المباشر؛ لأنَّه، بحكم ضرورة المعلولات التي تحدث وفقاً لنظام الطبيعة، لا يمكن أن يحدث ما يُغضب الله، ولا حتى وفقاً للقوانين الأعم. وكيف يمكن أن تكون تأثيرات الأشياء مخالفة لإرادة الله، عندما يتذكر المرء أنَّ الارتباط المشروط بتلك الأشياء يعتمد على إرادة الله، في حين أنَّ علاقاتها الأساسية، كأسس لما هو ضروري في نظام الطبيعة، مستمدة من انسجام الله تماماً مع خصائصه بشكلٍ عام؟ وبالتالي، فإنَّ جميع التغييرات التي تحدث في العالم والتي تكون ميكانيكية من حيث طابعها وبالتالي ضرورية، نظراً لأنَّها مستمدة من قوانين الحركة - يجب أن تكون جميع هذه التغييرات خيرة دائماً؛ لأنَّها ضرورية بشكلٍ طبيعي. ومن المتوقع ألا تكون النتيجة قابلة للتحسين،[1] بمجرد أن يصبح حدوثها أمراً لا مفر منه وفقاً لنظام الطبيعة.(*) ومع ذلك، أود أن أضيف الملاحظة التالية لتجنب أيّ سوءِ

(1) gegenseitigen Wirksamkeit.

(*) إن كان من المحتم بطبيعة الحال، كما أكد نيوتن، أن ينهار نظام مثل النظام الشمسي في نهاية المطاف ويصل إلى حالة من الركود التام والسكون الكلي، فلن أتّبعه مضيفاً ==

للفهم. إنَّ التعديلات التي تحدث في العالم إما أنَّها ضرورية، ضرورية بموجب النظام الأولي للكون [152] وقوانين الطبيعة، العامة والخاصة على حد سواء - وكلّ ما يحدث ميكانيكياً في العالم المادي له هذا الطابع - أو بدلاً من ذلك، تمتلك هذه التعديلات ذاتها، على الرغم من ذلك، حالة مشروطة مفهومة جيداً - مثال على ذلك هي الأفعال التي تصدر عن الحرية والتي لا تُفهم طبيعتها بشكلٍ صحيح. والتغييرات في العالم من هذا النوع الأخير، بقدر ما يبدو أنَّها غير محددة[1] فيما يتعلق بالأسس المحددة والقوانين الضرورية، تخفي داخلها إمكان للانحراف عن الاتجاه العام للأشياء الطبيعية نحو الكمال. ولهذا السبب، يمكن أن نتوقع أن تكون التدخلات الإضافية الخارقة للطبيعة ضرورية؛ لأنَّه من الممكن أن يتعارض مسار الطبيعة، الذي تم النظر إليه في هذه الإضاءة، أحياناً مع مشيئة الله. ومع ذلك، قوى الكائنات التي تعمل بحرية أيضاً ليست متحررة، عند اتصالها ببقية الكون، بالكامل من جميع القوانين. وهي تخضع دائماً، إن لم تكن الأسس تستدعي الضرورة، لهذه الأسس التي تعيّن تنفيذها، وإن كان بطريقةٍ

---

أنَّه من الضروري أن يُرجعه الله مرة أخرى عن طريق التدخل، والمعجزة. ولكونه نتيجة تُقدر لها الطبيعة بالضرورة كنتيجة لقوانينها الأساسية، أفترضُ من هذا أنَّه جيد أيضاً. ويجب ألا تصيبنا هذه الحالة الأخيرة للنظام الشمسي بخسارة نندم عليها، لأننا جاهلون بعدم قياس الطبيعة. ولا يمكن تطوير مناطق أخرى من الكون، والطبيعة، لأننا نعرف جميعا أنَّ التعويض الغني لمجرى الكون هذا في مكان آخر كبير ومثمر.

(1) Ungebundenheit.

مختلفة ووفقاً للقواعد التي تحكم قوة الاختيار. وبما أنَّ هذا هو الحال، فإنَّ ذلك يعني أنَّ الاعتماد العام لماهيات الأشياء على الله موجود هنا أيضاً، وأساساً رئيسياً دائماً ؛ لأنَّه يتعلق بالنتائج المترتبة على كلّ ما هو مناسب ومتناغم مع حكم الأفضل. وحتى في هذه الحالة، تحدث النتائج وفقاً لمسار الطبيعة (ولا داعي لتضليلها بانحرافات واضحة في حالات معينة). وبالتالي، نادراً ما يحتاج نظام الطبيعة إلى تحسين أو استكماله بتدخل إلهي مباشر. حتى الوحي يذكر فقط مثل هذه التدخلات التي تحدث في أوقات محددة وبين شعوب معينة. وتؤكد الخبرة أيضاً اعتماد الأفعال الأكثر حرية أيضاً على قاعدة طبيعية رئيسية ؛ لأنَّها مشروطة مثل قرار الزواج، رغم أنَّه يتم العثور على أنَّ نسبة الزواج في عدد الذين يعيشون في بلد معين ثابتة إلى حدٍ ما، ربما تكون بشرط أن يعمل المرء بأعداد كبيرة. حيث يتم العثور على سبيل المثال، على أنَّه من بين مئة وعشرة أشخاص من الجنسين سيكون هناك زوج واحد متزوجين.(53)(1) ومدى إسهام حرية الإنسان في إطالة أو تقصير الحياة هو مسألة معروفة عموماً. ومما لا شك به أنَّ هذه الأفعال الحرة يجب أن تخضع أيضاً لنظام أكبر؛ لأنَّه في المتوسط، إذا كان المرء يعمل بأعداد كبيرة، فإنَّ عدد الوفيات يتراجع بنسبة دقيقة وثابتة للغاية بالنسبة لعدد الأحياء. وقد تكون هذه البراهين القليلة كافية إلى حدٍ ما لتوضيح حقيقة أنَّه حتى قوانين الحرية، فيما يتعلق بقواعد النظام العام

(1) und das z.E. unter 110 Menschen beiderlei Geschlechts sich ein Ehepaar findet.

للطبيعة، لا تنطوي على أيّ عدم تعيّن من هذا القبيل.[1] ويعني عدم التعيّن هذا ضمنياً أنَّ الأساس، والذي يثبت فيه سكون الطبيعة في ماهيات الأشياء بحد ذاتها وجود علاقة لا مفر منها [153] بين الكمال والانسجام، لن ينتج في المسار الطبيعي للسلوك الحر ميلاً أكبر على الأقل لبهجة الكائن الأسمى، من دون مساعدة العديد من المعجزات. ومع ذلك أنا قلقٌ جداً بشأن سياق الأحداث الطبيعية، بقدر ما تدين بضرورتها للقوانين التي يتم زرعها فيها. وفي مثل هذا الأمر، إما أن تكون المعجزات غير ضرورية على الإطلاق أو في بعض الأحيان فقط؛ لأنه سيكون من غير المناسب الاعتراف بأنَّ مثل هذه العيوب، التي تحتاج إلى معجزات لتصحيحها، كان ينبغي أن تحدث بشكلٍ طبيعي.

وإذا أيّدتُ التصور الملازم عموماً للأشياء الطبيعية، وفقاً لإمكانها الذاتي المستقل ومن دون أيّ أساس خارجي، فلا ينبغي أن أفاجأ على الإطلاق إذا قيل أنَّ عالم كمالها[2] الوحدوي سيكون مستحيلًا ما لم يكن هناك عدداً كبيراً من التدخلات الخارقة للطبيعة. وكان ينبغي أن أجدها بالفعل، غريبة وتتجاوز الفهم، ذلك أنَّه في غياب سلسلة متواصلة من المعجزات، يمكن تحقيق أيّ شيء مفيد كنتيجة لاتصالٍ كبير وطبيعي في هذا العالم؛ لأنَّه سيكون تزامناً مدهشاً

(1) Ungebundenheit.

(2) von einiger Vollkommenheit / B: any perfection / C: una certa perfezione / F & Z: tant... peu parfait / T: some perfection / (Kant is using the word einig in the sense of 'unified', 'unitary', or 'cohesive', and thus suggesting the harmoniousness or concordant nature of the perfection. Cf. Grimm: einig [5]).

إذا كان ينبغي لماهيات الأشياء، والتي يمتلك كلّ منها ضرورته الخاصة المنفصلة، أن تنسجم مع بعضها بعض وتعمل بتلك الطريقة التي كانت ممكنة أيضاً للحكمة السامية على توحيدها معاً في كلّ عظيم، وتشعّ تناغماً وجمالاً لا تشوبه شائبة، وفقاً لقوانين كلية على الرغم من تعقيد علاقاتها التابعة. وأنا مقتنعٌ من ناحية أخرى فقط بسبب وجود الله، أنَّ أيّ شيء آخر ممكن بإطلاق. وبناءً على ذلك، أتوقعُ أيضاً أن تُظهر إمكانات الأشياء بحد ذاتها الانسجام الذي يتفق مع مبدأها العظيم. وأتوقعُ أيضاً أن يتم تكييف هذه الإمكانات مع بعضها بعض من خلال تنظيمات كلية لكي تكوّن الكلّ الذي يتناغم بشكلٍ ملائم مع حكمة الكائن، الذي تستمد منه أساسها. وكان ينبغي أن أجدها رائعة بالفعل إذا حدث أيّ شيء أو يمكن أن يحدث في سياق الطبيعة وفقاً للقوانين العامة التي كانت تغضب الله، أو في حاجة إلى معجزة لتحسينها. وإذا حدث مثل هذا الحدث، فستكون علته[1] أيضاً أحد تلك الأشياء التي تحدث من وقت لآخر، وسيكون غير مفهوم تماماً بالنسبة لنا.

وإذا فهم المرء السبب الأساسي الذي نادراً ما تكون فيه المعجزات ضرورية لكمال العالم، فلن يجد صعوبة في فهم أنَّ هذا ينطبق أيضاً على ما أطلقنا عليه في التأمل السابق، اسم الأحداث الخارقة للطبيعة بالمعنى الصوري للمصطلح. وكثيراً ما يتم الاعتراف بمثل هذه الأحداث

(1) Veranlassung.

الخارقة للطبيعية في الأحكام العادية. ويحصل القبول على أساس تصور خاطئ يقود المرء إلى [154] افتراض أنَّ هناك شيئاً طبيعياً في مثل هذه الأحداث الخارقة للطبيعة صورياً.

**2. ما يمكن استنتاجه من حجتنا لصالح نظام أو آخر من نظامي الطبيعة**

تسود في منهج الفلسفة المجردة قاعدة، وإن لم تُذكر رسمياً، فإنَّها تُلاحظ مع ذلك دائماً في الممارسة. وتؤكد القاعدة أنَّه عند التحقيق في علل معلولات معينة، يجب أن ينتبه المرء بعناية إلى المحافظة على وحدة الطبيعة إلى أقصى حد ممكن. وبعبارات أخرى، تؤكد القاعدة أنَّه يجب على المرء أن يستمد مجموعة متنوعة من المعلولات من علة واحدة معروفة بالفعل، ولا يفترض مباشرة وجود علل مؤثرة جديدة ومتنوعة لشرح المعلولات المختلفة بسبب بعض الاختلافات المهمة على ما يبدو بينها. وبناءً على ذلك، يُفترض أن توجد وحدة كبيرة في الطبيعة، تتعلق بملائمة علة واحدة لتفسير أنواع متعددة مختلفة من النتائج. ويُعتقد أنَّ المرء يبرر ما يتعلق باتحاد أنواع مختلفة للمظهر مع بعضها بحسب الجزء الأكثر ضرورة، وليس كمعلول لنظام مصطنع أو مشروط. كم عدد المعلولات المختلفة المستمدة من قوة الجاذبية وحدها، حيث كان يُعتقد سابقاً أنَّه من الضروري التسليم بعللٍ مختلفة (كما في حالة ارتفاع بعض الأجسام وسقوط أخرى على سبيل المثال). فقد تم التخلي عن الدوامات التي تحافظ على الأجسام السماوية في مداراتها بمجرد أن تم الاعتراف بأنَّ قوة الطبيعة البسيطة هي علة المدارات

الفلكية.(54) ويفترض لسببٍ وجيه أن تتمدد الأجسام نتيجة للحرارة، وأنَّ يكون الضوء، والطاقة الكهربائية، والعواصف الرعدية، وربما حتى القوة المغناطيسية، مظاهر مختلفة متعددة لمادةٍ واحدة مؤثرة بحد ذاتها وموجودة في كلّ مكان، أيّ الأثير.(55) وإذا وجد المرء نفسه مضطراً إلى التسليم بمبدأ جديد لشرح نوع التأثير، فإنّه يشعر بعدم الرضا التام، حتى عندما يبدو أنَّ تناظراً دقيقاً للغاية يتطلب مسلمة لتنظيم مؤسس خصيصاً ومصمم بشكلٍ مصطنع،[1] فلا يزال المرء يميل إلى اعتباره النتيجة الضرورية لقوانين أعم والاستمرار في مراعاة قاعدة الوحدة، قبل أن يلجأ إلى الشرح من حيث الشرط المصطنع. ومثال على ذلك تتكون رقاقات الثلج[2] من بلورات منتظمة جداً ودقيقة للغاية، وبعيدة كلّ البُعد عن عدم الإتقان[3] الذي ستجلبه الفرصة العمياء، بحيث يميل المرء إلى الشك في أمانة أولئك الذين قدموا لنا صوراً لهم،[4] لولا حقيقة أنَّ كلّ شتاء يمنحنا فرصاً لا حصر لها للتحقق من دقة هذه الرسوم البيانية من خبرتنا الخاصة بنا. وهناك القليل من الزهور التي تُظهر، عند الحديث فقط عن المظهر الخارجي، قدراً أكبر من الدقة والتناسب؛ ولا يقدم الفن على الإطلاق [155] دقة[5] أكبر من هذه المنتجات، التي تنشرها الطبيعة بهذه الغزارة على

(1) eine besondere künstliche Anordnung.
(2) Schneefiguren.
(3) alles Plumpe.
(4) Abzeichnungen.
(5) Richtigkeit.

وجه الأرض. ومع ذلك، لم يخطر ببال أحد أن يشرح أصلها من حيث وجود بذرة خاصة بالثلج، أو أن يتخيل تنظيم مؤسس صناعياً للطبيعة لتفسيرها. وتُعتبر بدلاً من ذلك نتائج عرضية لقوانين أعم، تُصنف تحت ذاتها بوحدة ضرورية لتشكيل هذا المنتج.(*)

ومع ذلك، فإنَّ الطبيعة غنية بنوع آخر من الإنتاج. وهنا، عندما تتأمل الفلسفة وفقاً للطريقة التي يظهر بها هذا النوع من المنتجات في الوجود، فإنَّها تجد ذاتها مقيدةً بالتخلي عن المسار الذي وصفناه للتو. ويظهر في هذه الحالة فنٌ عظيمٌ ومركبٌ مشروطٌ بعوامل تم تنفيذها باختيارٍ حر وفقاً لمقاصد معينة.[1] وهذا الفن والاختيار الحر هو أساس قانون معين للطبيعة، والذي ينتمي في حد ذاته إلى نظام الطبيعة المصطنع.[2] إذ تكشف بنية النباتات والحيوانات عن تكوين هذا النوع، وهو تكوينٌ لا يمكن شرحه من خلال الاحتكام إلى قوانين الطبيعة الكلية والضرورية. وسيكون من العبث الآن اعتبار التولد الذاتي للنبات أو الحيوان كأثرٍ ميكانيكي عرضي منبثق عن قوانين الطبيعة

* أدى تشابه الشكل الموجود بين النباتات والعفن فطري إلى حث العديد من الناس إلى اعتبار العفن الفطري بين منتجات مملكة النبات.(56) ومع ذلك، وفقاً لملاحظات أخرى، فمن المرجح أنَّه رغم انتظامها الواضح، مثل شجرة ديانا، (57) تتأثر بقوانين سامية كلية.

(1) eine zufällige Vereinbarung durch freie Wahl gewissen Absichten gemäss.

(2) welches zur künstlichen Naturordnung gehört / (künstlich has the force of 'produced by art or skill' and is to be contrasted not with 'genuine' but with 'natural').

الكلية ؛ ومع ذلك، هناك سؤال ذو شقين، ظل من دون إجابة للسبب المذكور.[58] هل تشكّل كلّ عضو بمفرده من الممالك النباتية والحيوانية من قبل الله مباشرة، وبالتالي من أصلٍ خارق للطبيعة وبالتكاثر فقط. وهذا يعني، التحول الدوري فقط لأغراض التطور الموكلة إلى قانون طبيعي؟[59][1] أم هل تمتلك بعض الأعضاء المفردة من الممالك النباتية والحيوانية، رغم تشكلها مباشرة من قبل الله وهي بالتالي من أصل إلهي، القدرة التي لا يمكننا فهمها في الواقع على توليد نوع خاص بها وفقاً لقانون انتظام الطبيعة، وليس لمجرد الكشف عنها.[60][2] هناك صعوبات بكلا الجانبين، وربما من المستحيل تحديد أيّ صعوبة هي الأكبر. ولكن اهتمامنا هنا هو بتحديد القيمة النسبية لمختلف الأسباب فحسب، بما أنّها ذات طبيعة ميتافيزيقية. وعلى سبيل المثال: في ضوء كلّ ما نعرفه، من غير المفهوم تماماً بالنسبة لنا أن تكون الشجرة قادرة، بموجب تكوين ميكانيكي ذاتي، على تشكيل ومعالجة نسغها بهذه الطريقة ؛ ذلك أنّه ينبغي أن يُحدث فيها البرعم أو البذور شيئاً يحتوي على شجرة مثلها بحد ذاتها في صورة مصغرة، أو شيء ما [156] يمكن أن تتطور عنه هذه الشجرة. والأشكال الداخلية التي اقترحها **بوفون** **Buffon**،[61] وعناصر المادة العضوية التي تتحد، في رأي **موبرتويس**، معاً بما تمليه عليها ذكرياتها ووفقاً لقوانين الرغبة والكراهية،[62] تكون

(1) und nur die Fortpflanzung, das ist, der Übergang von Zeit zu Zeit zur Auswicklung einem natürlichen Gesetze anvertraut sei.
(2) auszuwickeln.

إما مبهمة كالشيء في ذاته، أو أنَّها ابتكارات اعتباطية بالكامل. ولكن، بغض النظر عن هذه النظريات، هل يلتزم المرء لهذا السبب بتطوير نظرية بديلة بنفسه، وتكون نظرية تعسفية تماماً، أيّ بما أنَّ طريقة حدوثها الطبيعي مبهمة لنا، فلابدّ أن يكون جميع هؤلاء الأفراد ذو أصلٍ خارق للطبيعة؟ هل سبق لأحدٍ أن قدّم شرحاً ميكانيكياً لقدرة الخميرة على توليد نوعها؟ مع أنَّ المرء لا يحتكم لهذا السبب إلى أساس خارق للطبيعة.

وفي هذه الحالة، يُعتبر أصل جميع هذه المنتجات العضوية خارقاً للطبيعة تماماً. ومع ذلك، من المفترض أنَّ يغادر الفلاسفة الطبيعيون بشيءٍ عندما يُسمح لهم بالعبث بمشكلة أسلوب التكاثر التدريجي.(63)[1] ولكن خذ بالاعتبار: أنَّ الخارق للطبيعة لا ينقص بهذه الطريقة، وسواء كان التولد[2] الخارق للطبيعة يحدث في لحظة الخلق، أو ما إذا كان يحدث تدريجياً، وفي أوقات مختلفة، فإنَّ درجة الخارق للطبيعة ليست أكبر في الحالة الثانية مما هي عليه في الحالة الأولى. ولا يتعلق الفرق الوحيد بينهما بدرجة الفعل الإلهي المباشر بل بالزمان فحسب. أما النظام الطبيعي للتجلي[3] المذكور أعلاه: فهو ليس قاعدة لإخصاب الطبيعة، بل منهجٌ عقيم للتهرب من القضية.[4] ولأنَّه لا

(1) allmähligen Fortpflanzung.
(2) übernatürliche Erzeugung.
(3)-Auswickelung.
(4) eine Methode eines unnützen Umschweifs.

يدّخر بالتالي أقل درجة من الفعل الإلهي المباشر. وبناءً على ذلك، لا يمكن تجنب البدائل التالية: إما أن يُعزى تكوين الفاكهة مباشرة إلى فعلٍ إلهي، يجري عند كلّ تزاوج، أو يجب أن تمنح بدلاً من ذلك، منظومة إلهية أولية للنباتات والحيوانات القدرة، ليس فقط على تطوير[1] نوعها بعد ذلك وفقاً للقانون الطبيعي، بل لتوليد(64)[2] نوعها بالفعل.

وكان الغرض من هذه الاعتبارات هو ببساطة إظهار أنه يجب على المرء أن يمنح أشياء الطبيعة إمكاناً أكبر من الممنوح عموماً، لإنتاج معلولاتها وفقاً لقوانين كلية.

(1)-entwickeln.
(2) erzeugen.

# التأمل الخامس:
# يبرهن فيه على عدم ملاءمة المنهج الفيزيائي - اللاهوتي المعتاد

## 1. الفيزيائي - اللاهوتي بشكلٍ عام

يمكن اختزال جميع الطرق التي يمكن معرفة وجود الله فيها من المعلولات التي يحدثها إلى الأنواع الثلاثة التالية. [157] أولا: يتم التوصل إلى هذه المعرفة من خلال إدراك ما يعوق نظام الطبيعة ويشير مباشرةً إلى القوة التي تخضع لها الطبيعة؛ تُقدم هذه القناعة من خلال المعجزات. ثانياً: إنَّ نظام الطبيعة المشروط، الذي يدرك المرء بوضوح أنَّه ما كان ممكناً إلا في العديد من الطرق الأخرى التي يتألق فيها الفن العظيم والقوة والخير، يؤدي إلى الخالق الإلهي. ثالثاً: الوحدة الضرورية المُدركة في الطبيعة، والنظام الأساسي للأشياء، الذي يتوافق مع قواعد الكمال العظيمة، وباختصار ما هو ضروري في انتظام الطبيعة، يؤدي إلى مبدأ أسمى، ليس فقط لهذا الوجود، ولكن لكلّ إمكان بالفعل.

عندما وقع الناس في وحشية كاملة، أو عندما طُمست أعينهم بسبب شر شديد خانق،[1] ظهر أنَّ المنهج الأول فقط كان لديه كلّ قوة لإقناعهم بوجود الكائن الأعلى. ومن ناحية أخرى. فإنَّ روحاً ودودة جداً تتأمل الأشياء بطريقة صحيحة وترى الجمال المشروط إلى حدٍ كبير والمركب الهادف الذي يقدمه نظام الطبيعة، تجد دليلاً كافياً هناك لاستنتاج الوجود الملازم للإرادة من خلال الحكمة والقوة العظيمة. وبقدر ما يُفترض أن تكون هذه القناعة كافية لإنتاج سلوك فاضل، أي يُفترض أن تكون مؤكدة من الناحية الأخلاقية، يمكن الوصول إليها عن طريق التصورات العادية للفهم. أما المنهج الثالث للاستدلال: فشرطه المسبق الضروري هو الفلسفة، فالفلسفة وحدها القادرة إلى أقصى حد، من خلال تميّزها واقتناعها الملائم لحجم الحقيقة المعنية، على الوصول إلى الشيء المعني.[2]

ويمكن أن ندعو المنهجين الأخيرين بالفيزيائي - اللاهوتي؛ لأنَّهما يشيران إلى الطريقة التي تقود من تأملات الطبيعة إلى معرفة الله.

## 1 -مزايا وعيوب الفيزيائي - اللاهوتي العادي

تتمثل السمة الرئيسية للمنهج الفيزيائي - اللاهوتي، كما تمت ممارسته حتى الآن، فيما يلي: يبدأ بالكمال والانتظام المفهوم بشكلٍ

(1) halsstarrige Bosheit.

(2) يتطلب النوع الثالث من الاستدلال بالضرورة حكمة دنيوية، ودرجة أعلى منه فقط قادرة على الوصول إلى الشيء ذاته بوضوح وقناعة تتوافق مع حجم الحقيقة.

مناسب من حيث كونها مشروطة. ويتم عندئذ إثبات الطابع المصطنع للنظام بالإشارة إلى جميع العلاقات الهادفة التي يحتويها. ويستدل عند ذلك على وجود إرادة حكيمة وخيّرة من ذلك النظام المصطنع. ويتم بعد ذلك الجمع بين تصور القوة غير القابلة للقياس للخالق والتصور الذي ورد في الأعلى للإرادة الحكيمة والخيّرة. ويتأثر الجمع بين التصورين عن طريق التأمل الإضافي في حجم الخلق. [158]

وهذا منهجٌ رائع، أولاً: القناعة التي ينتجها تجعل الاحتكام القوي إلى الحواس؛ نتيجة لذلك، حياً جداً، ومقنعاً. ويكون هذا المنهج بالتالي سهل الاستيعاب وواضح حتى للفهم المألوف أكثر. ثانياً: إنَّه طبيعي أكثر من أي منهج آخر، لأنَّه ليس هناك شك من أنَّ الجميع يبدأ في البداية من هذا الدليل. ثالثًا: يقدم تصوراً(1) بديهياً جدًا عن الحكمة العظيمة، وكذلك عناية وقدرة الكائن الجدير بعبادتنا.(65) إنَّ هذا التصور الحدسي يستحوذ على الروح ويملؤها بطريقة أقوى، بذهولٍ، وتواضع ووقار.(*) والمنهج عملي أكثر بكثيرٍ من أيِّ منهج

(1) einen sehr anschauenden Begriff.

* عندما آخذ بالاعتبار، من بين أمور أخرى، الملاحظات الجهرية للدكتور هيل Hill، والتي يمكن العثور عليها في مجلة هامبورغ؛ (66) أرى عندها العديد من الأنواع الحيوانية في قطرة واحدة من الماء، إذ تهدف الأنواع المفترسة المجهزة بأدوات التدمير، إلى السعي وراء فريستها، ولكنها تُباد بدورها من قبل الطغاة الذين لا يزالون الأقوى في هذا العالم المائي؛ وعندما أفكر ملياً في المؤامرات والعنف ومشاهد الاضطراب في جسيم واحد من المادة، ومن ثم أقوم بتوجيه نظري إلى الأعلى إلى مساحات لا يمكن قياسها من السماء التي تعج بالعوالم كما هو الحال =

آخر، وحتى من وجهة نظر الفيلسوف. صحيح أنَّه لا يصادف هنا فكرة مجردة محددة عن الإله بسبب استفساره وفهمه المفعم بالحيوية. وصحيح أيضاً أنَّ يقين الدليل ليس رياضياً في طبيعته، بل أخلاقياً. ولكن العديد من الأدلة، وكلّ هذه القوة العظيمة، تستحوذ على روح الفيلسوف؛ وينتج التفكر بثقة معينة، وبهدوء في خطى الاقتناع الراسخ بالفعل في روحه. إذ من غير المرجح أن يغامر أيّ شخص بسعادته الكاملة بناءً على صحة دليل ميتافيزيقي مزعوم، خاصةً إذا واجه ذلك الدليل اعتراضات حيّة تحتكم إلى الحواس. وتكون قوة الاقناع التي يقدمها هذا المنهج، والتي تحتكم لسبب ما إلى الحواس، حازمة للغاية ولا تتزعزع ولا تتأثر كذلك بأيّ تهديدات لها بسبب خطابات[1] وتمييزات منطقية، ويتعذر الوصول إليها بقوة الاعتراضات المقدمة من قبل السفسطائية.[2] وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ هذا المنهج له عيوبه وتُعتبر كافية، رغم أنَّ هذه العيوب، وهذا قولٌ صحيح، لا تنتمي إلا إلى إجراء أولئك الذين استخدموا هذا المنهج.

---

مع بقع الغبار - عندما أفكر ملياً في هذا كلّه، لا يمكن لأي لغة بشرية التعبير عن المشاعر التي أثارها مثل هذا التفكير. وكل تحليل ميتافيزيقي دقيق أقل بكثير من الميزة السامية والوقورة لهذا الحدس.

(1) Schlussreden (تعني القياس المنطقي ومرادفاتها "المترجم" هي syllogisms: B / C: sillogismi / ) وتعني كل من / T: epilogues / F: épilogues خاتمة الكتاب / حجج Z: arguments / وقد تعني كلمة " Schlussrede الخطاب الختامي" [وقد تكون ذات معنى ضئيل في هذا السياق]، ولكنها تعني أيضاً "القياس المنطقي") .

(2) die Macht der spitzfündiger Einwürfe.

1. يعتبر الفيزيائي اللاهوتي كلّ كمال وانسجام وجمال الطبيعة على أنَّها شروطاً وتنظيماً كونته الحكمة، في حين أنَّ العديد من هذه الأشياء يصدر بوحدة ضرورية عن قواعد الطبيعة الأكثر أهمية. والعامل الأكثر ضرراً هنا [159] بافتراض الفيزيائي اللاهوتي هو هذا: يعتبر شرط كمال الطبيعة ضرورياً إلى أقصى حد للبرهان على وجود خالق حكيم. وعواقب هذا الافتراض هي أخذ جميع التناغمات الضرورية الموجودة بين الأشياء في العالم بالاعتبار على أنَّها اعتراضات خطيرة.

ولإقناع نفسك بأنَّ هذا خطأ، ضع في اعتبارك الحجة التالية: يمكن النظر إلى الكُتاب الذين يتبنون هذا المنهج على أنَّهم عازمين على تحريف منتجات الممالك النباتية والحيوانية، الغنية بمقاصد نهائية لا حصر لها،[1] ليس فقط عن قوة الصدفة، ولكن أيضاً عن الضرورة الميكانيكية للقوانين الكلية للطبيعة المادية. وليس لديهم في هذا أقل صعوبة، وغلبة الأسباب من جانبهم حاسمة للغاية. ومع ذلك عندما يتحولون من الطبيعة العضوية إلى غير العضوية، يستمرون في استخدام المنهج ذاته. لكنهم يجدون دائماً أنفسهم منغمسين هنا في صعوبات لا يمكنهم أن يتخلصوا منها؛ بسبب الطابع المتغير للأشياء التي يتم فحصها. ويستمرون في الحديث عن الاتفاق المنسجم الذي أنشأته الحكمة العظيمة بين الخصائص العديدة المفيدة للغلاف الجوي،

(1) Endabsichten.

والسحب والمطر والرياح والغسق وما إلى ذلك. ويتحدثون كما لو أنَّ الخاصية التي يكون الهواء من خلالها مسؤولاً عن إنتاج الرياح، ويتم من خلالها سحب الأبخرة، أو يصبح من خلالها أكثر ندرةً على ارتفاعات أعلى، يتم توحيدها معاً باختيار حكيم. ويفسرون هذا الاتحاد للخصائص المفيدة معاً بالطريقة ذاتها تماماً التي يفسرون بها اتحاد الخصائص المختلفة معاً عند الحيوان، ففي حالة العنكبوت، على سبيل المثال، يكون الاتحاد معاً في نظام العيون المختلفة التي تراقب من خلالها فريستها، والثؤلول الذي يُسحب منه خيط العنكبوت من خلال الحلمة، والمخالب الرقيقة وحتى كرات قدميه التي يربط من خلالها الخيوط معاً أو يتمسك بها. وفي هذه الحالة الأخيرة، من الواضح أن وحدة جميع المزايا مجتمعةً (التي يتكون فيها الكمال) تكون مشروطة ويمكن أن تُنسب إلى خيارٍ حكيم، في حين أنَّها ضرورية في الحالة الأولى: إذا تم إرجاع واحدة فقط من القدرات المذكورة أعلاه إلى الهواء، فلا يمكن فصل الأخرى عنها. ولمجرد أنَّه لا يتم الاعتراف بأيّ منهج آخر للحكم على كمال الطبيعة إلا ذلك الذي ينطوي على الاحتكام إلى الشرط الذي تقدمه الحكمة، يترتب على ذلك أنَّ أيّ وحدة ممتدة على نطاقٍ واسع، بقدر ما يتم الاعتراف بوضوح بأنَّها ضرورية، فإنَّها تشكل استثناءً خطيراً. وسنرى حالاً، وفقاً لمنهجنا أيضاً، أنَّ الحكمة الإلهية يُستدل عليها من هذه الوحدة. ولكن لا يُستدل على هذه الوحدة من الخيار الحكيم كسبب لها. بل هي مشتقة من أساس في الكائن الأسمى الذي يجب أن يكون أيضاً أساساً لحكمة

عظيمة فيه. وبالتالي الوحدة مشتقة من كائن حكيم، وليس من خلال حكمته.[1] (67)

2. هذا المنهج ليس ذات طابع فلسفي وافي. علاوة على أنَّه [160] شكّل في كثير من الأحيان عقبةً خطيرة أمام نشر المعرفة الفلسفية. وحالما يتم الاعتراف بأنَّ شرط الطبيعة مفيد، يكون هناك اتجاهاً عاماً لشرحه مباشرة من حيث مقصد الإرادة الإلهية، أو من حيث نظام الطبيعة الذي قد يتشكل على أيّ حال بشكلٍ خاص ومصطنع. وقد تم اعتماد هذا الشرح لسبب من اثنين: إما أنَّ المرء لديه فكرة ثابتة في ذهنه بأنَّ الأحداث الطبيعية لا يمكن أن تنتج مثل هذا الانسجام فقط عن طريق قوانين الطبيعة الأعم وحدها، أو شعر بدلاً من ذلك، أنَّه إذا اعترف بأنَّ عمليات الطبيعة يمكن أن تقدم مثل هذه النتائج، فسيكون القبول بمثابة نسب كمال الكون إلى صدفة عمياء، وستكون نتيجة ذلك أن يبقى الخالق الإلهي غير معتَرف به.[2] ونتيجة لذلك، يتم فرض حدود على البحث الطبيعي في مثل هذه الحالات، وينأى السبب المهين بنفسه عن أيّ تحقيق آخر؛ لأنَّ مثل هذا التحقيق يُعتبر هنا على أنَّه فضول متطفل.[3] والتحيز هو أكثر خطورة؛ كونه يمنح الكسول ميزةً على

(1) wohl von einem weisen Wesen, aber nicht durch seine Weisheit.
(2) verkannt.
(3) Vorwitz.

المستفسر الدؤوب. وهو يفعل ذلك تحت ذريعة التذمر والخضوع تماماً للخالق العظيم، الذي يجب أن تتوحد في معرفته كلّ الحكمة.[68] ومثال على ذلك، إحصاء استعمالات لا حصر لها للجبال. فحالما يتم جمع عدد كبير منها، بما فيها تلك التي لا غنى عنها للجنس البشري، يعتقد أحدهم أنَّ المرء يحق له أن يعتبرها بمثابة تنظيم أنشأه الله مباشرةً؛ لأنَّها في نظرهم، باعتبارها نتيجة قوانين الحركة الكلية (حيث لا يُعتقد أنَّه من المفترض أن يكون لهذه الأخيرة أيّ علاقة بالنتائج الجميلة أو المفيدة، ما لم يكن ذلك عن طريق الخطأ) ستكون بمثابة نسب استخدام كان حاسماً للجنس البشري إلى صدفةٍ عمياء.[69] ويصحُ الشيء ذاته على ما يُقال عن أنهار الأرض. فإذا استمع المرء إلى ما يجب أن يقوله مؤلفون فيزيائيين لاهوتيين، فسيتم إقناع المرء بتخيل أنَّ أحواض النهر قد تم تجويفها جميعها من قبل الله.[70] ولا يمضي المرء بطريقة فلسفية، إذا اعتبر كلّ جبل بمفرده أو كلّ نهر بمفرده كمقصدٍ خاص من الله لا يمكن أن يتحقق من خلال تطبيق القوانين الكلية، إذا كان المرء يمضي بتخيل الوسائل التي قد استخدمها الله لإحداث هذه المعلولات الفردية؛ لأنَّ هذه النتيجة، وفقاً لما تم عرضه في التأمل الثالث من هذا القسم، ستظل خارقة للطبيعة. وفي الواقع، نظراً لأنَّه لا يمكن شرحها من حيث نظام الطبيعة (لأنَّها نشأت فقط كحدث فردي نتيجة لحكم خاص)، يترتب على ذلك أنَّ إجراء الحكم هذا يستند إلى فكرة خاطئة عن تفوق الطبيعة ذاتها إذا فُسرت على أنَّه يجب توجيهها بقوة نحو حالةٍ

فردية. وفي رأينا المُعتبر، لا يمكن اعتبار مثل هذه الطريقة إلا وسيلةً لتجنب [161] القضية،[1] وليست طريقةً للحكمة.(*) أقنع نيوتن نفسه، عن طريق براهين غير قابلة للجدل، بأنَّ شكل الأرض كان يشبه ذلك: أنَّ اتجاه جميع قوى الجاذبية، المعدّلة بقوة الطرد المركزي للدوران،[2] تبقى عمودية بالنسبة لسطح الأرض. وخلصَ من ذلك إلى أنَّ الحالة الأولية للأرض كانت سائلة، وافترض هذا الشكل تماماً كنتيجة لدورانها وفقاً لقوانين ثابتة. ولا أحد يعرف أفضل منه المزايا الكامنة في وجود هذا الشكل الكروي للجسم السماوي. كما أنَّه كان على دراية كأيّ شخص أيضاً بتقعر الكرة عند القطبين، وهو التقعر الذي كان ضرورياً إلى أقصى حد إذا تم منع التأثيرات الضارة للدوران المحوري. وهذه كلّها تنظيماتٌ تستحقُ خالقاً حكيماً. ومع ذلك، لم يتردد نيوتن في اعتبارها نتائج لقوانين الميكانيكا الأكثر ضرورة. كما أنه

(1) ein Mittel des Umschweifs.

◆ في تلك الحالات التي يخبرنا فيها الوحي بأنَّ الشيء الذي حدث في العالم هو حدث غير عادي ووضع إلهي، فمن المرغوب فيه تقييد توق الفلاسفة لتقديم عرض عامٍ لتكهناتهم المادية. ولا يجعلون الدين مصلحة. بل على العكس من ذلك، فإنَّ تكهناتهم تثير الشك ببساطة في أنَّ الحدث الذي توسعوا بشرحه لأسباب طبيعية قد يكون في الواقع حدثاً طبيعياً. وهذه هي الحالة التي يُنسب فيها تدمير جيش سانهيرب Sanherib إلى الرياح ساميل Samyel. وفي مثل هذه الحالات، كثيراً ما تجد الفلسفة ذاتها أمام صعوبات، كما يحدث في نظرية ويستون Whiston، حيث تُستخدم المعرفة الفلكية للمذنبات بشرح الكتاب المقدس.(71)

(2) alle durch den Drehungsschwung veränderte Richtungen der Schwere.

لم يخش أن يُغفل عند القيام بذلك الإشارة إلى المسيطر العظيم على كلّ الأشياء.[72]

وهكذا، يمكن بالتأكيد افتراض أنَّ **نيوتن**، عند محاولته شرح بنية الكواكب، وثوراتها وموقع مداراتها، لم يكن قد لجأ إلى الشرح مباشرةً من حيث الحكم الإلهي، ما لم يكن قد حكم بأنَّ الشرح الميكانيكي كان مستحيلاً - مستحيل، ليس لكونه غير قادر على شرح التنظيم والنظام بشكلٍ عام (وإلا لم يقلقهُ هذا العجز في الحالة المذكورة سابقاً)، بل لأنَّ الفضاءات السماوية كانت فارغة ولأنَّه لم يكن هناك أيّ تفاعل سببي بين الكواكب لإثبات مداراتها في مثل هذه الحالة.[73] ولكنه افترض أنَّها حدثت له ليسأل ما إذا كانت هذه الفضاءات دائماً فارغة، وما إذا لم يكن من الممكن، على الأقل في الحالة الأسبق للكل التي تم فيها ملء هذه الفضاءات ربما وربطها ببعضها، أن يتم إحداث التأثير المذكور أعلاه والحفاظ عليه بعد ذلك في الوجود،[74] ولنفترض أنَّه كان يمتلك سبباً وجيهاً لقبول هذه الفرضية المتعلقة بالحالة الأولية للكون - إذا تم تقديم هذه الافتراضات، فمن المؤكد أنَّ **نيوتن**، وفي أسلوب صحيح فلسفياً، سوف يبحث عن أسس لتكوين بنية الكون في القوانين الكلية للميكانيكا.[75] ولم يكن، [162] لهذا السبب، قلقاً من أن يُخرج هذا الشرح أصل العالم من أيدي الخالق ويسلمه لقوة الصدفة.[76] لذلك لا يحق للكسول الراضي عن نفسه أن يستخدم مثال **نيوتن** المعروف جيداً كذريعةٍ لتعامل مع الاحتكام المفرط إلى حكمٍ إلهي وموضوع مباشرة كما لو كان شرحاً بالمعنى الفلسفي للكلمة.

بالطبع، يوجد تنظيمات لا حصر لها في الطبيعة تكون مشروطة، بموجب قوانين الطبيعة الكلية. وعلى هذا النحو، ليس لها أساسٌ آخر سوى مقصده الحكيم الذي أراد ربطها بهذه الطريقة وليس بطريقة أخرى. ومع ذلك، لا يتم استنتاج نتيجة مخالفة. وإذا كان الاتصال الطبيعي منسجم بما يتوافق مع خيارٍ حكيم، فلا يترتب على ذلك أيضاً، أن يكون بموجب قوانين السببية الكلية، مشروطاً، أو تم وضعه بشكلٍ خاص من خلال حكم مصطنع. وغالباً ما يحدث بطريقة التفكير هذه أن تُرتكب أخطاء حول الأهداف المتخيلة للقانون. وبصرف النظر عن الخطأ ذاته، يوجد بالتالي عيبٌ إضافي هو أنَّ المرء يفشل في ملاحظة العلل الفاعلة التي تعمل، حينما يلتزمُ مباشرة بالمقصد الذي يكون مجرد خيال. وبهذا الشأن اعتقد **سوسميلش Süssmilch** ذات مرة أنَّه اكتشف سبب وجود غلبة ولادة الذكور على الإناث. وافترض أنَّ السبب يكمن في الغرض الإلهي للتعويض عن عددهم الأكبر بسبب النقص الذي يعاني منه الجنس الذكري بدرجة أعلى من الإناث كنتيجة للحرب والانخراط في أنواع الاحتلال الأكثر خطورة.[77] ومع ذلك، علَّمت الملاحظات اللاحقة هذا الإنسان الحذر والمعقول أنَّ فائض الأولاد قد تضائل جداً بسبب الموت خلال سنوات الطفولة بحيث وصل عدد الذكور أقل من الإناث في ذلك العمر وعندها أمكن للعوامل المذكورة سابقاً أن تبدأ بتوضيح النقص.[78] وهناك سببٌ للاعتقاد بأنَّ هذه الظاهرة الرائعة هي الحالة التي قد تُصنف تحت قاعدة أعم بكثير، أيّ، أنَّ القسم الأقوى من الجنس البشري له حصة أكبر في

عمليـة الإنجـاب، لـذلك يصبح نوعـه الخـاص بـه سـائداً في نتاجات الجانبين. ومن ناحية أخرى، إذا كان هناك شيء لديه المقدرة على تحقيق مقدار أكبر من الكمال، فسيتطلب المزيد إذا واجه أثناء تطوره جميع الشروط اللازمة لتحقيق هذا الكمال. ولهذا السبب، فإنَّ عدد أولئك من النوع الأقل كمالاً الذين يحصلون على درجة الكمال المناسبة لنوعهم سيكون أكبر من أولئك الذين يتطلب تحقيق كمالهم تنافساً أكبر من حيث الأسس.[1] وليكن ما يكون، يمكن أن نلاحظ على الأقــل أنَّ الاحتكــام إلى أســس أخلاقيــة يعــوق امتــداد الفهــم الفلسـفي.[163] وبعبـارة أخـرى، يـتم اعاقـة امتـداد الفهـم الفلسـفي باللجوء إلى شروحات من حيث الأهداف، في الحالات التي يُفترض فيها أن تحدد الأسباب الطبيعية التأثير كنتيجة لارتباطها بالقوانين الضرورية والأعم.

3. يمكـن أن يفيـد المنهج الفيزيـائي اللاهـوتي فقـط كبرهـان على وجود الخالق للروابط والمركبات المصطنعة في العـالم؛ لا يبرهن على وجـود خـالق للمـادة ذاتهـا، ولا يـبرهن علـى أصـل الأجـزاء المكونـة للكون.[79] ويجب أن يفضح هذا العيب الكبير كلّ أولئك المنتفعين بحد

(1) dass aber dagegen, weil mehr dazu gehört, dass etwas welches die Grundlage zu grösserer Vollkommenheit hat, auch in der Ausbildung alle zu Erreichung derselben gehörige Umstände antreffe, eine grössere Zahl derer von minder vollkommener Art den Grad der Vollständigkeit erreichen werde, als derjenigen, zu deren Vollständigkeit mehr Zusammentreffung von Gründen erfordert wird.

ذاتهم من هذا المنهج الوحيد للخطأ المعروف على أنَّه "إلحاد متكرر".[1] ووفقاً لهذا النوع من الإلحاد، يُنظر إلى الله بصرامة على أنَّه مهندساً للعالم وليس خالقاً له: يأمر ويشكّل المادة، لكنه لا ينتجها أو يخلقها. وبما أنَّني سوف آخذ بالاعتبار هذا القصور في التأمل التالي،[80] فسأكتفي بملاحظته فحسب هنا.

وبالمناسبة، المنهج الذي نأخذه بالاعتبار هو واحدٌ من العديد من المناهج التي تنسجم أكثر مع كرامة وضعف الفهم الإنساني. ويوجد بالفعل تنظيمات لا حصر لها في الطبيعة، يجب أن يكون أساسها المباشر هو الغاية المطلقة لخالقها. والمسار الذي يقود بسهولةٍ أكبر إليه هو ذلك الذي يأخذ في الاعتبار تلك الأحكام التي تخضع مباشرةً لحكمته. لذلك، من الصحيح والمناسب أن يحاول المرء صقل المنهج بدلاً من مهاجمته، وأن يصحح أخطاءه بدلاً من احتقاره بسببها. وهذا هو الغرض من التأمل التالي.

---

(1) الإلحاد الأصغر.

# التأمل السادس:
# المنهج الفيزيائي اللاهوتي المعدّل

**1. النظام والملاءمة مؤشران على وجود خالق ذكي، لذلك هما ضروريان.**

لا يمكن لشيء أن يُلحق الضرر بفكرة الخالق الإلهي للكون، ولا يمكن لأيّ شيء أن يكون غير معقول، أكثر من الرغبة في أن تُنسب إلى الصدفة العمياء قاعدة عظيمة ومثمرة للملاءمة والفائدة والتناغم. ومثال على هذه النظرية هو انحراف الذرات في نظام **ديمقريطس Democritus** وأبيقور **Epicurus**.[81] ولا أقترح أن تستمر في السخف والعمى المتعمد بطريقة التفكير هذه؛ لأنَّه تم توضيحها من قبل الآخرين. ومع ذلك ألاحظ أنَّ الضرورة المدركة في علاقة الأشياء بالمركبات المنتظمة، واتصال القوانين المفيدة بالوحدة الضرورية، وفّرت برهاناً على خالقٍ حكيم، تماماً مثل الحكم الأكثر عرضية والمبتكر بشكلٍ مصطنع، رغم أنَّ طبيعة الاعتماد على الله [164] يجب فهمها بشكلٍ مختلف في الحالتين. ودعني اشرحُ ما أعنيه. يشيرُ وجود النظام والانسجام ذات الفائدة المتنوعة بشكلٍ عام إلى وجود خالقٍ ذكي؛ ويفعل ذلك حتى قبل أن ينظر المرء فيما إذا كانت هذه العلاقة ضرورية

للأشياء أو مشروطة. ووفقاً لأحكام العقل السليم العادي، فإنَّ سلسلةً من التعديلات التي يخضع لها العالم، أو ذلك الترابط بالأحداث الذي يشبه الترابط البديل الممكن في مكانها، أثناء تقديم دليل واضح على المشروط، تؤثر قليلاً في إحداث الفهم الذي يفترض وجود خالق. والفلسفة مطلوبة لهذا الغرض، رغم أنَّ توظيفها في هذه الحالة أيضاً أمرٌ معنيٌ ودقيق.[1] ومن ناحية أخرى، فإنَّ الانتظام الكبير والتناغم في الانسجام[2] المعقد هو أمرٌ محير، وحتى الحس المشترك يجد ذاته غير قادر على تصور غياب الخالق الذكي. وسواء كانت إحدى قواعد الملاءمة متأصلة بشكلٍ أساسي في قاعدة أخرى أم لا، وسواء كان ارتباطها هو النتيجة المختارة أم لا، تُعتبر كلٌ من الصدفة الحاصلة للنظام والانتظام، وظهورها العفوي في العديد من الأشياء، ولكلّ منها وجودها الخاص المميز لها، ببساطة مستحيلة. والسبب بموجب إمكانها، هو أنَّ الانسجام الواسع لا يُعطى على الإطلاق بشكلٍ ملائم في حالة غياب الأساس الذكي. ويمكن النظر إليها عند ذلك على أنَّها تعبيراً مباشراً عن الفرق الكبير بين طرق الحكم على الكمال وفقاً لأصله.

(1)-verwickelt und schü pferig.
(2)-Wohlgereimtheit in einem vielstimmichten Harmonischen.

**2. يشير[1] النظام الضروري للطبيعة بحدّ ذاته إلى خالق المادة المنظمة للغاية.**

بقدر ما يُنظر إلى نظام الطبيعة، على أنّه مشروطاً ومنبثقاً عن قوة اختيار الكائن الذكي، ليس دليلاً بأيّ حال من الأحوال على أنّ أشياء الطبيعة، المرتبطة على نطاقٍ واسع في هذا النظام، تدينُ أيضاً بوجودها لهذا الخالق. لأنَّ المركب وحده هو الذي يفترض خطةً ذكية. ولهذا السبب أيضاً، استمد **أرسطو**، إلى جانب العديد من فلاسفة العصور القديمة الأخرين، ليس مادة أو أمور الطبيعة، بل شكلها فقط من الله.[82] وربما، ليس الوحي فقط من علّمنا الاعتماد الكامل للعالم على الله بل إنَّ الفلسفة بذلت أيضاً الجهد المطلوب للنظر إلى أصل الأشياء ذاتها، التي تشكّل المادة الخام للطبيعة، كشيء غير ممكن بشكلٍ مستقل عن الخالق. وأشكّ فيما إذا كان أيّ شخصٍ قد نجح في إثبات هذه الأطروحة، وسأقدم أسباباً لرؤيتي في القسم الأخير.[83] وعلى أيّ حال، بقدر ما يشير النظام المشروط للأجزاء في العالم إلى أنّه تولد من قوة الاختيار، لا يمكن أن يساهم أيّ شيء [165] بإثباته. خذ مثال عن بنية الحيوان. ترتبط أعضاء إدراكه الحسي بأعضاء الحركة الإرادية والحياة، وبربطها بهذه الطريقة البارعة التي لفتت انتباه المرء إليها ذات مرة، يجب على المرء من خلال التصرف[2] غير السليم (لأنّه لا يمكن

(1)-bezeichnet.
(2) boshaft.

لأحد أن يكون غير معقول جداً) عدم الاعتراف بوجود خالق حكيم، نظّم بشكلٍ ممتاز جداً المادة التي تكوّنَ الحيوان منها. ولا يمكن استنتاج أكثر من هذا من مثالنا. وسواء كانت هذه المادة موجودة إلى الأبد ومستقلة في حد ذاتها، أو ما إذا تم إحداثها أيضاً من قبل هذا الخالق ذاته - فهذه قضايا لا يمكن البتّ فيها بالرجوع إلى مثالنا. ومع ذلك، يختلف حكم المرء تماماً عندما يدرك أنَّ كلّ كمال طبيعي ليس عملاً بارعاً، بل ترتبط القواعد ذات الفائدة العظيمة أيضاً معاً بوحدة ضرورية، ويلازم هذا الاتفاق إمكانيات الأشياء بحد ذاتها. ولكن كيف يحكم المرء في حالة هذا الإدراك للأشياء؟ وهل هذه الوحدة، وهذا الانسجام المثمر ممكن بمعزل عن الخالق الحكيم؟ إنّ العنصر الصوري لهذا الانتظام الكبير والمتنوع يحظّر هذا الاستنتاج. ولكن بما أنَّ هذه الوحدة مبنية بذاتها على إمكانيات الأشياء بحد ذاتها، فيجب أن يكون هناك كائن حكيم، وفي حالة عدم وجوده لن يكون أيّ من هذه الأشياء الطبيعية ممكناً بذاته، كأساس عظيم لها تتحد فيه ماهيات هذه الأشياء الطبيعية المتعددة في هذه العلاقات المنظمة. ولكن من الواضح أنَّه ليس فقط طريقة ارتباطها، بل الأشياء بحد ذاتها، ممكنة فقط بموجب هذا الكائن. وهذا يعني أنَّها لا يمكن أن توجد إلا كمعلولات لهذا الكائن. وهذه هي الحجة التي تكشف أولاً عن الاعتماد الكامل للطبيعة على الله. والآن إذا طُرح السؤال التالي: "كيف تعتمد هذه الطبائع على هذا الكائن حتى أستطيع أن أفهم انسجامها مع قواعد الحكمة؟" - وإذا طُرح هذا السؤال، يجب أن أجيب: "تعتمد على

شيء ما في هذا الكائن الذي هو، كونه يتضمن أساس إمكان الأشياء، أيضاً أساس تلك الحكمة الخاصة بالكائن؛ لأنَّ هذه الحكمة تفترض مسبقاً إمكان للأشياء بشكلٍ عام.(*) ولكن المانح لهذا الأساس، الذي لا يكمن فقط بماهية كلّ الأشياء بل أيضاً ماهية الحكمة والخير والقوة، هو الوحدة، ويترتب على ذلك أنَّ كلّ إمكان يجب أن ينسجم بالضرورة مع هذه الخصائص. [166]

### 3 - قواعد المنهج الفيزيائي اللاهوتي المنقح

ألخصُ بإيجاز قواعد المنهج الفيزيائي اللاهوتي المنقّح على النحو التالي، إذا افترضنا بثقةٍ أنَّ قوانين الطبيعة الكلية، تكون بموجب اعتمادها على كائن إلهي، مثمرة في طبيعتها، فإنَّ المرء يمكنه أن يمضي بالأسلوب التالي:

1 - حتى في حالة تلك المكونات ذات الفائدة الأكثر في الطبيعة، سوف يبحث المرء دائماً عن سبب لهذه التصرفات المفيدة بين تلك القوانين الكلية التي ارتبطت، بالإضافة إلى تقديم نتائج مناسبة أخرى

---

(*) تفترض الحكمة أنَّ الانسجام والوحدة ممكنان في العلاقات. ولا يمكن أن يكون هذا الكائن المستقل بطبيعته حكيماً إلا بقدر ما يحتوي على أسس للانسجام والكمالات الممكنة أيضاً والتي تتوفر بحد ذاتها بسبب علاقتها بهذا الكائن. وإذا لم يتم العثور على علاقة من هذا القبيل بين النظام والكمال في إمكانات الأشياء، فستكون الحكمة كائناً خرافياً. ولكن إذا لم يكن هذا الإمكان قائماً بحد ذاته في الكائن الحكيم، فلن تعد هذه الحكمة مستقلة في هذا الصدد.

مرتبطة بها أيضاً، بوحدةٍ ضرورية، وبنتيجة هذه التأثيرات الخاصة أيضاً.

2 - سوف يلاحظ المرء عنصر الضرورة في هذا المركب من أشكال مختلفة للتلاؤم في أساس واحد. ومن المهم القيام بذلك لسببين. أولاً: تختلف الطريقة التي يُستدل من خلالها على اعتماد الأشياء على الله من هذا المركب الضروري من أشكال مختلفة للتلاؤم في أساس واحد، عن الطريقة التي يُستدل من خلالها على التبعية ذاتها من الوحدة التي تمّ ابتكارها بشكلٍ مصطنع واختيار مقصود. ثانياً: هناك فرق بين ما هو ناجمٌ عن قوانين ثابتة وضرورية وما هو ناتجٌ عن صدفةٍ عمياء.

3 - سيفترض المرء أنَّ الوحدة الضرورية الموجودة في الطبيعة أعظم من أن تلمحها العين. ولن يكون هذا الافتراض فقط في حالة الطبيعة غير العضوية،[1] بل أيضاً في حالة الطبيعة العضوية[2] كذلك. لأنّه حتى في حالة بنية الحيوان التي، ويمكن افتراض أن يكون هناك تنظيم واحد، لديها التلاؤم الخصب لإنتاج العديد من النتائج المفيدة المختلفة.[3] وقد نفترض في البداية، أنَّ مجموعة متنوعة من الشروط الخاصة يجب أن تكون ضرورية لإنتاج مثل هذه المعلولات. ويكون

(1) unorganischen.
(2) organisirten
(3)- dass eine einzige Anlage eine fruchtbare Tauglichkeit zu viel vortheilhaften Folgen haben werd.

الاهتمام الدقيق بوحدة الطبيعة الضرورية متماشياً مع الفلسفة ومفيداً لمنهج الاستدلال الفيزيائي اللاهوتي.

4 - سيتم استعمال النظام المصطنع بوضوح لاستنتاج حكمة الخالق، والمفسرة على أنَّها أساس ذلك النظام. وسيتم من ناحيةٍ أخرى، استعمال الوحدة الأساسية والضرورية، التي يعثر عليها في قوانين الطبيعة، لاستنتاج وجود كائنٍ حكيم، والمفسر على أنَّه أساس هذه الوحدة. ومع ذلك، سيتم التوسط في الاستدلال الأخير، ليس من خلال حكمة هذا الكائن، بل من خلال ذلك الذي يجب أن ينسجم مع تلك الحكمة

5 - سوف يستنتج المرء من الروابط المشروطة للعالم وجود الكائن الذي أبدع الطريقة التي يتم بها تركيب[1] الكون. ولكنه سوف يستنتج من الوحدة الضرورية للعالم، [167] وجود هذا الكائن بجد ذاتهِ، والمفسّر على أنَّه الخالق أيضاً للمادة والأمور الأساسية التي تكونت منها كلّ الأشياء الطبيعية.

6 - سيتم توسيع هذا المنهج من خلال القواعد الكلية التي ستكون قادرة على شرح أسس التناغم الموجود بين ما هو ضروري، سواء كان ميكانيكياً أو هندسياً، والخير الأسمى للجميع. وفي هذا الصدد، لن يتجاهل المرء النظر في خصائص المكان ذاتها، أو توضيح أطروحتنا الأساسية من خلال الاحتكام إلى وحدة المكان الشاسع.

(1) zusammengefugt.

### 4. توضيح لهذه القواعد

أودُّ أن أقدم بعض الأمثلة لكي أجعل المنهج المذكور أعلاه أكثر وضوحاً. إنَّ جبال كوكبنا واحدة من أكثر ميزاته المفيدة.[84] والتي يعتبرها بورنت **Burnet** على أنَّها ليست سوى دمار بري ألحق بالإنسان كعقاب على خطاياه، ولكن من الواضح أنَّه كان مخطئاً.[85] إذ يبدأ المنهج الفيزيائي اللاهوتي المعتاد بسرد المزايا الواسعة التي توفرها هذه المسالك الجبلية؛ ثم يشرّعُ في تفسيرها على أنَّها حكمٌ إلهي كونتها حكمة الله وتصميمه لتُستعمل بطرقٍ متنوعة. ويقودُ هذا الأسلوب في الجدل المرء إلى أن يفترض، في حالة غياب الشرط الخاص المُبتكر بشكلٍ مصطنع لإحداث هذا التأثير، أنَّ قوانين الطبيعة الكلية ستكون غير قادرة على إعطاء سطح الأرض مثل هذا الشكل. ويفرض هذا الاحتكام إلى إرادة الله عز وجل صمتاً تبجيلياً على العقل في تحقيقاته. ومن ناحية أخرى، وفقاً لطريقة تفكير أكثر استنارة، لا يشكّل استعمال هذا الحكم الطبيعي وجماله سبباً لتجاهل القوانين السببية العامة والبسيطة للمادة، لذلك يمكن اعتبار هذا التنظيم شيئاً آخر غير النتيجة العرضية لتلك القوانين السببية ذاتها. والسؤال المتعلق فيما إذا كان الشكل الكروي للأرض لا يقدم عموماً فوائد وله نتائج أكبر من تلك التي تحدثها الشذوذات التي تتسبب في انحراف سطحها إلى حدٍ ما عن شكل كروي دقيق ــ هذا سؤالٌ يصعب حله. وعلى الرغم من ذلك، ما من فيلسوف لديه أيّ تحفظات بشأن الشكل الكروي للأرض على أنَّه نتيجة لقوانين علم الإحصاء الأكثر شمولاً، والمطبقة في

أحدث فترة من تاريخ الأرض. لماذا يجب ألا تكون هذه التفاوتات والنتوءات أيضاً نتيجة العمليات التي لم تُبتكر بشكلٍ مصطنع بل طبيعي بحت؟ ويبدو في حالة جميع الأجرام السماوية الكبيرة، أنَّ الانتقال التدريجي من الحالة السائلة إلى الصلبة مرتبطٌ بالضرورة بإحداث تجاويف واسعة النطاق.[86] وتتشكل هذه التجاويف بالضرورة تحت قشرتها المتصلبة بالفعل، وعندما تنفصل المواد الأخف من الكتلة المنصهرة داخلها، بما في ذلك الهواء، ببطء ترتفع نحو السطح. ويبدو كذلك، بما أنَّ اتساع هذه التجاويف يجب أن يرتبط بحجم الجسم السماوي المعني، فسيمتد في المقابل انهيار هذه التجاويف المحدبة الصلبة. [168] وليس من الضروري أن نندهش أو نتفاجأ أيضاً بنوع من الانتظام، أو على الأقل سلسلة من التفاوتات، حيث تُطبق هذه القوى المنتجة. لأنَّه من المعروف أنه عندما ترتفع أنواع من المواد الخفيفة نحو السطح عند نقطة واحدة في ملغم كبير، يكون له تأثير على الحركة ذاتها في المنطقة المجاورة للخليط.[1] ولن أخوض في هذا النوع من الشرح ؛ لأنَّني لا أرغب في التعبير عن أيِّ ارتباط خاص هنا بهذا النوع من الشرح. ونيتي الوحيدة هي تقديمُ شرحٍ موجز لمنهج الحكم، الذي يستخدم هذا النوع من الحجة.

---

(1) لأنَّه من المعروف أنَّ صعود الأنواع الخفيفة في خليط كبير في مكان واحد له تأثير على الحركة في الجزء المجاور من الخليط.

إنَّ سطح الأرض بأكمله، غير المغطى بالماء، مرتبط بطريقةٍ مفيدة للغاية بمجاري الأنهار مثل الأخاديد.(87) ومع ذلك، هناك أيضاً الكثير من الأراضي الوعرة، والعديد من الوديان والسهول التي تغطي سطح الأرض، تبدو للوهلة الأولى كما لو أنَّ المجاري، التي تتدفق فيها مياه الأنهار، كان ينبغي أن يتم تركيبها بالضرورة بشكلٍ خاص وتنظيمها لهذه الغاية.(88) ويُقال بخلاف ذلك، أنَّ المياه المتدفقة من المرتفعات، ستنحرفُ بالضرورة بعيداً وعلى نطاقٍ واسع في جميع الاتجاهات، متبعةً نتوءات الأرض، وتفيض في العديد من المناطق، وتحوّل الوديان إلى بحيرات، وتجعل الأرض جافة وغير مجدية، بدلاً من أن تكون جميلة ومرتبة. ولكن مَنْ يستطيع أن يخفق بملاحظة المظهر القوي للتنظيم الضروري والاستثنائي هنا؟ ويضع من ناحية أخرى، مع افتراض أنَّ تكون هذه الأشياء قد تكوَّنت بشكلٍ خارق للطبيعة، حداً لجميع البحوث العلمية في العوامل المسببة لجلب الأنهار إلى الوجود. ولن أسمح لنفسي بأن أخدع بهذا النوع من الانتظام، ولن افترض مباشرة أنَّ سبب هذا الانتظام يجب أن يكمن خارج نطاق قوانين الميكانيكا العامة، وسأعتمد على العكس من ذلك، على الملاحظة لتعلّمني شيئاً ما عن الطريقة التي تحدث فيها الأنهار. وسألاحظُ إذا تبنيتُ هذا الإجراء، أنَّ مجاري العديد من الأنهار، والتي لا تزال حتى يومنا هذا في طورِ التكوين، ترتفع أعلى من ضفافها حتى لا تعود تغرق الأرض المحيطة كما فعلت في السابق. وتقنعني الملاحظة بأنَّ جميع الأنهار القديمة لابدَّ أنَّها قد طافت بالفعل على سطح الأرض

بالطريقة التي نخشى أن تحدثها ما لم توضع شروطاً خاصة لمنعها من فعل ذلك. وهذا يقودني إلى افتراض أنَّ مثل هذا الشرط الاستثنائي لم يتم على الإطلاق. إذ يُظهر نهر الأمازون، [89] على امتداد عدة مئات من الأميال، إشارات واضحة على أنه لم يكن هناك في السابق قاع نهر مقيّد، بل لابدّ أنَّه غمر الأرض في جميع الاتجاهات؛ كون الأرض على جانبي النهر، على مساحةٍ كبيرة بقدر سطح البحيرة، التي تتكون من رواسب نهر حيث تكون الحصى نادرةً مثل الماس. والحالة ذاتها تماماً مع نهر المسيسيبي. [90] وبوجه عام، يظهر نهر النيل [91] والأنهار الأخرى أنَّ قنواتها قد امتدت إلى حدٍ كبير مع مرور الوقت؛ يبدو أنَّ الأنهار بدأت في بناء قنواتها وتوسيعها [169] من النقطة التي تظهر بها مصباتها، بالقرب من البحر، حيث انتشرت على سطح مستوٍ من الأرض، وتُنشئ الأنهار تدريجياً قناةً ثم تتدفق في قاع نهر ممتد. (1) وبعد أن جعلتني الخبرة أقتفي الأثر الصحيح، أعتقد أنَّه يمكنني الآن اختزال الآليات بأكملها، التي تتحكم بتشكيل قنوات الأنهار، إلى المبادئ البسيطة التالية. مياه الينابيع ومياه الأمطار، المتدفقة من المرتفعات، كانت تصب في البداية بطريقةٍ غير منتظمة، متبعةً تدرج الأرض، وتملأ العديد من الوديان وتنتشر في العديد من المناطق المسطحة. وعندما كانت المياه تتدفق بسرعةٍ أكبر، لم تكن قادرة بشكلٍ جيد، بسبب

(1) لأنها انتشرت في قاع البحر المسطح، وقامت ببناء حوضها تدريجياً واستمرت في التدفق في مزيد من الفيضانات الممتدة.

سرعتها، على ترسيب رواسبها؛ وأودعتها بدلاً من ذلك، بشكلٍ أكثر وفرة على كلا الجانبين. ورُفعت بهذه الطريقة أعلى ضفاف النهر، وظل أقوى تيار للمياه داخل قناته. ومع مرور الوقت، عندما تناقصت عين المياه بحد ذاتها (وهو أمر كان من المحتم أن يحدث لأسبابٍ مألوفة لعلماء طبقات الأرض)، لم يعد النهر يفيضُ على الضفاف التي بناها بنفسه. وانبثق الانتظام والنظام من الفوضى العارمة. ويمكن ملاحظة العملية بوضوح حتى اليوم، لاسيما في مصبات الأنهار، والتي هي أحدثُ جزءٍ تشكّل من النهر. ويجب أن يحدث ترسيب الرواسب، وفقاً لهذا المخطط، وبشكلٍ متكرر بالقرب من تلك الأماكن حيث فاض النهر في البداية على ضفافه الجديدة أكثر من ذلك. كما سيُلاحظ أنَّه عندما يتدفق نهر عبر منطقة مسطحة، ستكون قناته، في كثير من الأماكن، في الواقع أعلى من السهول المحيطة.

وهناك قوانين كلية معينة تنظم عمليات الطبيعة، قادرة على إلقاء بعض الضوء على العلاقة بين قوانين الميكانيكا من ناحية، والنظام والتناغم، من ناحية أخرى. وأحد هذه القوانين هو: تستمر قوى الحركة والمقاومة في العمل على بعضها بعض حتى تمنح بعضها البعض أقل العوائق.[92] وأسباب هذا القانون سهلة الفهم جداً. لكن العلاقة، التي يجب أن تنتظم بها نتائج هذا القانون وتميزه، تكون كبيرة وواسعة بشكلٍ مدهش. والدويري، منحنى جبري، له الميزة التالية. لنأخذ مثالاً على ذلك الأسنان وعجلات التروس: عندما تكون منحنية على نحوٍ دائري الشكل، يتم تقليل الاحتكاك إلى الحد الأدنى. ويشير الأستاذ

كاستنير Kästner[93] المشهور في مكان ما [94] إلى أنَّ خبير التعدين ذو الخبرة[95] أظهر له، من الآلات التي استُخدمت لفترة طويلة، أنَّ الشكل الدوراني قد حدث في النهاية بسبب الاحتكاك الناتج عن الحركة المطولة. ويكون المنحنى الدوراني، الذي يقوم على بناءٍ معقد إلى حدٍ ما، رغم كلّ انتظامه، نتيجة لقانونٍ عام للطبيعة.

اسمحوا لي أن أعرض إحدى الآثار التي أحدثتها الأنهار كمثال على تأثيرٍ بسيط(1) ناتج عن الطبيعة التي تُظهر ميلاً إلى الانتظام؛ [170] كونها تخضع للقانون المذكور أعلاه. إذ تختلف جميع مناطق الأرض الجافة اختلافاً كبيراً في التدرج؛ وبناءً عليه من المتوقع أنَّ الأنهار التي تتدفق على هذه الأسطح المنحدرة لابدّ أنَّها تتدفق حالياً مراراً وتكراراً فوق المنحدرات والشلالات.[96] وبالفعل تظهر الجروف والشلالات، وإن نادراً فقط. وتُظهر عدم انتظام كبير وتنطوي على قدرٍ كبير من عدم اليقين. ولكن يمكن رؤية ذلك بسهولة، وعلى الرغم من أنَّ (كما قد يتصور) هذه الشلالات كان لابدَّ من حدوثها على نحوٍ متكرر في حالة الفوضى الأولية، فإنَّ التدفق الذي اندفعت فيه المياه بسرعة للأسفل سيكون قد أكل وجرف الأرض السائبة، حتى تآكلت بعض أنواع الصخور التي لم تكن قوية بما يكفي لمقاومة قوة المياه. وقد

(1) schlecht / B: bad / C: semplice / F & Z: nuissibles / T: bad / = يدرك C فقط ذلك أنَّ كانط يستخدم "سيء schlecht " بالمعنى القديم الآن لـ"بسيط" أو "مباشر".

استمرت هذه العملية حتى اختزل النهر قناته إلى تدرجٍ متجانس إلى حدٍ ما. ولهذا السبب، لا تزال الشلالات موجودة، والتضاريس صخرية، والسبب أيضاً في تدفق النهر في العديد من امتدادات مجراه بين منحدرات شفافة، والتي قطع فيها ربما قناته العميقة. وبذلك فإنَّ الحقيقة التي تقول: إنَّ جميع الأنهار تقريباً، في الجزء الأكبر من مجاريها، التي لا تتجاوز سرعة معتدلة معينة، وبالتالي فهي صالحة للملاحة، وجّد أنَّها مفيدة جداً للإنسان. ومن هنا كانت الملاحة في الأنهار في بادئ الأمر شيئاً من المتوقع أنَّه قد نشأ من تلقاء نفسه من التفاوت الشديد للأرض التي تدفقت عليها، من دون تدخل الفن. ويمكن أن نرى بسهولة على الرغم من ذلك، ومع مرور الوقت، أنَّ الأنهار وصلت من تلقاء ذاتها، إلى سرعةٍ لم يكن من الممكن تجاوزها بسهولة. وكان من الممكن بلوغ مثل هذه الحالة بغض النظر عن مدى انحدار الأرض في البداية. وكلّ ما كان ذو أهمية كان قابلاً للتعرية؛ لأنَّ الأنهار ستستمر في جرف الأرض، وشق طريقها إلى السطح، وخفض مجاريها في بعض الأماكن ورفع قنواتها في أماكن أخرى، حتى تلك التي تنطلق بسرعة عندما تموج تكون مساوية أو أقل مما يترسب عندما تكون أكثر بطئاً. ولا تزال القوة فاعلة حتى يتم بلوغ قدر أكبر من الاعتدال ونشوء التوازن كنتيجة للتأثيرات المتبادلة بين الفعل ورد الفعل على بعضها بعض.

تقـدم الطبيعـة أمثلـةً لا حصـر لهـا لشـيء واحـد مفيـد للغاية في مجموعة متنوعة من الوظائف. ومن الخطأ الكبير أن نفترض من دون مزيدٍ من اللغط، أنَّ هذه المزايا هادفة أو نوع من التأثير الذي تنطوي على دوافع؛ لأنَّ القصد منها الاختيار الإلهي الآمر بأسبابها في العالم. وميزة واحدة من بين أمور أخرى، والتي يكون القمر هو السبب فيها هي هذه: يحرف المد والجزر السفن عند تحركها في عكس اتجاه الرياح وفي حال غيابها عن طريق التيارات المتدفقة عبر المضائق وعلى مقربة من البر الرئيسي. ويمكن حساب خط الطول في البحر عن طريق القمر وأقمار كوكب المشتري. وبذلك فإنَّ الأشياء الناتجة في جميع عوالم الطبيعة، لكلّ منها فائدة كبيرة، وبعضها نستخدمه. وسيكون من العبث افتراض، كما هو الحال عادةً، أن تكون كلّ هذه الفوائد دوافع للاختيار الإلهي. وسيكون من السخف الاحتكام إلى حكمة الخالق لتزويدنا بوسائل لحساب خط الطول؛ [171] لأنَّ استخدامها يمكننا من وضع أقمار المشتري. ويجب على المرء أن يحرص على عدم تحمل السخرية المشروعة من فولتير Voltaire الذي يسأل بنبرة مماثلة: "لماذا لدينا أنوف؟" ثم يجيب: "لا شك حتى نتمكن من ارتداء النظارات".[97] ولا يشرح الاحتكام إلى قوة الاختيار الإلهية بشكل كافٍ لماذا تكون وسائل معينة ضرورية لتحقيق هدف واحد، مفيدة في العديد من النواحي الأخرى أيضاً. ويمكن العثور على مجموعة رائعة بين ماهيات الأشياء المخلوقة جميعها. وبمجموعة كهذا لا تكون طبائع الأشياء غريبة عن بعضها بل متحدة في تناغم معقد. فهي تتفق تلقائياً مع بعضها

بعض، وتتضمن ماهياتها بحد ذاتها اتفاقاً شاملاً وضرورياً، ويهدف إلى كمال الكل.[1] وهذا هو أساس هذا التنوع بالفوائد. وإذا اعتمدنا منهجنا الفيزيائي اللاهوتي المنقح، يمكن في الواقع أخذ هذه الفوائد بالاعتبار كبراهين على وجود خالقٍ حكيم أسمى. ولكن لا يمكن اعتبار هذه الفوائد، في جميع الأحوال، شروطاً تم وضعها بحكمةٍ خاصة، ووضعها بهذه الطريقة التي شكّلت وحدة مع الشروط الأخرى، لمصلحة فوائد ثانوية خاصة. والأسباب من دون شك، التي تجعل المشتري يحتوي على أقمار كاملة، ستكون كاملة حتى وإن لم يتم توظيف أقمار المشتري، كنتيجة لاختراع التلسكوب، لحساب خط الطول. وعلى الرغم من أنَّ هذه الاستخدامات يجب اعتبارها نتائج ثانوية، إلا أنَّها على الرغم من ذلك، ذات صلة بإثبات عظمة غير متناهية لخالق كلّ الأشياء؛ لأنَّها تبرهن إلى جانب الملايين من الأشياء الأخرى من النوع ذاته، على السلسلة العظيمة التي تربط معاً، في إمكانات الأشياء ذاتها، أجزاء من الخلق الذي قد يبدو غير مرتبط بعضه. وبالنسبة للاستخدامات المنبثقة نتيجة التنظيم المتكون بحرية، والمعروف للخالق، والتي تكون متضمنة في قراره، لا يمكن دائماً وفقاً لهذا التفسير، أن تكون متضمنة في دوافع مثل هذا الاختيار. ولا يمكن أن تكون متضمنة، أي إذا كانت دوافع الاختيار بالفعل كاملة،[2]

---

(1) sich zu einander von selbst schicken und eine ausgebreitete nothwendige Vereinbarung zur gesammten Vollkommenheit in ihren Wesen enthalten.

(2) denn sonst kann man auch nicht allemal die Nutzen, die der Erfolg einer freiwilligen Anstalt nach sich zieht und die der Urheber kennt ==

بغض النظر عن النتائج الثانوية. وبالتأكيد، لا يعتمد الماء بطبيعته وضع أفقي لتمكيننا من رؤية تأملاتنا فيه. وإذا كان على المرء أن يجادل بطريقة عقلانية، وإذا كان يتبنى المنهج الفيزيائي اللاهوتي المقيد الذي نستخدمه هنا، فلا يمكن وضع الاستخدامات من النوع الذي لاحظناه للهدف المتوخى. وإذا تم استكمال هذا المنهج بالطريقة التي حددناها هنا، يمكن استخدام الملاحظات من النوع الذي تم جمعه بشكل فعال كأساس للنتيجة المهمة بأنَّ جميع الأشياء تخضع عموماً إلى [172] كائنٍ حكيم سامي. وسّع نظرك قدر الإمكان على الاستخدامات غير المحدودة التي قد يقدمها الشيء المخلوق، بألف طريقة مختلفة على الأقل. (شجرة النخيل وحدها تمنح فوائد لا حصر لها وفقاً للهنود.) ومن ثم اربط أبعد أعضاء الخلق مع بعضهم بعض في علاقات كهذه. وعندما تعجب بجدارة بالمنتجات بشروط وضعها الفن مباشرة، لا تسمح حتى بمشهد مبهج عن العلاقة المثمرة التي تربط بين إمكانيات الأشياء المخلوقة والتناغم الشامل، ولا بمشهد مبهج عن تسلسل الجمال الطبيعي،(1) الذي يكون مشعباً جداً ويقدم ذاته بشكلٍ تلقائي ليثير إعجابنا - لا تسمح لهذه المشاهد المبهجة بإلهائك عن العبادة والإعجاب بتلك القوة، في رأس النافورة الأبدية والمطلقة التي تكون فيها ماهيات الأشياء، كما كانت، جاهزة لاستخدام خطة ممتازة.

---

und in seinem Rathschlusse mit befasst, um deswillen zu den Bewegungsgründen solcher Wahl zählen, wenn diese nämlich auch unangesehen solcher Nebenfolgen schon vollständig wären.

(1) ungekünstelt.

وسألاحظُ بشكلٍ عابر أنَّ العلاقة المتبادلة الكبيرة التي يمكن العثور عليها بين الأشياء في العالم لا تستحق المعاينة بشكلٍ سريع للغاية، في ضوء التواتر الذي تتسبب به تلك الأشياء ذاتها في التشابهات، التناظرات، المتوازيات، أو أي أشياء أخرى يختار الشخص أن يعينها. ومن دون التوقف للنظر في توظيفها في لعبة فكاهية[1] - الوظيفة التي غالباً ما تكون خيالية تماماً - يبدو لي أنَّه يمكن العثور هنا مع ذلك على موضوع مهم للتأمل الفلسفي. والسؤال هو: كيف يكون الاتفاق المتجذر في أساس مشترك معين من الاتساق والذي يربط بين أشياء مختلفة للغاية، كبيراً جداً، وواسع النطاق، ولكنه أيضاً دقيق للغاية؟ تشكل هذه التناظرات أيضاً وسائل حاسمة جداً لاكتساب المعرفة. وتقدم الرياضيات بحد ذاتها أمثلة على مثل هذه التناظرات. ولكن يجب أن أحجُم عن تقديم أيّ أمثلة؛ لأنَّه يُخشى منها، ولأنَّ الطرق المختلفة التي قد تُختبر فيها هذه التماثلات، قد تصيب فهم مختلف الناس بطرقٍ مختلفة. وعلى أيّ حال، فإنَّ الفكرة التي ذكرتها عرضاً هنا غير مكتملة وليست مفهومة تماماً كما هي.

وإذا سألنا المرء عن الاستعمال الذي يمكن أن تُستخدم به الوحدة العظيمة التي تسود بين العديد من علاقات المكان المختلفة والتي يتم البحث بها عن طريق الهندسة الرياضية، فأظنُ أنَّ التصورات الكلية لوحدة الموضوعات الرياضية قد تكشف أيضاً عن أسس وحدة الطبيعة

(1) Spiele des Witzes.

وكمالها. وعلى سبيل المثال، من بين جميع الأشكال، الدائرة هي تلك التي يطوّق فيها المحيط أكبر مساحة ممكنة يمكن تطويقها بخط بهذا الطول. والسبب على وجه التحديد، هو أنَّ المسافة بين المركز والمحيط ثابتة تماماً في كلّ الشكل. وإذا كان الشكل محدد بخطوط مستقيمة، فيمكن أن تحدث أكبر موازاة ممكنة تتعلق بالمسافة بين الضلعين ومركز الشكل فقط إذا تم استيفاء الشروط التالية: يجب ألا تكون المسافات بين الزوايا ومركز الشكل [173] متساوية تماماً مع بعضها بعض، بل يجب أن تكون الخطوط المتعامدة الممتدة من المركز إلى الضلعين متساوية تماماً أيضاً مع بعضها بعض. وإذا تم استيفاء هذه الشروط، فإنَّ الناتج هو المضلع المنتظم. وتظهر الهندسة الرياضية أنَّ مضلعاً[(1)] آخر له نفس عدد الأضلع والحد الذي كان له الطول ذاته كنظيره المنتظم سيطوق دائماً مساحة أصغر من ذلك النظير المنتظم.[(2)] وفي الواقع النوع الأبسط الآخر لتساوي المسافة من المركز ممكن: أيّ عندما تكون مسافة زوايا المضلع فقط من المركز المشترك متساوية في الطول. ويبدو هنا أنَّ أيّ مضلع غير منتظم يمكن تطويقه ضمن دائرة تطوق أكبر مساحة يمكن أن تشملها تلك الأضلع ذاتها.[(98)(3)] وبالإضافة إلى ذلك، ضع في اعتبارك

---

(1) ein anderes Polygon.

(2) und es zeigt sich durch die Geometrie, dass mit eben demselben Umkreise ein anderes Polygon von eben der Zahl Seiten jederzeit einen kleinern Raum einschliessen wurde als das reguläre.

(3)- und da zeigt sich, dass ein jedes irreguläre Polygon welches im Cirkel stehen kann, den grössten Raum einschliesst unter allen der von eben denselben Seiten nur immer kann beschlossen werden. □

في النهاية، المضلع الذي يكون فيه طول الأضلع مساوياً لمسافة نقاط الزوايا من المركز، بمعنى آخر، السداسي المنتظم. ومن بين جميع الأشكال أياً كانت، هذا هو الشكل الذي يحد أكبر مساحة بأقصر حد؛ لذلك إذا كانت متجاورة من الخارج مع الأشكال الأخرى فلن تترك بحد ذاتها أيّ فواصل. وتفترض الملاحظة التالية ذاتها مباشرة: تعتمد العلاقة المتبادلة بين الأكبر والأصغر في المكان على التساوي. وبما أنّ الطبيعة تقدم العديد من الحالات الأخرى لمثل هذا التساوي الضروري، يترتب على ذلك أنّ القواعد المستمدة من الحالات الهندسية المذكورة أعلاه المتعلقة بالأسس الكلية لهذه العلاقة التبادلية بين الأكبر والأصغر، يمكن تطبيقها أيضاً من خلال المراعاة الضرورية لقانون الشُح في الطبيعة.(99)[1] وفي قوانين التصادم أو الدفع، هناك تساوي معين ضروري دائماً، بسبب التمسك بالحقائق التالية: في حالة الأجسام الصلبة تكون سرعة جسمين بعد التصادم متساوية دائماً؛ وفي حالة الأجسام المرنة، يتم دفعها دائماً بعيداً عن بعضها بعض بقوة مساوية لمرونتها، والقوة التي ارتدت بها عن بعضها بعض هي القوة التي حدث بها التصادم؛ أي لا يتأثر مركز ثقل الأجسام الصلبة والمرنة، سواء كانت في حالة سكون أو حركة بأيّ شكل من الأشكال بالتصادم؛ وهلم جرا وهكذا دواليك. إنّ تنوع العلاقات المكانية غير متناهي للغاية ومع ذلك فهو يهب معرفةً مؤكدة للغاية وحدساً واضحاً

(1)- des Gesetzes der Sparsamkeit.

جداً، تماماً مثلما أفادت أحياناً هذه العلاقات على نحوٍ مثير للإعجاب كرموزٍ لمعارف من نوعٍ مختلف تماماً (على سبيل المثال، في التعبير عن الإمكانات)، يمكن أن تمكننا هذه العلاقات المكانية ذاتها أيضاً من التعرّف، من أبسط المبادئ وأكثرها شمولية، على قواعد الكمال الموجودة في قوانين سببية ضرورية بشكلٍ طبيعي، وتعتمد بالقدر ذاته على علاقات.

وقبل أن أختتم هذا القسم، أودُ أن أعدد جميع الدرجات المختلفة [174] لأسلوب الشرح الفلسفي لمظاهر الكمال، التي تحدث في العالم، بقدر ما تعتبر جميع هذه المظاهر مصنفةً تحت الله. سأفعلُ ذلك من خلال البدء بهذا النمط من الحكم حيث لا تزال الفلسفة مخفية، واختتمُ بتلك التي يكون فيها الجهد الفلسفي أعظم. أنا أتحدثُ عن نظام وجمال وملاءمة، بقدر ما تشكل أساساً لتصنيف الأشياء في العالم تحت خالقٍ إلهي بطريقة مناسبة للفلسفة.

أولاً: يمكن اعتبار حدث فردي في سياق الطبيعة شيئاً يصدر مباشرةً عن فعلٍ إلهي. والعمل الوحيد للفلسفة في مثل هذه الحالة، هو تقديم حجة لصالح هذه التبعية غير العادية.

ثانياً: يمكن اعتبار الحدث الذي يحدث في العالم حالة فردية، حيث تم تنظيم آلية العالم منذ البداية، على هذا النحو عند الخلق من أجل إنشاء هذا الحدث على وجه التحديد. وسيكون المثال على هذا الحدث هو الفيضان، حيث يتم تفسيره في أنساق فلاسفة معاصرين متعددين.[(100)] ومع ذلك، فإنَّ الحدث ليس خارقاً للطبيعة قليلاً؛ لأنَّه

ناتج عن قوانين ميكانيكية. والعلم الطبيعي يُوظف من قبل الفلاسفة الذين ذكرناهم للتو. لكنه يمنحهم فحسب فرصةً لإظهار براعتهم الخاصة، ويزودهم بوسائل لتخيل العملية التي يمكن أن تحدث وفقاً لقوانين الطبيعة الكلية، وتصدر في الحدث الاستثنائي المتوخى مسبقاً. وعلى نحوٍ مماثل، لا يتوافق هذا الإجراء مع الحكمة الإلهية، التي لا تبدأ أبداً في تقديم استعراضٍ لنفسها من خلال فن فائض. وقد تم انتقاد مثل هذا الإجراء أيضاً عند البشر. والمثال على هذا الفن الفائض هو حالة شخص ما، قادر تماماً على إطلاق مدفع مباشرة، وربط آلية عمل الساعة بجهاز إطلاق النار بحيث تم تسديد المدفع في وقت معين عن طريق هذا التنظيم الميكانيكي العبقري.

ثالثاً: تُعتبر بعض سمات الطبيعة شروطاً موجودة منذ الخلق، وصدرت مباشرة من يد المهندس المعماري[1] العظيم. وبشكل أكثر تحديداً، تُعتبر هذه الميزات شروطاً فردية؛ لا تعتبر تنظيمات تم إدخالها وفقاً لقانون ثابت. وسيكون المثال على هذا الرأي هو القول: إنَّ الله نظّم عند بداية الأشياء ذاتها مباشرة الجبال[101] والأنهار والكواكب وحركاتها.[102] وما هو مؤكد إلى حدٍ ما هو أنَّه يجب أن تكون هناك حالة للطبيعة كانت هي الحالة الأولى، حيث كان يعتمد كلّ من شكّلٍ ومادة الأشياء بشكل مباشر على الله - إلى هذا الحد، هناك أساس فلسفي لهذا النمط من الحكم. ومع ذلك، هذا المنهج فلسفي إلى درجة

(1) Werkmeister.

طفيفة للغاية: علامة على التهور المفرط في عزو التنظيم مباشرة إلى فعل الخلق، لمجرد أنّه [175] مفيد ومنظم، ويفعل ذلك من دون البحث أولاً بالملاءمة التي تنتمي إلى أشياء تتوافق مع قوانين كلية.

رابعاً: يُعزى شيء ما إلى نظام الطبيعة المبتكر صناعياً قبل أن يتم ربما إثبات أنّ الطبيعة غير قادرة على إنتاج تلك الظاهرة وفقاً لقوانينها الكلية. والمثال على ذلك، عند شرح شيء ما يمكن اعتباره ربما من حيث القوى الميكانيكية العادية، في حدود الممالك النباتية والحيوانية، لمجرد بروز النظام والجمال فيه.[1] إنّ الطابع الفلسفي لأسلوب التفكير الذي يؤكد أنّ كلّ حيوان أو نبات مفرد يتم تصنيفه مباشرةً تحت الفعل الخاص للخلق، هو أقل إذن من وجهة النظر التي تؤكد أنّه باستثناء عدد قليل من كائنات حية خُلقت مباشرة، تُصنف جميع المخلوقات الأخرى تحتها وفقاً لقانون يحكم القدرة على التوالد (ولا يحكم فقط قابلية التجلي).[2](103) وهذا النوع الأخير من النظريات فلسفي أكثر؛ لكونه يشرح عدداً أكبر من الظواهر من حيث نظام الطبيعة. ولا يمكن

(1) z.B. wenn man etwas aus der Ordnung des Pflanzen- und Thierreichs erklärt, was vielleicht in gemeinen mechanischen Kräften liegt, bloss deswegen weil Ordnung und Schönheit darin gross sind /
العبارة الراهنة (aus der Ordnung) لا تعني "ينتمي إلى النظام" من حيث أنها أو تشير إلى النظام.

(2) Das Philosophische dieser Art zu urtheilen ist alsdann noch geringer, wenn ein jedes einzelne Thier oder Pflanze unmittelbar der Schöpfung untergeordnet wird, als wenn ausser einigem unmittelbar Erschaffenen die andere Producte demselben (i.e., einigem unmittelbar Erschaffenen) nach einem Gesetze der Zeugungsfähigkeit (nicht bloss des Auswickelungsvermögens) untergeordnet werden.

الطعن في تفوقها الفلسفي إلا إذا كان من الممكن إثبات أنَّ نظام الطبيعة غير قادر على شرح الظاهرة قيد الدراسة. وجميع شروحات الشروط في العالم، وليس فقط تلك المتعلقة بممالك الحيوانات والنباتات، والتي تُقدم من حيث قوانين وضعت بشكلٍ مصطنع بهدف تحقيق هدف ما محدد - كلّ هذه الشروحات تنتمي بهذه الدرجة إلى نمط الشرح الفلسفي.(*) وسيكون المثال على هذا النوع من الشرح هو الافتراض بأنَّ نظام الطبيعة، الذي يحدث ظواهر الثلج والشفق القطبي، قد تم إدخاله على وجه التحديد من أجل إفادة الغرينلانديين واللابيين (لذلك لا يحتاجون إلى قضاء ليالي الشتاء الطويلة في الظلام) - وهو افتراض تم تقديمه على الرغم من حقيقة أنَّ هذه الظواهر ربما تكون نتائج ثانوية ملائمة تنشأ بوحدة ضرورية عن قوانين أخرى. ودائماً ما يكون المرء معرضاً للوقوع في الخطأ عندما يدعي أنَّ أشكالاً معينة من الفائدة للإنسان هي سبب لتنظيم إلهي خاص إلى حدٍ ما. [176] خذ على سبيل المثال، الافتراض بأنَّ الغابات والحقول تكون خضراء اللون في الغالب؛ لأنَّ اللون الأخضر هو وحده اللون الذي له كثافة متوسطة

---

(*) قمتُ في العدد الثاني من التأمل الثالث بهذا القسم، بتقديم حالات من الممالك النباتية والحيوانية فقط كأمثلة على نظام الطبيعة المبتكر صناعياً. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنَّ أي قانون يتم وضعه لمصلحة استعمال ما خاص يُبتكر صناعياً، لأنَّه لم يعد مرتبطاً بقوانين الطبيعة الأخرى بوحدة ضرورية. وهذا واضح من عدد من الأمثلة المذكورة هنا.

وبالتالي لا يرهق العين. وربما يظهر الاعتراض على أنَّ سكان مضيق ديفيس يصابون بالعمى تقريباً بسبب الثلوج وعليهم اللجوء إلى استخدام نظارات ثلجية. وما يتم الاعتراض عليه ليس البحث عن نتائج مفيدة ونسبها إلى الخالق الخيّر. ما يتم الاعتراض عليه هو بالأحرى حقيقة أنَّ نظام الطبيعة الذي يفضي إلى هذه النتائج المفيدة يُفسّر على أنَّه مرتبط بشكلٍ مصطنع ومقصود[1] بأنظمة أخرى للطبيعة،[2] في حين أنَّها في الواقع ربما مرتبطة بها بالضرورة.

خامساً: تتجلى روح الفلسفة الحقيقية على نحوٍ أقوى في المنهج التالي للحكم على شروط الطبيعة المثالية. وهذا المنهج مستعدٌ في جميع الأوقات للاعتراف بحدوث الأحداث الخارقة للطبيعة. كما أنَّه مستعدٌ دائماً لإدراك وجود أيّ نظام للطبيعة مبتكر بشكلٍ مصطنع بإخلاص. ولا يتيح هدف الطبيعة في البداية مجالاً للفائدة، ولا كلّ انسجامها، يمنعها من محاولة اكتشاف أسسها في قوانين ضرورية وكلية. وعند محاولة اكتشاف هذه الأسس، فإنَّها تولي دائماً اهتماماً دقيقاً للحفاظ على الوحدة، وتبدي نفوراً عقلانياً لمضاعفة عدد الأسباب الطبيعية من أجل شرح فوائد وتناغم الطبيعة. وبالإضافة إلى ذلك، إذا كان أسلوب الحكم الفيزيائي اللاهوتي يركّز أيضاً انتباهه على القواعد الكلية القادرة على شرح أساس الارتباط الضروري، الذي يربط من ناحية،

(1) künsulich und willkürlich.
(2) mit andern (sc. Ordeungen) uerbunden.

بين ما يحدث بشكلٍ طبيعي من دون شرط خاص، والقواعد المتعلقة بميزة وكفاءة الكائنات العقلانية من ناحية أخرى، وإذا كان المرء يمضي بعد ذلك ليرتقي إلى الخالق الإلهي - إذا استوفيت جميع هذه الشروط، فإنّ أسلوب الحكم هذا سيفي بالتزاماته بطريقة مناسبة.(*)

---

❖ كل ما أقوله هنا هو وجوب اتباع هذا المسار من خلال عقل الإنسان. لأنّه من سيكون قادراً على إنقاذه من الوقوع في خطأ متكرر في أمور مثل هذه؟ كما قال البابا: اذهب وعلِّم الحكمة الأبدية كيف تحكم - ثم انزل إلى نفسك، وكن أحمقاً! (104)

# التأمل السابع: الكون[105]

**فرضية ميكانيكية تشرح أصل الأجرام السماوية وأسباب حركاتها، وفقاً للقواعد المنصوص عليها أعلاه**

إنَّ شكل الأجرام السماوية، والأليات التي تتحرك وفقاً لها وتشكّل نظام الكون،[1] وبطريقة مماثلة [177] العديد من التغييرات التي تخضع لها مواقع مداراتها بمرور الزمن - كلّ هذا يشكّل الآن جزءاً من العلم الطبيعي ويُفهم بوضوحٍ كبير ويقين. والعظيم جداً بالفعل، هو هذا التمايز واليقين، ذلك أنَّه لا توجد رؤية أخرى للمسألة يمكن تقديمها لشرح أيّ موضوع طبيعي (الذي يقارب أيضاً تعقيد الموضوع الراهن) في مثل هذه الطريقة الصحيحة التي لا شك فيها وبهذا الدليل النفسي. وإذا وضع المرء هذا في اعتباره، يجب ألا تُظهر الفكرة أيضاً له أنَّ حالة الطبيعة، التي انبثقت فيها هذه البنية،[2] وكان فيها الانطباع الأول عن بنية الحركات التي لاتزال تحدث اليوم وفقاً لهذه القوانين البسيطة والواضحة - أنَّ فهم واستيعاب حالة

(1) Weltsystem.
(2) Bau.

الطبيعة هذه سيكون ربما أسهل من أغلب الأشياء التي نبحث أيضاً عن أصلها في الطبيعة. والأسباب المفضّلة لهذا الافتراض واضحة. وعلى حد علمنا، تكون كلّ هذه الأجرام السماوية كتلاً كروية، ولا تكون عضوية من حيث البنية(106)[1] ولا سحرية غامضة في الأصل. وتكون القوة التي تحرك هذه الأجسام، في كلّ إمكان، قوةٌ أساسية مميزة للمادة ذاتها. وعلى هذا النحو، لا يمكن بالفعل شرحها. فالحركة[2] المقذوفة التي تتابع بها تحليقها، واتجاه القوة الدافعة[3] المنقولة إليها، إلى جانب تشكيل كتلها الخاصة بها، والرئيسية بالفعل، هي الظواهر الوحيدة تقريباً، التي يتم البحث عن الأسباب الطبيعية الأولى لها. وهذه الظواهر كلّها معلولات بسيطة. وهي ليست معقدة تقريباً مثل غالبية ظواهر الطبيعة الأخرى، ولا تكون معروفة في حالة تلك التي تحكمها القوانين عادةً بدقةٍ رياضية. وعلى النقيض من ذلك، تكمن الظواهر التي نهتم بها هنا، وبوضوحٍ أمام أعيننا في مخطط الأشياء المفهوم للغاية. ولكن بحثنا الذي يحمل هذا الوعد بالنجاح، لا يواجه سوى عائق واحد - الانطباع الذي تتركه في أذهاننا عظمة التحريك في ظاهرة طبيعية مثل النظام الشمسي. ففي مثل هذا النظام، تكون

(1) ohne Organisation /
(الكلمة الألمانية Organisation تتعلق بمفهوم الكائن الحي، وتلك طريقة حميمية أكثر بكثير من الكلمة الإنكليزية "التعضي" [أنظر الكلمة الألمانية: Organisation ])

(2) Wurfsbewegung/ B: projectile motion / C: moto di proiezione / F: mouvement de progression / T: motion / Z: mouvement d'impulsion.

(3) Schwung.

الأسباب الطبيعية كلّها موضع شك: يبدو أنّها واهية للغاية لتحقيق غايتها، ويبدو أنّها لا تتوافق مع الحقوق الإبداعية للخالق الأسمى. ولكن ألا يمكن طرح الاعتراض ذاته أيضاً ضد قوانين الميكانيكا، التي تمكّن النظام العظيم للكون بمجرد دخوله حيز الوجود، من الحفاظ على حركاته في الوجود؟ يعتمد استمرارها بدقةٍ على القانون ذاته الذي يصف مسار حجر مرمي في الهواء. وهذا قانون بسيط، ومصدراً مثمراً للمعلولات الأكثر انتظاماً، [178] ويستحق أن يعهد إليه بالحفاظ على نظام الكون بأكمله.

وسوف يُقال من ناحية أخرى: إنّ المرء غير قادر على استحضار الأسباب الطبيعية المميزة التي تجلب النبات الوضيع إلى الوجود وفقاً لقوانين ميكانيكية مفهومة تماماً، ومع ذلك يجرؤ المرء على شرح أصل نظام الكون بأكمله. ولكن هل استطاع أيّ فيلسوف أن يجعل أيضاً القوانين، التي تحكم النمو والحركة الداخلية للنبات الموجود بالفعل، واضحة ومحددة رياضياً مثل تلك التي تنظم حركات الأجرام السماوية؟ إنّ طبيعة الأشياء تختلف في الحالتين اختلافاً تاماً. وفي الحالة الراهنة، يكون الوصول إلى فهم العظيم والمدهش أكثر إلى أبعد حد من الصغير والرائع. ويبدو أنّ فهم تكوين الكوكب، إلى جانب علة القوة الدافعة[1] التي يُتوقع أن يجري بها في مدار دائري، أسهل وأوضح من

(1) Wurfsbewegung / B: projectile motion / C: moto di proiezione / F & Z: force de projection / T: impulse.

فهم تكوين رقاقة ثلجية واحدة. حيث تكون النسب الدقيقة للبلورة الثلجية السداسية على شكل نجمة، بكلّ المظاهر، أكثر دقة من انحناء المدارات الفلكية. وترتبط محاور البلورة الثلجية بمستواها المشترك بدقة أكثر من ارتباط مدارات الأجرام السماوية بالمستوى المشترك لحركاتها المدارية.(1)

وينبغي أن أقدم محاولة لشرح أصل نظام الكون من حيث القوانين العامة للميكانيكا. ولا يرتبط الشرح بنظام الطبيعة بالكامل، بل فقط بالكتل العظيمة للمادة ومداراتها، والتي تشكل أساس الطبيعة الأكثر بدائية. وعلى الرغم من فظاظة وعدم اكتمال مخططي، آمل أن أقول شيئاً قد يحفز الآخرين على إجراء ملاحظات مهمة خاصة بهم. وفي رأيي بعض مما أقوله له درجة من الاحتمال الذي لن يترك مجالاً كبيراً للشك، في الحالة المتعلقة بأصغر موضوع. والاعتراض الوحيد الذي من الممكن أن يُثار هو التحيز، ذلك أنَّ شرح أصل الكون يتطلب فناً أكثر من ذلك المنسوب إلى قوانين الطبيعة الكلية. وغالباً ما يحدث ذلك، رغم أنَّ المرء لا يجد ما يبحث عنه حقاً، إلا أنَّه يتعثر أثناء البحث عن مزايا أخرى غير متوقعة. حتى أنَّ ميزة غير متوقعة من هذا النوع، إذا قدمت ذاتها ليتأملها شخصٌ آخر، فستكون مكسباً كافياً. وحتى إذا تم تقويض الغاية الرئيسية من الفرضية في هذه العملية، فستظل الفائدة المكتسبة هي المكسب الكافي. وسأفترض مسبقاً في هذه

(1) Kreisbewegungen.

المهمة الجاذبية الكونية للمادة كما صاغها **نيوتن** وأتباعه. وإذا كان هناك أيّ شخص يعتقد ذلك، باستخدام تعريف مستمد من [179] الميتافيزيقيا[1] وصياغته وفقاً لذوقهم الخاص، يمكنهم تقويض الاستنتاجات التي أثبتها رجال ذو ذهنٍ حاد على أساس الملاحظة التجريبية وعن طريق الاستدلال الرياضي - وإذا كان هناك مثل هؤلاء الأشخاص، فقد يتجاهلون ما ينتج بما أنّه شيء له تأثير بعيد على الهدف الرئيسي من هذا الكتاب فقط.

## 1. رؤية موسعة لمجمل[2] الكون

تتحرك الكواكب الستة مع أقمارها، في مدارات لا تنحرف بشكلٍ ملحوظ عن مستوى مرجعي مشترك،[3] أيّ الذي يتكون من خلال المستوى الاستوائي الممتد للشمس. ومن ناحية أخرى، تتبع المذنبات مسارات تنحرف عنها بشكلٍ كبير جداً، وتبتعد في جميع الاتجاهات، بعيداً عن هذا المستوى المرجعي.[107] ومن هنا إذا كان بدلاً من هذه الحفنة الصغيرة من الكواكب والمذنبات، يوجد عدة آلاف منها تنتمي إلى النظام الشمسي، فإنَّ البروج ستظهر كمنطقة مضاءة بنجوم لا تعد ولا تحصى، أو كطوق يتلاشى في وميضٍ شاحب. وسوف تظهر

(1) eine Definition der Metaphysik / (the German is ambiguous for it is not clear whether Kant means a definition which is furnished by metaphysics or a definition of the notion of metaphysics itself; the present translator inclines to the former reading).
(2) Inbegriff.
(3) Beziehungsplan.

بعض الكواكب الأقرب في الطوق بشكلٍ ساطع إلى حدٍ ما، في حين أنَّ الكواكب البعيدة، بسبب عددها وخفتانها، ستقدم فقط مظهراً ضبابياً. وبالنسبة للحركة المدارية،[1] التي تدور بها جميع هذه الكواكب حول الشمس، فإنَّ كلّ جزء من الأبراج سيشغل دائماً بعضها، على الرغم من أنَّ الأخرى ستغير موقعها. ومن ناحية أخرى، ستشغل المذنبات مناطق على جانبي هذا النطاق المضيء في كلّ تشتت ممكن.[2] والآن، مع تهيئت عقولنا بهذا الخيال (الذي تخيلنا فيه ببساطة زيادة في عدد الأجسام في نظامنا الفلكي)، دعونا نلقي نظرةً على الامتداد الأوسع للكون. وإذا فعلنا ذلك، فعلينا في الواقع أن نرى المنطقة المضيئة التي توجد فيها النجوم، مع أنَّها تبدو على مسافات متفاوتة منا، تتركز على الرغم من ذلك على مستوى معين أكثر كثافة من أيّ مكان آخر،[3] في حين أنَّ المناطق السماوية على جانبي هذا المستوى تحتلها النجوم في كلّ نوع من التشتت. ويكون لدرب التبانة؛ بسبب هذا الذي أشير إليه هنا، بالتحديد اتجاه دائرة ضخمة.[4](108) ويستحق هذا التوصيف[5] كلّ انتباه: يمكّننا من فهم أنَّ الشمس، إلى جانب كوكبنا، وجِد أنَّها تمركزت في هذا العدد الكبير من النجوم الأكثر كثافة على مستوى مرجعي معين مشترك. ويوفر لنا هذا التناظر سبباً قوياً

(1) Kreisbewegung.
(2) Zerstreuung.
(3) dichter wie anderwärts gehäuft sind.
(4) die Richtung eines grössten Zirkels.
(5) Bestimmung / (alt: determination, characteristic).

للافتراضات التالية: تشكل هذه الشموس، التي نملك واحدة منها، كوناً يتم تنظيمه على نطاق واسع وفقاً للقوانين ذاتها تماماً كتلك التي يُنظم بموجبها نظامنا الشمسي [180] وفق مقياس صغير.(109) وستشترك كلّ هذه الشموس مع أقمارها، بنقطة محورية مشتركة في مداراتها. والسبب الوحيد الذي يجعلها تبدو وكأنَّها لا تغير موقعها هو بعدها غير القابل للقياس عن الأرض وبطء حركاتها المدارية، على الرغم من ملاحظة بعض الإزاحة للموضع[1] في حالة بعض منها. وترتبط مدارات هذه الأجرام السماوية العظيمة بالمثل بمستوى مشترك، ولا تنحرف عنه بشكلٍ كبير، وبالطريقة ذاتها تماماً ترتبط الكواكب في النظام الشمسي بمستوى مشترك. وتناظرُ تلك الأجسام التي تشغل المناطق السماوية المتبقية بتواتر أقل بكثير مذنبات نظامنا الفلكي.(110)

وتمتلك هذه الفرضية في رأيي،[2] درجة عالية إلى حدٍ كبير من الإمكان. وتجدر الإشارة إلى أنَّه إذا كان هناك أنظمة[3] كونية أخرى أعلى، بالإضافة إلى النظام الذي تنتمي إليه الشمس الخاصة بنا، والذي يقدم للراصد الموجود في ذلك النظام مظهر درب التبانة، فسيكون بعضها مرئياً على شكل بقع باهتة[4] في أعماق الفضاء. ويمكن أيضاً افتراض أنَّه إذا كان ينبغي وضع مستوى مرجعي[5] لكوكبة أخرى

(1) einige verrückung ihrer Stellen.
(2) diesem Begriffe.
(3) mehr solche höhere Weltordnungen.
(4) blasse, schimmernde plätze.
(5) Beziehungsplan.

من النجوم الثابتة بشكلٍ غير مباشر فيما يتعلق بنا بحد ذاتنا، فسيظهر عندئذٍ مظهراً لشكل بيضاوي يمثل نظاماً لشموس مشابه لدرب التبانة الخاص بنا، في منطقة ستبدو صغيرة بسبب المسافات الشاسعة فيها.(111) وبالفعل اكتشف الفلكيون منذ فترة طويلة حقاً مثل هذه البقع الصغيرة،(1) على الرغم من اختلاف الآراء حولها بشكلٍ كبير، كما هو واضح من كتاب موبيرتويس **Maupertuis** حول كوكبة من النجوم.(112)

آمل أن يتم النظر في هذا التأمل ببعض الاهتمام، وذلك لسببين، أولاً: تصور الخلق الذي اقترحته فرضياتي إلى حدٍ مذهل، أكثر إثارةً بكثير من التصور المعتاد. (عدد لا يحصى من الشموس مثل الخاصة بنا تشكّل نظاماً، ترتبط به الأعضاء بحركات مدارية؛ وهذه الأنظمة التي يتواجد بها ربما عدد لا يحصى، رغم أنّه يمكننا إدراك القليل منها، قد تكون بدورها أعضاء بحد ذاتها في نظام أعلى أيضاً.) ثانياً: بتوجيه فرضية كتلك التي اقترحناها، حتى ملاحظة النجوم الثابتة (أو بالأحرى الشمس البطيئة الحركة) بالقرب من الأرض يمكن أن تكشف قدراً كبيراً قد يلفت الانتباه إليه، لعدم وجود خطة ما للبحث.(2)

---

(1) plätzchen.
(2) in so fern nicht ein gewisser plan zu untersuchen ist.

## 2 - أسباب تفضيل الأصل الميكانيكي للنظام الشمسي بشكلٍ عام

تدور جميع الكواكب من دون استثناء حول الشمس في الاتجاه ذاته، مع انحرافٍ طفيف فقط عن مستوى مرجعي مشترك، [181] والذي هو مسار الشمس. وتشبه حركتها حول الشمس تماماً تلك التي كانت ستحصل عليها الأجسام الصلبة إذا جرفتها بعض المواد المادية، التي تشغل كلّ المساحة المتاحة، وتنجز حركتها بالدوران على شكل دوامة حول محورها.[113] وتنجذب الكواكب كلّها نحو الشمس، ويجب أن يكون حجم قوة[1] طردها المركزي على درجة عالية من الدقة، إذا كانت تدور في مدارات دائرية،[2] غير أنّه لا يمكن توقع دقة هندسية في ظواهر ميكانيكية من هذا النوع، وهي الحالة التي تنحرف فيها جميع المدارات بالفعل، ولو على نحوٍ قليل فقط، عن انحناء الدائرة.[3] وتتكون الكواكب من مواد تكون، حسب تقدير **نيوتن**، أقل كثافة كلما كانت أبعد عن الشمس. وهذا بالضبط ما يمكن للمرء توقعه إذا كانت الكواكب قد تشكلت من مادة كونية[4] منتشرة في جميع أنحاء الفضاء المعلقة فيه الآن.[114] ومع الاتجاه الذي يبحر فيه كلّ شيء باتجاه الشمس، يجب أن تضغط المواد من النوع الأكثر كثافة بقوة أكثر نحو الشمس وتوجد بالقرب منها بشكلٍ متكرر أكثر من المواد ذات النوع

(1) Seitenschwung.
(2) Cirkelkreisen.
(3) Cirkelrundung.
(4) Weltstoff.

الأخف، حيث يكون هبوطها أبطأ بسبب كثافتها المنخفضة. ومع ذلك، وفقاً لملاحظة بوفون **Buffon**. فإنّ المادة التي تتكون منها الشمس لها الكثافة ذاتها تقريباً مثل الكتلة الإجمالية لجميع الكواكب المضافة معاً.[115] ويتسق هذا أيضاً مع التفسير الميكانيكي لتشكّلها، الذي تشكّلت ربما وفقه الكواكب التي تبعد مسافات مختلفة عن الشمس من أنواع مختلفة من العناصر. وقد تكون جميع العناصر الأخرى المختلطة معاً، والتي تحتل هذا الفضاء، قد غمرت الشمس في بؤرتها المشتركة.

وبغض النظر عن هذا الشرح، إذا كان ينبغي على المرء القول: إنّ هذه البنية قد شكّلها الله مباشرة، ويعهد بأيّ شيء عن دون قصد إلى قانون ميكانيكي، فسيتعين عليه أن يقدم نوعاً ما من الشرح لسبب اكتشافه مثل هذا التفسير هنا بالضرورة، عندما لا يكون قاصداً عادةً الاعتراف بهذا التفسير في العلوم الطبيعية. ولا يمكنه تحديد الهدف بشرح لماذا كان من الأفضل للكواكب أن تتحرك في اتجاهٍ واحد بدلاً من عدد من الاتجاهات المختلفة، ولا لماذا كان ينبغي أن تدور حول الشمس في مدارات قريبة من مستوى مرجعي مشترك واحد بدلاً من الدوران في جميع أنحاء الفضاء.[116] إنّ الفضاءات السماوية فارغة الآن، ورغم كلّ هذه الحركات، إلا أنّ الكواكب لن تحدث أيّ عوائق لبعضها بعض. ومن السهولة أن أعترف بوجود أهداف مخفية ربما لا يمكن تحقيقها بوسائل ميكانيكية عادية ولا يمكن لأحد فهمها. ولكن إذا كان الأمر كذلك، فلا يحق لأحد أن يفترض وجود مثل هذه الأهداف

إذا أراد أن يبني رأيه عليها، ما لم يكن قادراً على تحديد ما هي تلك الأهداف. وأخيراً، إذا كان الله قد نقل الحركة[1] مباشرة إلى الكواكب وأنشأ مداراتها، فلن يتوقع المرء العثور على طابع النقص والانحراف [182] الذي سيقابله في كلّ منتجات الطبيعة. وإذا كان من الجيد لها أن يتم ربطها بمستوى واحد، فسيتوقع المرء أنَّ الله كان سيثبّت مداراتها في ذلك المستوى الدقيق. وإذا كان من الجيد أن تقارب مداراتها الحركة الدائرية، فسيتوقع المرء أن تكون مداراتها دائرية تماماً. وليس من الواضح لماذا كان ينبغي أن توجد أيّ استثناءات لدقة[2] أدق، خاصة في حالة الأشياء التي من المفترض أن تكون نتاجاً مباشراً للفعل الخاص بـ الله كفنان.[3]

إنَّ تلك الأجزاء من النظام الشمسي التي تشغل أكبر مساحة من الشمس، المذنبات، لها مسارات غريبة للغاية. وإذا كانت مساراتها ناتجة مباشرة عن فعل الله، فقد تحركت أيضاً في مدارات دائرية، على الرغم من أنَّ مساراتها تنحرف كثيراً عن مسار الشمس. وسوف تنتشر جرأة كبيرة على التفكير في استخدامات تتعلق بهذه المدارات غير المركزية؛ لأنَّه من الاسهل للفهم أن يدور ذلك الجسم السماوي، بغض النظر عن المنطقة التي يشغلها في السماء، حول مركزه الجاذب على مسافة ثابتة وأن ينتظم وفقاً لهذه المسافة، من تنظيمه بالقدر ذاته

---

(1) Wurfskraft.
(2) von der genauesten Richtigkett.
(3) ene unmittelbare gottlsche Kunsthandlung.

على نحوٍ ملائم ليجري في مدار غريب الأطوار للغاية.[1] أما بالنسبة للفوائد التي قدمها نيوتن، فمن الواضح أنّها غير محتملة إلى أقصى حد، ما لم يفترض المرء أنَّ الأشياء رتبها الله مباشرة، لذلك يمكن الاستفادة من المزايا المزعومة على الأقل كذريعةٍ لهدف ما.

ويظهر الخطأ المتضمن في وصف بنية النظام الفلكي مباشرة بمقاصد إلهية، بوضوح أكثر في اكتشاف الدوافع الكامنة وراء تفسير حقيقة أنَّ كثافة الكواكب وبُعدها عن الشمس تتناسب عكسياً مع بعضها بعض. ويُقال: إنَّ تأثير الشمس يتناقص مع زيادة المسافة، وأنّه كان من المناسب أن يتم تعديل كثافة الأجسام الحارة بفعل الشمس بشكلٍ متناسب. ومن المعروف الآن أنَّ الشمس لا تخترق سوى جوفٍ صغير تحت سطح جسم سماوي. لذلك، ليس من الممكن استنتاج كثافة الكتلة بأكملها من قوة تسخين الشمس لها. ولا يتناسب الاستنتاج الحاصل تماماً مع الهدف المراد تحقيقه. وتنطوي الوسائل المستخدمة؛ أيّ انخفاض الكثافة الكلية للكتلة، على شرط واسع النطاق جداً لتكون، بالنسبة إلى حجم الهدف المراد تحقيقه، مفرطة وغير ضرورية.

(1) denn es ist eher begresflich, dass en Welikorper, in einer Himmelsregion, welche es auch ser, in gleichem Abstande immer bewegt, die dieser Weite gemasse Einrichtung habe, als dass er auf die grosse Verschtedenhert der Weiten gleich vortheilhaft eingerichtet sei.

صحيح أنَّ كلّ ما ينتج عن الطبيعة، بقدر ما يميل نحو الانسجام والنظام والفائدة، يتفق مع أهداف الله. لكنه يُظهر أيضاً خاصية النشوء عن قوانين كلية. وتمتد تأثيرات هذه القوانين الكلية إلى ما هو أبعد من أيّ حالة فردية. ووفقاً لذلك، يظهر كلّ تأثير معين علامات على [183] اختلاط القوانين، التي لم تكن تهدف حصرياً إلى إحداث التأثير الفردي وحده. وهذا هو السبب أيضاً في وجود انحرافات عن أعظم دقة ممكنة فيما يتعلق بتحقيق هدف معين. وعلى النقيض من ذلك، لن يعرقل وجود شرط مباشر خارق للطبيعة، بما أنَّ تحقيقه لا يفترض على الإطلاق النتائج المنبثقة عن القوانين السببية الكلية للمادة، تدخل عواقب ثانوية معينة منبثقة عن تلك القوانين. ولكن هذا الشرط سوف يحقق الخطة بأعظم دقة ممكنة. وهو موجود في تلك الأجزاء من النظام الفلكي التي تكون أقرب إلى المركز المشترك حيث يمكن إيجاد تقارب أكثر بنظام مثالي ودقة صارمة. ولكن خارج حدود النظام، وبعيداً عن المستوى المرجعي، ينحدر هذا النظام والدقة إلى عدم انتظام وانحرافات. وهذا بالضبط ما يتوقعه المرء من تكوين كان ميكانيكياً في الأصل. ولا يمكن للمرء أن يواجه أبداً في التنظيم الناجم عن تدخل إلهي مباشر، غايات يتم تحقيقها ولكن بشكلٍ غير كامل: ستوجد أعظم دقة واتقان في كلّ مكان.[117] وهذه هذه الحال، على سبيل المثال، في بنية الحيوانات.

### 3 - ملخص موجز لأكثر طريقة محتملة تم من خلالها تشكيل النظام الفلكي ميكانيكياً

الحجج التي تم تقديمها للتو لصالح التفسير الميكانيكي لأصل النظام الشمسي عظيمة الشأن - عظيمة الشأن جداً، وكان يكفي في الواقع، حجة أو اثنتين فقط بمفردهما منذ زمن طويل لتحفيز علماء الطبيعة على البحث عن علة المدارات الفلكية بين قوى الطبيعة. وهم مدفوعون للقيام بذلك بشكلٍ رئيسي؛ لأنَّ الكواكب تدور حول الشمس في الاتجاه ذاته الذي تدور فيه الشمس بحد ذاتها حول محورها، ولأنَّ مداراتها تتزامن بشكلٍ وثيق مع مستوى خط استواء الشمس. وكان **نيوتن** أكبر من قوض كلّ هذه الدوامات،[118] رغم استمرار تمسك الناس بها، بعد فترة طويلة من إثباته لفائضها. وكان **ميرن Mairan** الشهير مثالاً على ذلك.[119] إذ أظهرت البراهين الموثوقة والمقنعة للفلسفة النيوتنية بوضوح أنَّه لا يوجد أيّ أثر في السماء يتطابق مع ما افتُرض أنَّه الدوامات، التي يُقال: إنَّها حملت الكواكب حول مساراتها. وأثبت **نيوتن** أنَّ غياب مثل هذا التيار من الانسياب في هذه الأماكن كان مكتملاً لدرجة أنَّ ذيول المذنبات استمرت في طريقها الصحيح من دون اضطراب عبر جميع هذه المدارات. ويمكن أن نستنتج بالتأكيد من هذا، بما أنَّه تبين الآن أنَّ الفضاءات السماوية فارغة تماماً، أو نادرة بأيّ حال من الأحوال بشكلٍ غير متناه، أنَّه لا يمكن أن تكون هناك علة ميكانيكية تنقل للكواكب حركاتها المدارية.[120] والتخلي على الفور رغم ذلك عن جميع قوانين الميكانيكا ووضع فرضية غنية

تقول: إنَّ الله قد نقل الحركة مباشرة إلى الكواكب لذلك استمرت في التحرك في مدار بفضل جذب جاذبيتها - هذه خطوة [184] كانت أكبر من أن تحتويها حدود الفلسفة. ومن الواضح مباشرة أنَّه لا يزال هناك وضع واحد يمكن أن تحدث فيه العلل الميكانيكية تكوينات النظام الشمسي، وهذا هو: إذا كان الفضاء الذي يشغله حالياً النظام الفلكي وهو فارغاً الآن، قد امتلأ مسبقاً لكي يُحدث مجموعة من القوى المحركة[1] في كلّ أنحاء الفضاء المتأثرة حالياً بجذب جاذبية الشمس.[121]

ويمكن أن أحدد الآن الشرط الوحيد الممكن الذي يمكن أن تحدث في ظله الحركات السماوية ميكانيكياً. ويوجد شرط واحد ممكن فقط من هذا القبيل وهو حالة لها قيمة كبيرة في تبرير الفرضية، وهي ليست تلك التي يمكن للمرء أن يتباهى بها أحياناً. ونظراً لأنَّ الفضاء فارغ الآن، فلابدّ أن يكون قد تمّ ملؤه ذات مرة، وإلا لما كان بإمكان القوى المحركة المدارية أن تحدث تأثيرها الواسع. وبناءً على ذلك، لابدّ أن تكون هذه المادة المنتشرة قد تجمعت فيما بعد مع بعضها لتشكل الأجسام السماوية. وبعبارة أخرى، يُظهر الفحص الدقيق أنَّ الأجسام السماوية تكونت بحد ذاتها من المادة الأولية التي كانت منتشرة في جميع أنحاء الفضاء الذي يشغله النظام الشمسي الآن. والحركة التي تمتلكها جزيئات المادة عندما كانت متناثرة، استمرت في امتلاكها بعد

(1) eine Gemeinschaft der Bewegkräfte.

أن توحدت معاً لتشكيل كتل مميزة من المادة.[1] وكان هذا الفضاء فارغاً منذ ذلك الحين ؛ لا يحتوي على أيّ مادة يمكن أن تعمل على نقل الحركة المدارية إلى هذه الأجسام. لكنه لم يكن فارغاً دائماً. فنحن ندرك حركات لا يمكن أن يكون لها أيّ سبب طبيعي ؛ إنّها بقايا من حالة خام للطبيعة تعود معطياتها إلى أقدم فترة من تاريخها.[122][2]

أودّ أن أخطو خطوة أخرى فقط إلى ما وراء هذه الملاحظة ، بهدف الاقتراب أكثر من المفهوم المحتمل لكلّ من الطريقة التي ظهرت بها هذه الكتل العظيمة وأسباب حركاتها. وسأترك الأمر للقارئ المستفسر نفسه لملء تفاصيل هذا المخطط التقريبي. فإذا كانت المادة ، التي تتكون منها الشمس وجميع الأجسام السماوية الأخرى والتي تخضع لجذب جاذبيتها القوية ، منتشرة في جميع أنحاء الفضاء الذي يشغله الآن النظام الفلكي ، وإذا كانت هناك مادة ما مارست جذب جاذبية أقوى في مكان ما في منطقة من المكان الذي تشغله الآن كتلة الشمس ، سيحدث عندها سقوط شامل للجسيمات نحو تلك البقعة ، ويزداد جذب جاذبية الجسم الشمسي مع زيادة كتلته. ويُفترض بسهولة أنّه عند السقوط الشامل للجسيمات ، بما فيها تلك الموجودة في المناطق النائية من الكون ، سوف تتراكم المواد الأكثر كثافة في المناطق الأعمق ، حيث كان كلّ شيء يضغط باتجاه المركز المشترك ، وستتراكم هناك بما

(1) abgesonderte Massen.
(2) die aber Überbleibsel des allerältersten rohen Zustandes der Natur sind.

يتناسب على نحوٍ متكرر [185] مع قربها من هذا المركز، رغم اكتشاف مواد من كلّ نوع من الكثافة في كلّ أنحاء الفضاء. لأنّها ستكون أثقل الجسيمات، التي ستمتلك مقدرة أكبر على اختراق خليط من الجسيمات الأخف في هذه الفوضى، حتى تقترب من مركز الجاذبية.(1) وفي الحركات الناتجة عن سقوط الجسيمات من ارتفاعات مختلفة ضمن المجال، لا يمكن أن تكون المقاومة التي تحدثها الجسيمات المتصادمة مع بعضها بعض في حالة توازن دقيق. وسيتم تحويل السرعات التي اكتسبتها الجسيمات المتصادمة نتيجة ذلك إلى حركات جانبية في اتجاه أو آخر. وتظهر هذه الحالة قاعدة شائعة جداً في العمل تتعلق بالتأثيرات التي تمارسها المواد على بعضها بعض: فهي تدفع بعضها بعض، وتغير اتجاه بعضها بعض، وتقييد بعضها بعض حتى يمنح كلّ منهما الآخر مقاومة أقل.(123) ونتيجة لهذه القاعدة، يجب أن تتحد الحركة الجانبية للجسيمات في نهاية المطاف حتى تشكّل دوراناً مشتركاً في الاتجاه ذاته. وهكذا أوصلتها الجسيمات التي تكونت منها الشمس مغلفةً بالفعل بهذه الحركة الجانبية؛ فالشمس، المكونة من هذه المادة، لابدّ أنّها استدارت في الاتجاه ذاته تماماً.(124)

ومع ذلك، من الواضح من قوانين الجاذبية أنَّ جميع أجزاء هذه الكتلة الدوارة العظيمة من المادة الكونية(2) يجب أن يكون لها ميل

(1) Gravitationspunkte / B: point of gravitation / C: centro di gravitazione / F: noyau central / T: centre of gravity/ Z: point de gravitation.
(2) in diesem herumgeschwungenen Weltstoffe alle Theile.

لاجتياز[1] المستوى الذي يعبر مركز الشمس في اتجاه دورانها المشترك، والذي يتطابق، بحسب تفكيرنا، مع المستوى الاستوائي لهذا الجسم السماوي؛ أيّ ما لم تكن تشغل حيزاً بالفعل على المستوى. وبالتالي، ستتركز كلّ هذه الجسيمات بكثافةٍ أكثر وبشكلٍ رئيسي في محيط الشمس، في المنطقة القريبة من المستوى الاستوائي الممتد. وأخيراً، من الطبيعي جداً أن تعرقل جزيئات المادة[2] أو تسرّع بعضها بعض، بمعنى، يجب إما أن تصطدم ببعضها أو تدفع بعضها بعض، ويجب أن تستمر في فعل ذلك حتى لا يعد أحدها قادراً على تعديل حركة الآخر، ويترتب على ذلك أنّ كلّ شيء ينتهي في نهاية المطاف إلى حالة تكون فيها الجسيمات[3] الوحيدة التي تبقى معلقة بحرية هي التي يكون لها بالضبط درجةً من التأرجح الجانبي[4] المطلوب عند هذه المسافة من الشمس، لموازنة جذب[5] جاذبية الشمس، لذلك تدور جميع هذه الجسيمات بحرية في دوائر متحدة المركز. وتؤثر هذه السرعة على السقوط؛ فالحركة الجانبية[6] ذات تأثير على اصطدام الجسيمات، ويستمر هذا الوضع حتى يتم تقليل المقاومة الصادرة عن كلّ شيء في النظام إلى الحد الأدنى، ويجب أن تكون الجسيمات[7] المتبقية، التي لم

(1) durchschneiden.
(2) Partikeln.
(3) Theilchen.
(4) Seitenschwung.
(5) Gravitation.
(6) die Bewegung zur Seiten.
(7) Theilchen.

تكن قادرة على تحقيق مثل هذه الدقة الفائقة، غارقةً في بؤرة تركيز مجال الجاذبية العامة،[1] بما أنَّ سرعتها تضعف ببطء، حتى تزداد كتلة الشمس. [186] وبالتالي، فإنَّ كثافة هذا الجسم الأخير ستكون مساوية تقريباً لمتوسط كثافة المواد الموجودة في الفضاء المحيط بها. ومع ذلك، فإنَّ كتلة الشمس، إذا استدعت الحالات المذكورة أعلاه، حسب الضرورة، ستفوق بكثير المادة التي ظلت معلقة في الفضاء المحيط بها.(125)

وتبدو لي هذه الحالات طبيعية. فالمادة منتشرة في جميع أنحاء النظام، وتُخصص هذه المادة لتشكيل الأجرام السماوية المختلفة في المنطقة الضيقة المتاخمة مباشرةً لمستوى ممتد من خط الاستواء الشمسي. وتزداد الجاذبية النوعية لهذه المادة بشكلٍ يتناسب مع قربها من مركز النظام؛ وتكفي قوتها الدافعة[2] في جميع الأماكن عند هذه المسافة، للحفاظ على عدم إعاقة الحركة المدارية حول الشمس، وبمسافاتٍ بعيدة عنها أحياناً وفقاً لقوانين الجاذبية.[3] وإذا كان من المفترض في مثل

(1) Mittelpunkt der allgemenen Gravitation.

(2) Schoung / (البديل: تأرجح، حركة متأرجحة).

(3) (nach den Centralgesetzen) / B: القوانين المركزية ( C: / F & Z: lois centrales du système) T: قوانين القوة المركزية / (الكلمة مركزية غير مدرجة في الألمانية إما تحت لفظ كانط أو تحت Zentralgesetz الأكثر طبيعية، يتم سرد Centralkraft بالمعنى: الجاذبية، والجذب. وهذا يوحي بأنَّ Centralgesetz يجب أن تعني "قانون الجاذبية".

هذه الحالة، أن تتكون الكواكب من هذه الجزيئات[1] من المادة، فلا يمكن للكواكب تجنب امتلاك القوة المركزية[2] التي تحدثها لتتحرك في مدارات دائرية تقريباً، رغم أنَّها ستنحرف قليلاً عن الاستدارة الكاملة بما أنَّ الكواكب نفسها تتكون من جزيئات المادة التي انبثقت من ارتفاعات مختلفة. وبالمثل، من الطبيعي جداً أن يكون لتلك الكواكب التي تكونت على ارتفاعات كبيرة (حيث تحدث المساحة المحيطة بها، والتي تكون أكبر بكثير، فروقات في سرعة الجسيمات عن القوة التي تنجذب بها إلى مركز الكواكب) كتلاً أكبر[3] من الكواكب المجاورة للشمس.[126] ولن أذكر الطرق الأخرى التي تنسجم فيها فرضيتي مع العديد من الظواهر الرائعة الأخرى في النظام الفلكي؛ لكونها واضحة.(*) وتلك الأجسام، والمذنبات، التي تتشكل في المناطق النائية من الأنظمة، خاصة عندما تتشكل على مسافة كبيرة من مستوى مرجعي، ستكون غير قادرة بهذا الانتظام. وبهذه الطريقة، ستصبح منطقة الفضاء التي يشغلها النظام الفلكي فارغة، بمجرد أن يتشكل كلّ شيء إلى كتلٍ منفصلة.[4] ومع ذلك، لازالت جسيمات من أقصى

---

(1) Theilchen.
(2) Schwungskrafte / B: motive powers / C: forze centrifughe / F: vitesses / T: motive forces / Z: forces motrices / (alt: momentum).
(3) auch grössere Klumpen.

(*) ينطبق الشرح أعلاه على تكوين أنظمة أصغر تشكل الأجزاء المكونة لنظام فلكي أكبر، كما هو الحال على سبيل المثال مع المشتري وزحل ودورانهما المحوري، لأن هناك تشابهاً بين الأنظمة الأكبر والأصغر. (127)

(4)- in abgesonderten Massen.

حدود هذا المجال الجاذب [187] تنحدر في حقبٍ لاحقة، نحو الأسفل، وستستمر بعد ذلك في الدوران بحرية حول الشمس في الفضاءات السماوية. ومن المحتمل أن تكون هذه المواد الأكثر ندرةً، هي المادة التي يتكون منها ضوء البروج.

### 4. ملاحظة

إنَّ الهدف الأساسي من هذا التأمل هو تقديم مثال عن الإجراء الذي تخولنا براهيننا أعلاه اعتماده. وهو يزيل الشك الذي لا أساس له، أيّ أنَّ شرح أيٍّ من التنظيمات الرئيسية في العالم من خلال الاحتكام إلى قوانين الطبيعة الكلية يفتح فجوةً تمكّن أعداء الدين الأشرار من اختراق حصونها.(128)

وفي رأيي، تمتلك الفرضية التي أدلي بها على أقل تقدير أسباباً كافية لصالحها، لدعوة رجال ذو فهم واسع إلى فحص المخطط عن كثب، المخطط التقريبي فحسب، والمقدم في هذه الفرضية. وسأكون قد حققت هدفي المتعلق بهذا الكتاب، وبثقة راسخة في الانتظام والنظامٍ الذي قد يصدر عن قوانين الطبيعة الكلية، إذا كان القارئ يفتح مجالاً أوسع للفلسفة الطبيعية، فيمكنه أن يحث على إدراك إمكانية شرح كهذا المعروض هنا، أو مثله، والاعتراف بتوافق هذا الشرح مع معرفة الله الحكيم.(129)

وبالمناسبة، بعد أن تم الآن إبعاد تلك الأداة المفضلة بالعديد من الأنظمة، الدوامة عن نطاق الطبيعة(130) وإقصائها إلى "نسيان

الغرور"[131] لميلتون، ربما يستحق الجهد الفلسفي أن نوجه أنفسنا إلى السؤال التالي، ومحاولة الإجابة عليه من دون اللجوء إلى قوى تمّ ابتكارها بشكلٍ خاص لهذا الغرض. هل تقدم الطبيعة أيّ شيء يمكن أن يشرح حقيقة أنَّ الحركات[1] المتأرجحة للكواكب تميل جميعها في الاتجاه ذاته، في حين أنَّ جميع حركاتها الأخرى قابلة للتوضيح من حيث قوى الجاذبية،[2] والارتباط الدائم بالطبيعة؟ إنَّ المخطط الذي رسمناه لا يخرج على الأقل عن قاعدة الوحدة؛ لأنَّ قوى[3] الطرد المركزي هذه أيضاً، تُشتق كنتيجة لها من الجاذبية، وهذا مناسب للحركات المشروطة؛ لأنَّها يجب أن تُشتق من القوى الكامنة في المادة، حتى عندما تكون في حالة سكون.

وأودُ أن أشير أيضاً إلى أنَّه على الرغم من تشابهها للوهلة الأولى مع المخطط التفصيلي لنظامنا، فإنَّ النظام الذري لـ**ديموقريطس Democritus** و**أبيقور Epicurus** يحمل علاقة مختلفة تماماً بالاستدلال بأنَّ العالم [188] له الخالق الذي حددناه.[132] وفي النظام الذري، تكون الحركة أبدية وغير مخلوقة، في حين يكون الاصطدام، مصدراً غنياً لنظام كبير جداً، مشروطاً، وحادثاً، ولا يوجد له شرح على الإطلاق.[133] وفي النظام الذي أشرتُ إليه للتو، يؤدي قانون الطبيعة

(1) Schwungsbewegung / B: centrifugal motion / C: il muoversi centrifugo / F & Z: mouvement tangential / T: (orbital) motion / (Grimm lists Schwungbewegung with the meaning: swinging motion).
(2) Centralkräften.
(3) Schwungskraft / (alt: momentum).

المعترف به والراسخ بالضرورة إلى نظام، على أساس افتراض معقول تماماً. وبما أنّ هناك علة مطبّقة هنا تتحكم في الميل للانتظام، وبما أنّ هناك شيء ما يحافظ على الطبيعة في سياق التناغم والجمال، فإنّ ذلك يقود إلى افتراض وجود أساس يشرح سبب وجود علاقة ضرورية بالكمال.

ومع ذلك، اسمحوا لي أن أضرب مثالاً آخر لشرح كيف أنّ تطبيق الجاذبية موجه بالضرورة لإنتاج الانتظام والجمال في مزيج من العناصر المنتشرة. ولذلك سأضيف شرحاً للطابع الميكانيكي للعملية التي تنتج حلقات زحل.[134] ويبدو بالنسبة لي، أنّ هذا الشرح له درجة عالية من الإمكان كما هو متوقع من الفرضية. وكلّ ما أطلبه هو تقديم النقاط التالية. لنفترض بدايةً، أنّ زحل كان محاطاً بغلافٍ جوي من النوع الذي تمت ملاحظته في حالة المذنبات المختلفة التي لا تقترب جداً من الشمس والتي تفتقر إلى الذيل. دعنا نفترض كذلك أنّ جزيئات أبخرة هذا الكوكب (الذي ننسب إليه دوراناً محورياً) ارتفعت للأعلى، وأنّ هذه الأبخرة لاحقاً، سواء بسبب تبريد الكوكب أو لسبب آخر، بدأت تغرق فعلاً إلى أسفل سطح الكوكب مرة أخرى. فإذا تم تقديم هذه الامتيازات، فسينتج الباقي بدقة ميكانيكية.[1] وإذا كانت هذه الجسيمات تدور حول محور الكوكب، فيجب أن يكون لها جميعاً سرعة تساوي سرعة تلك الواقعة على السطح الذي نشأت منه.

(1) mit mechanischer Richtigkeit.

ويترتب على ذلك أنّه يجب أن تميل جميعها، بحكم هذه الحركة الجانبية، إلى وصف مدارات حرة حول زحل، وفقاً لقواعد القوة المركزية.(*)(1) لكن جميع الجسيمات، التي لا تكون بها السرعة مماثلة لإقامة توازن عن طريق قوة(2) الطرد المركزي مع جذب الجاذبية المطبقة عند هذا الارتفاع، لابدّ أن تتصادم مع بالضرورة بعضها بعض وتعوق بعضها بعض. وسوف تستمر في القيام بذلك حتى تكون الجسيمات الوحيدة المتبقية فقط هي تلك، والتي تدور حول زحل، القادرة على الدوران في حركة دائرية حرة وفقاً لقوانين الجاذبية؛(3) ومع ذلك، فإنّ الجسيمات الأخرى ستسقط تدريجياً إلى سطح الكوكب. والآن، يجب أن تميل كلّ هذه الحركات الدائرية بالضرورة نحو [189] مستوى ممتد لخط استواء كوكب زحل. وسيكون هذا مألوفاً لأيّ شخص على دراية بقوانين الجاذبية. وهكذا، ستصبح الجزيئات المتبقية من الغلاف الجوي السابق لزحل في نهاية الأمر متمركزةً على مستوى دائري حول زحل، وهو المستوى الذي يشغل خط الاستواء الممتد للكوكب.(135) وتكون الأطراف الخارجية لهذا المستوى محدودة للسبب ذاته تماماً الذي يحدد حدود الغلاف الجوي في حالة المذنبات. ويجب أن يصبح بشكلٍ محتوم

* يدور زحل حول محوره وفقاً لافتراضنا. وبالتالي يجب أن يكون لكلّ جسيم ينبثق عن سطحه الحركة الجانبية ذاتها تماماً كالنقطة التي انبثق عنها، ويجب أن يستمر في الحصول على هذه الحركة أيّ كان الارتفاع الذي يصل إليه.

(1)- Centralkräfte / (alt: forces of gravity).
(2) Centrifugalkraft.
(3) die in freier Cirkelbewegung nach Centralgesetzen umlaufen können.

هذا الحزام(1) من المادة الكونية المتحركة بحرية، حلقة. أو للتعبير عن الأمر بشكلٍ أكثر دقة، لا يمكن للحركة المذكورة أن تصدر في أيّ تكوين آخر غير تكوين الحلقة؛ لأنَّ الجسيمات يمكن أن تستمد فقط السرعة، والتي تمكنها من الدوران في دوائر، من المواقع التي انبثقت منها على سطح زحل، ويترتب على ذلك أنَّ الجسيمات التي انبثقت من خط استواء الكوكب تمتلك أكبر سرعة. والآن، من بين جميع المسافات من مركز الكوكب، هناك واحدة فقط تكون فيها هذه السرعة مناسبة تماماً لتوليد حركة دائرية؛(2) لأنَّ السرعة في المسافات الأصغر ستكون ضعيفة جداً. ويترتب على ذلك أنَّه يمكن رسم دائرة(3) داخل هذا الحزام، يتطابق مركزها مع مركز زحل ذاته؛(4) يجب أن تتراجع جميع الجسيمات الموجودة في هذه الدائرة إلى سطح هذا الكوكب. ومع ذلك، فإنَّ جميع الجسيمات الأخرى التي تقع بين هذه الدائرة ذاتها والدائرة التي تحدد الحد الخارجي الأقصى (أي أنَّ جميع الجسيمات المتضمنة في المكان تشبه الحلقة) ستستمر من الآن فصاعداً في الدوران حول الكوكب، معلقةً بحرية في مدارات دائرية حولها.

ويؤدي اعتماد مثل هذا الحل إلى نتائج يمكن أن تفيد في حساب فترة الدوران(5) المحوري لكوكب زحل. والأكثر من ذلك، أنَّ حساب

---

(1) Limbus.
(2) Cirkelbewegung.
(3) Cirkelkreis.
(4) so wird ein Cirkelkreis in diesem Limbus aus dem Mittelpunkt des Saturns gezogen werden können.
(5)- Achsendrehung.

هذه الفترة له درجة الإمكان ذاتها التي تمتلكها الأسس المستخدمة في حساب الفترة ذاتها. ونظراً لأنَّ الجسيمات التي تشغل الحافة الداخلية للحلقة لها السرعة ذاتها تماماً مثل تلك التي تمتلكها الواقعة على خط استواء زحل، وبما أنَّ هذه السرعة، علاوة على ذلك وفقاً لقوانين الجاذبية، لها حجم مناسب للحركة الدائرية، يترتب على ذلك أنَّه يمكن للمرء أن يحسب فترة مدار[1] الجسيمات الموجودة على الحافة الداخلية للحلقة. ويتم إجراء الحساب باستخدام العلاقة بين المسافات ذات الصلة من مركز كوكب أحد أقمار زحل والحافة الداخلية للحلقة؛ إذ يمكن للمرء أيضاً استخدام الفترة المحددة لدوران[2] القمر لإجراء الحساب ذاته. ومن خلال استخدام الفترة المدارية للجسيمات الموجودة على الحافة الداخلية للحلقة وعلاقة أقصر قطر للحلقة بقطر حلقة الكوكب ذاته، يمكن للمرء أن يثبت دوران زحل المحوري، وبالتالي يجد المرء عبر الحساب أنَّ زحل يجب أن يدور على محوره كل خمس ساعات وحوالي أربعين دقيقة.[136] وإذا كان المرء يحتكم إلى التناظر مع [190] الكواكب الأخرى، يبدو أنَّ هذه النتيجة تنسجم جيداً مع فترة دوراناتها.[3]

(1) die Zeit des Umschwungs.
(2) der Zeit des Umlaufs.
(3) der Zeit der Umwendung.

وسواء تم الاعتراف بالافتراض القائل: إنَّ زحل كان له غلاف جوي[1] يشبه المذنب أم لم يتم الاعتراف بدايةً، يبدو لي أنَّ الاستنتاج الذي استخلصه منه لشرح قضيتي الرئيسية، مؤكداً إلى حدٍ ما: أي إذا كان هذا الغلاف الجوي[2] محيطاً به، فيجب أن يكون الناتج الميكانيكي للحلقة العائمة نتيجة ضرورية له، وكنتيجة لذلك تميل الطبيعة، عند التخلي عن القوانين الكلية، إلى إنتاج انتظام بعيداً عن الفوضى.

(1)-kometischen Atmosphäre.
(2)-Dunstkreis.

# التأمل الثامن:
# يتعلق بالكمال الإلهي

تقودنا مجمل كلّ هذه التأملات إلى تصور الكائن الأسمى. إذ يحتضن هذا الكائن الأسمى في داخله كلّ ما يمكن أن يفكر فيه الإنسان، عندما يجرؤ، وهو مخلوق مصنوع من تراب، على النظر خلسةً وراء ستارة تحجب عن عيون البشر أسرار الغموض. الله كامل. وكلّ ما هو موجود، سواء كان ممكناً أو فعلياً، يكون شيئاً فقط بقدر ما يُعطى من خلاله. وإذا سُمح بترجمة تعاليم اللامتناهي بحد ذاته إلى لغةٍ بشرية، فقد نتخيل أنّ الله يخاطب ذاته بهذه المصطلحات: أنا من الأزل إلى الأبد، وبعيداً عني لا يوجد شيء، إلا من خلالي. ولا تزال هذه الفكرة، من بين جميع الأفكار الأكثر سمواً، مهملةً على نطاقٍ واسع، وعلى الأغلب لا يُنظر فيها على الإطلاق. وما هو موجود في إمكانيات الأشياء وقادر على إدراك الكمال والجمال في مخططاتٍ ممتازة يكون بمثابة شيء لازم عن الحكمة الإلهية ولكن ليس هو ذاته نتيجة لهذا الكائن غير المفهوم. وقد حددت تبعية الأشياء الأخرى وجودها لوحدها. وكنتيجة لهذا التحديد، طُرح قسمٌ كبيرة في أساس الكمال

العظيم جداً من تلك الطبيعة السامية، وأفاد في عدم معرفتي لسبب العبثية الأبدية.[1]

إنَّ خصوبة أساس واحد في توليد نتائج متعددة، والتناغم وملاءمة[2] الطبائع لتنسجم في مخطط منتظم للأشياء[3] وفق قوانين كلية ومن دون تعارض متكرر – تلك هي الخصائص التي يجب أن توجد، في المقام الأول، في إمكانيات الأشياء. وبعد ذلك فقط يمكن أن تصبح الحكمة فعالة في اختيارها. وهنا يُطرح السؤال: ما هي الحدود، المنبثقة من أساس منفصل،[4] التي لن يخضع لها الكائن المستقل، إن لم تتأسس هذه الامكانات في ذلك الكائن؟ يا لها من مصادفة غير مفهومة إذا كان، ضمن مجال الإمكان ومن دون افتراض وجود أيّ شيء موجود على الإطلاق،[5] من المفترض أن تدخل الوحدة والتناغم المثمر [191] إلى الكائن - الوحدة والتناغم هما من سيمكن الكائن الحكيم والقوي للغاية، بمجرد أن تتم مقارنة تلك العلاقات الخارجية بقدرته الداخلية، من جلب الكمال العظيم إلى الوجود. ومن المؤكد أنَّ هذا التفسير لم يعد يضع أصل الخير غير المنقوص في متناول كائن واحد. فعندما اخترع هيغنز **Huygens** الساعة ذات البندول،(137) كان سيكتشف عجزه بحد ذاته، لو أنَّه نظر في الأمر، عن أن ينسب

---

(1)-Undinge.
(2) -Schicklichkeit.
(3)-in einem regelmässigen Plane.
(4) fremden Gründe.
(5) irgend eines Existirenden.

لنفسه وحده الانتظام الذي يشكل كمال الجهاز. ومن الممكن أن نجعل الطبيعة الدائرية الشكل الوقت المستغرق بالسقوط الحر من خلال منحنى دائري هو ذاته، سواء تم تتبعه لفترة طويلة أو قصيرة؛ جعلت هذه الحقيقة اختراع هيغنز ممكناً فحسب. والحقيقة ذاتها التي تقول: إنَّ هذا النطاق الواسع من التأثيرات الجميلة ممكن فقط نتيجة للأساس البسيط للجاذبية ذاتها، وإذا لم تعتمد على الكائن الذي أدرك بالفعل هذا النظام بأكمله، من الواضح أنَّها تقلل وتجزء مسؤولية الله عن الوحدة الرائعة[1] وعن القدر العظيم من النظام الكبير جداً الذي يقوم على أساس واحد.

وتتوقف دهشتي عندما يعقب المعلول علته بمجرد أن أفهم بشكلٍ مباشر وبسهولة قدرة العلة على إحداث معلولها.[2] وعلى هذا الأساس، يجب أن تتوقف الدهشة بمجرد أن أعتبر البنية الميكانيكية لجسم الإنسان، أو أيّ تنظيم آخر مبتكر[3] على نحوٍ مصطنع أياً كان، على أنّه من صنع الله سبحانه وتعالى، وأن أنظر فقط إلى الواقع. والسبب، بأنَّ الكائن الذي يستطيع فعل أيّ شيء لابد أنَّه قادر أيضاً على إحداث مثل هذه الآلة، شريطة أن يكون ذلك ممكناً في المقام الأول، هو شيء يمكن فهمه بسهولة وبشكلٍ واضح. وعلى الرغم من ذلك، بقيت بعض الدهشة، بغض النظر عن الكيفية التي قدمنا بها

(1) reizenden.
(2)- die Zulänglichkeit der Ursache zu ihr (i.e., der Wirkung).
(3) künstlichen.

الدراسة أعلاه لجعل هذه الظاهرة قابلة أكثر للفهم. من المدهش أن يكون شيء مثل جسم الحيوان ممكناً أيضاً. وحتى إذا تمكنتُ من فهم جميع ينابيعه وقنواته بالكامل، وجميع قنواته العصبية وأذرعه، ومنظومته الميكانيكية بالكامل، فلازلت مندهشاً - مندهشاً من الطريقة التي يمكن أن تتوحد العديد من الوظائف المختلفة في بنيةٍ واحدة، ومندهشاً من الطريقة التي يمكن فيها دمج العمليات لإدراك هدف واحد بشكلٍ جيد مع تلك التي يتم من خلالها تحقيق هدف آخر، ومندهشاً من الطريقة التي تعمل بها المنظومة ذاتها أيضاً لتحافظ على الآلة ومعالجة آثار الإصابات العرضية، ومندهشاً من الطريقة التي يمكن أن يتكون بها الإنسان بشكلٍ دقيق للغاية ويكون قادراً مع ذلك على البقاء على قيد الحياة لفترة طويلة، على الرغم من الأسباب المتعددة كلها التي تهدد رفاهيته. وفي الواقع، لم يُستبعد أساس دهشتي حالما أقنعتُ نفسي بأنَّ كلّ الوحدة والتناغم الذي لاحظته من حولي ليس ممكناً إلا بسبب الكائن الموجود الذي يحتوي ضمنه على أسس ليس فقط للواقع بل أيضاً لكلّ إمكان. والسبب، ورغم أنَّ هذا صحيح، [192] أنّه من خلال استخدام تناظر السلوك البشري، يمكن للمرء أن يشكل تصوراً ما حول الطريقة التي يمكن أن يكون بها هذا الكائن علة لشيء حقيقي، ولا يمكن له أن يشكل أيّ تصور عن الطريقة التي يحتوي من خلالها هذا الكائن على أساس الإمكان الذاتي لأشياء أخرى. ويبدو الأمر كما لو أنَّ هذه الفكرة تفوق جداً ما يمكن أن تصل إليه المخلوقات الفانية.

حتى في الحكم على تكوين الأشياء الممكنة، عندما نفتقر إلى أسس غير مباشرة للقرار، وهذا تصور سامي للطبيعة الإلهية ومفهوم من حيث كمالها، يمكن أن تفيد كوسائل للاستدلال على إمكان مختلف عنها لكنه مفسّر على أنّه نتيجة منبثقة عن الطبيعة الإلهية من الأساس.[1] ويمكن طرح السؤال التالي: يمكن العثور من بين جميع العوالم الممكنة، على تدرج لدرجات الكمال لا نهاية له، بما أنّه لا يوجد نظام طبيعي ممكن، وأبعد من ذلك لا يمكن التفكير في نظام لا يزال متفوق جداً. وعلاوة على ذلك، حتى إذا كنتُ أعترف بوجود نظام أسمى، فسيظل هناك سؤالاً آخر يمكن طرحه، وهو: ما إذا كانت العوالم المختلفة ذاتها التي لم يسبق لها مثيل، متساوية تماماً مع بعضها بعض فيما يتعلق بكمالها.[138] ومن الصعب مع أسئلة كهذه، وربما من المستحيل، الوصول إلى إجابة بمجرد النظر في الأشياء الممكنة. ولكن عندما أنظر إلى سؤالين يتعلقان بالكائن الإلهي، وأدرك أنّه إذا تم اختيار عالم واحد مفضل على الآخر من دون وجود أيّ تفضيل في حكم الكائن المسؤول عن الاختيار، أو تم اختياره بالفعل بأسلوب غير متوافق مع هذا الحكم، فسيشير مثل هذا الاختيار إلى أنّ القوى الفعالة المختلفة لهذا الكائن لم تكن متفقة تماماً مع بعضها بعض، وأنّ أنماط

(1) Dieser hoher Begriff der göttlichen Natur, wenn wir sie nach ihrer Allgenugsamkeit gedenken, kann selbst in dem Urtheil über die Beschaffenheit möglicher Dinge, wo uns unmittelbar Gründe der Entscheidung fehlen, zu einem Hülfsmittel dienen, aus ihr als einem Grunde auf fremde Möglichkeit als eine Folge zu schliessen.

العمل المختلفة لم تتطابق مع اختلاف الدافع، وستشير باختصار إلى وجود عيب في الكائن[1] المثالي - عندما أدرك كلّ هذا، ثم استنتج مع اقتناع قوي أنَّ الحالتين المفترض أخذهما بالاعتبار أعلاه يجب أن يكونا وهميتان ومستحيلتان. وعلى أساس جميع التمهيدات التي قمنا بها أعلاه، يمكنني أن أفهم من الحجتين التاليتين، لماذا سيتم التوصية بالثانية أكثر بكثير من الأولى. إذ أنَّ الحجة الأولى تستنتج من بعض الإمكانات المفترضة التي لا يمكن التحقق منها بشكل كافٍ، أنَّ الكائن المثالي يجب أن يتصرف بالضرورة بطريقة معينة (يشكل هذا الكائن جيداً تصوراً عن التناغم الأسمى الموجود فيما هو ضعيف على ما يبدو) [193] وتستنتج الحجة الثانية إمكان ذلك الذي يُدرك أنَّه ملائم أكثر لهذا الكائن من التناغم المعترف بوجوده وإمكان الأشياء التي يجب أن تكون مع الطبيعة الإلهية.[2] لذلك سأفترض أنَّه، في إمكانيات جميع العوالم، لا يمكن أن يكون هناك أيّ علاقات كهذه تكون مصدراً للحيرة بالاختيار العقلاني للكائن الأسمى؛ لأنَّ هذا هو

(1) und erkenne, dass der Vorzug der Wahl, der einer Welt vor der andern zu Theil wird, ohne den Vorzug in dem Urtheile eben desselben Wesens, welches wählt, oder gar wider dieses Urtheil einen Mangel in der Übereinstimmung seiner verschiedenen thätigen Kräfte und eine verschiedene Beziehung seiner Wirksamkeit ohne eine proportionirte Verschiedenheit in den Gründen, mithin einen Übelstand in dem vollkommensten Wesen lasse.

(2) als aus der erkannten Harmonie, die die Möglichkeiten der Dinge mit der göttlichen Natur haben müssen, von demjenigen, was diesem Wesen am anständigsten zu sein erkannt wird, auf die Möglichkeit zu schliessen.

الكائن الأسمى الذي يحتوي بالضبط بداخله على الأساس المطلق لكلّ هذا الإمكان. لذلك لا يمكن أن يحتوي هذا الإمكان على أيّ شيء لا ينسجم مع مصدره.

إنَّ تصور الكمال الإلهي، الذي تم توسيعه ليشمل كلّ ما هو ممكن أو واقعي، هو تعبيرٌ أكثر ملاءمة بكثير لتعيين الكمال الأسمى للكائن الإلهي من تصور اللاتناهي، الذي يُستخدم بشكلٍ عام. وبغض النظر عن كيفية تفسير هذا التصور الأخير، فإنَّ معناه الأساسي رياضي بوضوح. ويدل على علاقة حجم بآخر، وتُتخذ كمقياس؛ هذه العلاقة أكبر من أيّ عدد. ومن ثم، تُدعى المعرفة الإلهية لامتناهية بالمعنى الدقيق للكلمة، إذا كان لها، مقارنة مع نوع آخر من المعرفة المزعومة، علاقة تفوق بها كلّ عدد ممكن. والآن، تقود مقارنة كهذه التحديدات الإلهية إلى علاقة غير مناسبة بين التجانس[1] وتلك الأشياء المخلوقة. وتفشل المقارنة علاوة على ذلك، في التعبير بدقة عما يأمل المرء في إثباته؛ أيّ الامتلاك غير المنقوص للكمال كلّه. وتحدد من ناحية أخرى، عبارة "الكمال" كلّ ما يمكن تصوره تحت فكرة الكمال. ومع ذلك، فإنَّ دلالة "اللاتناهي" جميلة وذات جمال حقيقي.[2] إذ يثير التوسع إلى ما وراء كلّ التصورات العددية عواطف تملأ الروح بالدهشة، بفضل ما يحدثه من حيرة معينة. والتعبير الذي نوصي به من

(1)- Gleichartigkeit.
(2)- schön und eigentlich ästhetisch.

ناحية أخرى، هو ذلك الذي يفي بمتطلبات الدقة المنطقية بدرجة أكبر.[194]

# القسم (3)

## يتبيّن فيه أنَّه لا توجد حجة أخرى ممكنة لدعم إثبات وجود اللّٰه باستثناء ما تم تقديمه

## 1. تصنيف جميع الحجج الممكنة الداعمة لإثبات وجود الله

يمتلك الاقتناع بالحقيقة العظيمة، "بوجود الله"، إذا بلغ أعلى درجة من اليقين الرياضي، هذه الخصوصية: لا يمكن الوصول إليه إلا بمسارٍ واحد،[1] يمنح وفق هذا التأمل ميزة، أنَّه بمجرد اقتناع المرء بعدم وجود خيار ممكن بين مجموعة متنوعة من الحجج، فسيتعين توحيد الجهود الفلسفية في حجة واحدة. وستهدف هذه المساعي إلى تصحيح الأخطاء التي ربما تكون قد تسللت إلى الحجة في سياق صياغتها، وليس برفضها.

وبغية إظهار ذلك، أودُّ أن أبدأ بتذكير القارئ بأنَّ عليه عدم التغاضي عن المطلب الذي يجب الوفاء به بالفعل. وما يجب اثباته، أيّ الوجود، ليس علة رئيسية عظيمة ومثالية للغاية فحسب، بل الكائن الأسمى الذي هو فوق كلّ الكائنات. وعلاوة على ذلك، ما يجب إثباته هو الوجود، ليس وجود كائن واحد أو أكثر، بل وجود كائن فريد من نوعه. وأخيراً، يجب إثبات هذه الأشياء بيقين رياضي وليس عن طريق التذرع بأسس محتملة فقط.

(1) Die Überzeugung von der grossen Wahrheit: es ist ein Gott, wenn sie den höchsten Grad mathematischer Gewissheit haben soll, hat dieses Eigne: dass sie nur durch einen einzigen Weg kann erlangt werden.

ويجب أن تنبثق جميع الحجج المتعلقة بوجود الله من أحد المصدرين: إما من تصورات فهم الممكن فقط، أو من التصور التجريبي للوجود. ويمكن في الحالة الأولى، أن تمضي الحجة إما من الممكن كأساس لوجود الله كنتيجة لذلك، أو من الممكن نتيجة للوجود الإلهي كأساس. وقد تمضي الحجة في الحالة الثانية، من ذلك الوجود الذي نختبره، إلى وجود علة أولى ومستقلة فحسب، وتمضي من ثم، من إخضاع هذا التصور للتحليل، إلى اشتقاق خصائصه الإلهية؛ [195] بدلاً من ذلك، قد تمضي الحجة مباشرة من تلك الخبرة التي تُعلِمنا كلاً من وجود وخصائص الكائن الإلهي.

**2. فحص الحجج من النوع الأول**

إذا كانت الحجة تمضي من تصور الممكن فحسب كأساس للوجود كنتيجة لذلك، فيجب أن يكون هذا الوجود ذاته قابلاً للاكتشاف عند تصوره عن طريق التحليل؛ لأنَّ الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها استخلاص نتيجة من تصور الممكن هي من خلال التحليل المنطقي. ولكن يجب بعد ذلك أن يكون الوجود متضمناً في الممكن كمحمول. ولكن بما أنَّ هذا لم يكن القضية وفقاً للتأمل الأول في القسم الأول من هذا الكتاب، فمن الواضح أنَّ البرهنة على الحقيقة التي نبحث عنها غير ممكن بهذا الأسلوب.

ومع ذلك، هناك برهانٌ مشهور مبني على هذا الأساس، يسمى البرهان الديكارتي Cartesian.[139] ويبدأ المرء فيه عن طريق التفكير في

تصور الشيء الممكن، الذي يتخيل فيه المرء اتحاد الكمال الحق كلّه. ومن المفترض الآن أنَّ الوجود هو أيضاً كمالٌ للأشياء. ويُستدل بالتالي على وجود كائن مثالي من إمكانية وجود مثل هذا الكائن. ويمكن للمرء أن يستخلص الاستدلال ذاته من تصور أيّ شيء يتم تخيل أنَّه أفضل شيء في نوعه. ويمكن للمرء، على سبيل المثال، الاستدلال على وجود عالم أكثر كمالاً من مجرد حقيقة أنَّه يمكن التفكير في مثل هذا العالم. ومن دون الدخول في تفنيدٍ دقيق لهذا البرهان، الذي يمكن العثور عليه عند الفلسفات الأخرى،[140] أود فقط أن أحيل القارئ إلى الشرح المقدم في بداية هذا العمل، وهو أنَّ الوجود ليس محمولاً على الإطلاق، وبالتالي ليس محمولاً للكمال أيضاً. ومن هنا، ليس من الحكمة الاستدلال على الممكن من تعريفٍ،[1] يحتوي على مزيج تعسفي من محمولات مختلفة[2] تُستخدم لتشكل تصور لشيء ما ممكن، لا على وجود هذا الشيء، ولا جود الله أيضاً بالنتيجة.

والاستدلال من ناحية أخرى، من إمكانيات الأشياء كنتائج على وجود الله كأساس هو حجة من نوعٍ مختلف تماماً. وما هو قيد البحث هنا هو ما إذا كانت حقيقة أنَّ شيئاً ما ممكناً لا يفترض شيئاً موجوداً، وما إذا كان هذا الوجود، الذي من دونه لا يمكن حتى حدوث إمكان ذاتي، لا يحتوي على خصائص كالتي دمجناها معاً في تصور الله. وبادئ

(1)- Erklärung.
(2)- eine willkürliche Vereinbarung verschiedener Prädikate.

ذي بدء، من الواضح في هذه الحالة أنّه لا يمكنني أن أستدل على الوجود من إمكانٍ مشروط، ما لم أفترض وجود ما هو ممكن فقط في ظروف معينة؛ لأنَّ الإمكان المشروط يعني فحسب أنّ شيئاً ما يمكن أن يوجد فقط ضمن روابط معينة؛ لا يثبت وجود السبب إلا بقدر وجود النتيجة. ولكن هنا لا يمكن الاستدلال على السبب من [196] وجود النتيجة.[1] ومن هنا، لا يمكن إجراء مثل هذا البرهان إلا من إمكان ذاتي، إذا حدث ذلك بالمطلق. وسيلاحظ إضافة إلى ذلك أنَّه يجب أن ينبع من الإمكان المطلق لكلّ الأشياء بشكلٍ عام.[2] ولأنَّه إمكان ذاتي بحد ذاته فحسب يُفترض أن نعلم[3] من خلال الاستدلال عليه أنَّه يفترض وجوداً ما، وليس من المحمولات الخاصة، والتي يختلف بموجبها شيء ممكن عن شيء آخر؛ لأنَّ الاختلاف في المحمولات يحدث أيضاً في حالة ما هو ممكن فحسب، ولا يعين أيّ شيء موجود. وبناءً على ذلك، يجب الاستدلال على الوجود الإلهي بالأسلوب المذكور من الإمكان الذاتي لكلّ شيء يمكن التفكير به. وأثبت القسم الأول من هذا الكتاب إمكان حدوث ذلك.

(1) und das Dasein der Ursache wird nur in so fern dargethan, als die Folge existirt, hier aber soll sie (i.e., die Ursache) nicht aus dem Dasein derselben (i.e., der Folge) geschlossen werden.
(2) aus der absoluten Möglichkeit aller Dinge überhaupt.
(3) von der (sc. Möglichkeit) erkannt werden.

## 3. فحص الحجج من النوع الثاني

يمضي البرهان الذي يستخدم قواعد الاستدلال[1] السببي من التصورات التجريبية لذلك الموجود إلى وجود علة أولى ومستقلة، ثم يمضي من خلال إخضاع هذا التصور إلى تحليل منطقي،[2] إلى خصائص تلك العلة التي تعين الألوهية. وهذا برهانٌ مشهور، ويتمتع بمكانةٍ كبيرة نتيجة لعمل فلاسفة مدرسة **فولف** على وجه الخصوص.[141] ومع ذلك، فإنَّ البرهان مستحيل كلياً. أعترف أنَّ الحجة صحيحة بقدر ما هي الفرضية التي تقول: إذا كان شيء ما موجوداً، فإنَّ شيئاً آخر موجوداً أيضاً لا يعتمد في حد ذاته على أيّ شيء آخر. وأعترف بالتالي بأنَّ وجود شيء أو عدة أشياء، ليست بحد ذاتها معلولات لشيء آخر، يكون راسخاً جيداً. والآن، الخطوة الثانية من الحجة التي تمضي بالقدر ذاته من الفرضية التي تقول: إنَّ هذا الشيء المستقل ضروري بإطلاق، أقل موثوقية بكثير؛ لأنَّ الحجة يجب أن تستخدم مبدأ السبب الكافي الذي لا يزال موضع جدل.[142] ومع ذلك، أنا مستعد لتأييد كلّ شيء، حتى هذه اللحظة. وتبعاً لذلك، يوجد شيء ما بالضرورة. ويجب أن تُستمد صفات الكمال السامي والوحدة الآن من هذا التصور للكائن الضروري بإطلاق. لكن تصور الضرورة المطلقة، وهي أساس الحجة، يمكن تناولها بطريقتين، كما تم

(1) nach den Regeln der Causalschlüisse.
(2) logische Zergliederung.

توضيحها في القسم الأول من هذا العمل. ووفقاً للطريقة الأولى، التي أطلقنا عليها اسم الضرورة المنطقية، يجب إظهار أنَّ عكس الشيء، الذي يوجد فيه الكمال كلّه أو الحقيقة، متناقض بحد ذاته، وبناءً على ذلك فإنَّ الكائن الذي يتم تأكيد محمولاته حقاً، بمفردها وبصورة فريدة، يكون ضروري في الوجود بإطلاق. وبما أنَّ الاتحاد الشامل ذاته [197] لكلّ الواقع[1] يكون في كائن واحد، ولابدَّ من اثبات أنَّه كائن فريد، فمن الواضح أنَّ تحليل تصور ما هو ضروري سوف يستند إلى أسس تمكنني من استخلاص الاستنتاج المعاكس: أنَّ ذلك الذي يكون فيه كلّ الحقيقة، موجود بالضرورة. والآن، وفقاً للعدد السابق، هذا الاستنتاج مستحيل. ولكن ليس ذلك فقط؛ إذ من الجدير بالملاحظة خاصة في هذا النوع من البرهان، أنَّ التصور التجريبي، والذي يُفترض لكن لا يُستخدم فعلياً، لا يكون أساساً تستند إليه الحجة على الإطلاق. ويستند هذا البرهان، مثل البرهان الديكارتي حصرياً إلى تصورات، تفترض وجود الكائن في هوية أو تضاد مع محمولاته.(*)

وليس في نيتي تحليل البراهين ذاتها، التي يستخدمها عدد من الفلاسفة وفقاً لهذا المنهج. ومن السهل الكشف عن مغالطاتهم، وقد تم هذا حقاً في الواقع إلى حدٍ ما من قبل الآخرين. ولكن ربما من المأمول به مع ذلك، أن يكون من الممكن معالجة أخطاء هذه البراهين بالقيام بعددٍ من التصويبات. ومع ذلك، فإنَّ تأملنا يجعلها توضح، بغض

(1) Vereinbarung aller Realität.

النظر عن كيفية مراجعتها، أنَّه لا يمكن أن تكون هذه البراهين سوى حجج عن تصورات الأشياء الممكنة، وليست استدلالات من خبرة. لذا يجب في أحسن الأحوال، أن تُحسب من بين البراهين من النوع الأول.(143)

أما بالنسبة للبرهان الثاني من هذا النوع، حيث يُستدل الآن على وجود الله وخصائصه من التصورات التجريبية لأشياء موجودة، فالوضع مختلفاً تماماً. وهذا البرهان ليس ممكناً فحسب، بل يستحق أيضاً أن يصل كلياً إلى الكمال المناسب من خلال الجهود المتضافرة للفلاسفة. إذ تُظهر أشياء العالم، التي تُفصح عن ذاتها بحواسنا، علامات ذات سمة مميزة للمشروطيتها. ليس هذا فقط بل تعرض أيضاً، من خلال الحجم والنظام والشروط الهادفة التي يمكن مقابلتها في كلّ مكان، براهين على وجود خالق عقلاني يتمتع بحكمة وقوة وخير عظيمين. وتسمح الوحدة العظيمة لهذه المجموعة الواسعة بأن يستنتج المرء أنَّ كلّ هذه الأشياء قد ظهرت إلى الوجود من قبل خالق واحد أحد. وحتى إذا كانت هذه الاستدلالات تفتقر إلى الدقة[1] الهندسية، فقوتها مع ذلك لا جدال فيها بحيث لا يوجد مخلوق عاقل، من خلال استخدامه لقواعد الحس المشترك الطبيعي،[2] سيترك للحظة واحدة أيّ شك يتعلق بهذه الأمور.[198]

(1) geometrische Strenge.
(2)- natürliche gesunde Verstand.

## 4. يوجد برهانان ممكنان فقط على وجود الله

من الواضح من كلّ هذه الأحكام، أنّه إذا كان يرغب المرء في أن يجادل من تصورات الأشياء الممكنة، فإنَّ الحجة الوحيدة الممكنة لوجود الله، يُعتبر فيها الإمكان الذاتي لكلّ الأشياء في حد ذاته شيئاً يفترض وجوداً أو آخر. وقد تبيّن ذلك في القسم الأول من هذا الكتاب. ومن الواضح بالمثل أنَّه إذا كانت الحجة، والتي تأخذ كنقطة انطلاق لها الأشياء الموجودة التي تعلمنا إياها الخبرة، تصعد إلى الحقيقة ذاتها، فيمكن أن يثبت الدليل فقط وجود القضية السامية وتشكيلها إذا كانت تبدأ من إدراك الخصائص التي تمتلكها الأشياء داخل العالم، ومن التنظيم العرضي للكون ككل. واسمحوا لي أن أسمي الدليل الأول من هذين الدليلين الأنطولوجي أو الوجودي والثاني الدليل الكوني أو الكوزمولوجي.

ويبدو لي أنَّ الدليل الكوني قديم قدم العقل البشري ذاته. وهو طبيعي، ومقنع للغاية، وامتدت تأملاته حتى اليوم، كما أنَّه يواكب تقدم فهمنا، ويجب أن يبقى ما دامت ترغب كائنات عاقلة في الانخراط في هذه الدراسة النبيلة، والهدف من ذلك هو التوصل لمعرفة الله من خلال أفعاله. وقد منحت جهود درهم **Derham**، (144) ونيوفنتيت (145) **Nieuwentyt** والعديد من الآخرين، شرف التفكير الإنساني في هذا الجانب. ومع ذلك، فقد تسلل قدرٌ كبيرٌ من الغرور في بعض الأحيان: تحت شعار التعصب الديني، [1] تم منح مظهر الاحترام لجميع أنواع

(1)- durch die Lösung des Religionseifers.

المعرفة الطبيعية وحتى الأشكال المحضة للخيال.[1] ولكن، على الرغم من كلّ تفوقه، لن يكن هذا النمط من الدليل قادراً على تحقيق اليقين أو الدقة الرياضية. ولن يثبت أبداً أكثر من وجود خالق عظيم غير مفهوم للكل المتمثل بحد ذاته أمام حواسنا. ولن يكن قادراً أبداً على إثبات وجود أكمل الكائنات الممكنة كلّها. ذلك أنَّ هناك خالق أول واحد فقط، قد يكون الشيء الأكثر احتمالاً في العالم؛ لكن القناعة المقدمة لن تصل أبداً إلى الاكتمال اللازم لتحدي الشك الأكثر غطرسةً،[2] وهذا يعني أنَّه لا يمكننا الاستدلال على وجود الخصائص في القضية التي تكون أكثر من حيث العدد أو أكبر من حيث الكمية مما يلزم لفهم درجة وطبيعة المعلولات الناشئة عن هذه العلة - بافتراض أنّ السبب الوحيد الذي لدينا لافتراض وجود هذه العلة هو ما أتاحته لنا المعلولات. ونحن ندرك الآن وجود الكثير من الكمال والعظمة[3] والنظام في العالم، ولكن النتيجة الوحيدة التي يمكن أن نستخلصها من ذلك بدقةٍ منطقية[4] هو أنَّ علة هذه الأشياء يجب أن تمتلك درجة عالية من الفهم والقوة والخير. ومع ذلك لا يحق لنا أن نستنتج أنَّ هذه العلة ذاتها كلية العلم أو كلية القدرة، وما إلى ذلك. وكلّ ما نحن فيه [199] هو وحدة دنيوية وترابط شامل،[5] لا حد له. ويمكننا أن نستنتج من ذلك لسببٍ وجيه أنّ خالقاً واحداً كان مسؤولاً عن الكل. ومع ذلك،

---

(1) allerlei physischen Einsichten oder auch Hirngespinsten.
(2)- der frechsten Zweifelsucht.
(3) Grösse.
(4) mit logischer Schärfe.
(5) durchgangige Verknüpfung.

يجب أن نعترف أنَّنا لسنا على دراية بكامل الخلق. ويجب أن نحكم وفقاً لذلك ونقول: إنَّ هذا الجزء من الخلق الذي نتآلف معه يخولنا أن نستدل على وجود خالق واحد لا غير، وهذا يشجعنا على افتراض أنَّ ذلك الجزء من الخلق الذي لم نطلع عليه سيتشكل بالمثل. ورغم ذلك من المعقول للغاية أن نعتقد بهذه الطريقة، أنَّه ليس استدلالاً صارماً.

ومن ناحية أخرى، ومن دون أن نتباهى كثيراً بأنفسنا، يبدو أنَّ ملخص الدليل الأنطولوجي الخاص بنا قادراً على الإثبات بالدقة المطلوبة. ومع ذلك، إذا طُرح السؤال، أيّ من الدليلين كان متفوقاً، فسيكون ردنا على هذا النحو: إذا كانت الدقة المنطقية والاكتمال هما القضية، فإنَّ الدليل الأنطولوجي هو المتفوق. ومع ذلك، إذا كان المرء يبحث عن إمكانية الوصول إلى الحس المشترك السليم،[1] وحيوية الانطباع، والجمال والإقناع فيما يتعلق بالدوافع الأخلاقية للإنسان، فيجب عندئذٍ منح الميزة إلى الدليل الكوزمولوجي. ومما لا شك فيه أنَّه مهم أكثر، حينما يلهم الفهم السليم المقنع أيضاً الإنسان مشاعر نبيلة، والتي تكون مفعمة جداً بالأفعال النبيلة، من إرشاده بمقاييس منطقية مدروسة بعناية، بحيث ترضي متطلبات التخمين البارع. وإذا كان ينبغي على المرء أن يمضي بوضوح، فلا يمكن إنكار ميزة المنفعة العامة للدليل الكوزمولوجي المعروف جيداً.

(1) Fasslichkeit für den gemeinen richtigen Begriff.

وبناءً على ذلك، فهو ليس استراتيجية جذابة تتوق إلى استحسان الآخرين، بل أمانةً، عندما أعترف عن طيب خاطر بتفوق ما يتعلق بفائدة عرض المعرفة المهمة عن الله وصفاته، مثل مساعي ريماروس Reimarus في كتابه عن الدين الطبيعي[146] - وهي ميزة يتمتع بها على كلّ دليل آخر، بما في ذلك الدليل الخاص بي، والذي يولي الاهتمام الأكبر للدقة المنطقية. ويجب ألا آخذ بالاعتبار قيمة هذه الكتابات أو الأخرى لـريماروس، والتي تكمن بشكل رئيسي في استخدام غير متأثر بالحس المشترك السليم والرائع. ومع ذلك، يجب أن يُقال: تمتلك هذه الأسباب قوة إثبات كبيرة[1] وتحفز الحدس أكثر من التصورات المجردة منطقياً، على الرغم من أنَّ هذه التصورات توضح الكائن بدقةٍ أكبر.

ومجرد أن ينخرط الفهم المستفسر في مسار التحقيق، لن يرتاح حتى يصبح كلّ شيء حوله واضحاً، حتى، إذا جاز لي أن أعبر بذاتي، تغلق الدائرة التي تطوق سؤاله تماماً. ولهذا السبب، لن يرفض أحد مسعى مثل المسعى الراهن، والتعامل معه بحد ذاته كما هو الحال بدقةٍ منطقية في المعرفة التي لا تقل أهمية عن هذا، على أنَّه عديم الجدوى أو غير ضروري - خاصة وأنَّ هناك العديد من الحالات سيظل فيها تطبيق التصورات غير مؤكد ومشكوك فيه، من دون هذا الاهتمام.[200]

(1)- Beweiskrafi.

**5. لا يوجد سوى إثبات واحد ممكن على وجود الله: الحجة التي تفيد كأساس له تم تقديمها في الأعلى**

يوجد أربع حجج ممكنة على وجود الله، وقد اختزلناها إلى نوعين رئيسيين. ومن الواضح مما قلناه حتى الآن أنَّ كلاً من الدليل الديكارتي والدليل الذي يمضي من التصور التجريبي للوجود، وينطوي على تحليلٍ لتصور الشيء المستقل، كاذبان ومستحيلان تماماً. ولا أعني بهذا أنَّها أدلة تفتقر ببساطة إلى الدقة المناسبة؛ أعني أنَّها لم تثبت شيئاً على الإطلاق.[1] وقد تبين أيضاً أنَّ الدليل الذي يستمد وجود الله وخصائص الكائن الإلهي من خصائص الأشياء الموجودة في العالم يحتوي على حجة قوية وجميلة في وقت واحد؛ غير قادر لسوء الحظ، على تحقيق الدقة المطلوبة للإثبات. والآن، لم يتبق سوى بديل واحد: إما أنَّه لا يوجد دليل صارم على وجود الله على الإطلاق، أو يجب أن يستند الدليل إلى الحجة التي قدمناها أعلاه. ونظراً لأنَّنا نتحدث ببساطة عن إمكانية وجود دليل، فلن يحتفظ أحد بالسابق، وستكون نتيجة الأمر منسجمة مع ما أظهرناه. يوجد إله واحد فقط، ويوجد حجة واحدة فقط تمكننا من فهم[2] وجوده وفهمه وإدراك الضرورة التي تفسد كلّ شيء يعارضها بإطلاق – يمكن أن يقودنا الحكم الذي هو طبيعة موضوع بحثنا ذاته مباشرة. وما كان من الممكن

(1) sondern gar nicht beweisen.
(2)- einsehen.

أن توجد كلّ الأشياء الأخرى الموجودة أيضاً. وبالتالي، لا يمكن أن تزودنا الخبرة بالأشياء المشروطة من خلال حجةٍ فعالة تمكننا من فهم وجود هذا الكائن، والذي من المستحيل عدم وجوده. ويتم العثور على الفرق بين وجود الله ووجود أشياء أخرى ببساطة في حقيقة أنَّ إنكار الوجود الإلهي هو عدمٌ مطلق. والإمكان الذاتي، وماهية الأشياء، هو ذلك الحذف الذي يستبعد كلّ ما يمكن التفكير به. وبالتالي، تكمن في هذا العلامة ذات الصفة المميزة لوجود ماهية جميع الكائنات.[1] وبهذا يجب البحث عن دليل على وجود الله. ورغم ذلك ينبغي عليك أن تفكر بذلك الدليل الذي لا يمكن العثور عليه هنا، ثم تتخلى عن هذا المسار الذي لم يُهزم، وتتبع الطريق السريع الواسع للعقل البشري. إذ من الضروري للغاية أن يقتنع المرء بأنَّ الله موجود، ولكن ينبغي أن يكون اثبات وجوده غير ضروري للغاية.[201]

(1) السمة المميزة لوجود ماهية كلّ الكائنات / (قد تعني كلمة Wesen إما "ماهية" أو "كائن" [بمعنى "الكينونة"]، وبالتالي يمكن ترجمة العبارة الأخيرة ماهية جميع الماهيات).

# ملحق

ولد **إيمانويل كانط** في كونينغسبيرغ في 22 أبريل 1724. وقد جذب اهتمامه المبكر انتباه **فرانز ألبرت شولتز** (1692 - 1763)، الذي رتب لدخول الطفل البالغ من العمر ثماني سنوات إلى كلية فريدريشاني التي كان عميد لها. وهكذا تأثر روحياً وفكرياً بـ**شولتز**، الذي كان ورعاً وتابعاً لـ**فولف**، الذي درس عنده في هاله. وتم تخصيص سنواته الثمانية إلى حدٍ كبير لدراسة اللغات الكلاسيكية (خاصة اللاتينية) والدين. غير أنَّ أعوامه الأخيرة في المدرسة أصبحت قاتمة مع وفاة والدته عام 1737.

وفي عام 1740، بدأ دراسته في جامعة هرتسوغ ألبريشت في كونينغسبيرغ. ويبدو أنَّه قرأ الرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفة. وكان التأثير الحاسم على فكره خلال هذه الفترة هو **مارتن كنوتزين** Martin Knutzen (1713 - 51). والذي كان بالمثل ورعاً ومن أتباع **فولف**. وكان أيضاً نيوتنياً، وهو الذي قدم **كانط** للفيزياء الجديدة. وحضر **كانط** محاضراته حول الرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية، وربما كان **كنوتزن** هو الذي قاده إلى موضوع عمله الأول، "القوى الحية" (1747). إذ تمكن من الجمع بين اهتماماته الفلسفية والعلمية وواجباته التعليمية من أجل عودته إلى كونينغسبيرغ في 1754، وقد

نشر عملين قصيرين عن الأصالة العلمية الكبيرة، وعمل رئيسي واحد عن العبقرية العلمية غير القابلة للجدل، "التاريخ الطبيعي العام" (1755) حيث خرج فيه عن **نيوتن** من خلال تقديم حساب ميكانيكي بحت لبنية وحركة الكون. ومع ذلك، فإنّ إفلاس المطبعة قد أخرج هذا العمل الاستثنائي من الوصول إلى جمهور أوسع. وفي السنة التي أعقبت عودته إلى كونينغسبيرغ، شرّع **كانط** البالغ من العمر واحد وثلاثين عاماً في تأمين المؤهلات الرسمية اللازمة للتعيين. وقدم أول رسالتي بحث، "عن النار"، عام 1755، وتم منحه درجة الماجستير في عام 1755. وتم تقديم الأطروحة الثانية، "التوضيح الجديد" (1755) والتي كانت موضوعاً للنزاع عام 1755. وكانت هذه أول أعماله الفلسفية البحتة، التي انتقد فيها بشدة **لايبنتز** و**فولف**، كونها تعرض التأثير القوي لـ**كروسيوس**. وبدأ محاضراً في الخريف ذاته، حيث قدم دورات في الرياضيات والمنطق والميتافيزيقا وربما العلوم الطبيعية.

وأسس بسرعة شهرته كمعلم ناجح ومخلص بشكلٍ استثنائي. وتزامنت بداية مهنته بصفته محاضراً مع زلزال لشبونة في تشرين الثاني 1755. حيث قام من أجل تهدئة مخاوف الجمهور، بنشر ثلاث مقالات حول أسباب الزلازل في وقت مبكر من عام 1756، بحجة أنّها كانت ظواهر جيولوجية بحتة لم تكن متوافقة مع خير الله وقوته. وفي هذا العام بدأ في إلقاء محاضرات حول الجغرافيا الفيزيائية، وبالطبع كان سيجري حليفاً سنوياً طوال الأربعين عاماً من حياته المهنية في التدريس.

وفي نيسان 1756، تقدم كانط بطلب للحصول على منصب أستاذ في المنطق والميتافيزيقيا، وهو المنصب الذي كان يشغله مارتن كنوتزين حتى وفاته المبكرة في عام 1751. وتطلب التطبيق تقديم أطروحة ثالثة. "المونودولوجيا الفيزيائية" (1756)، والذي كتبه من أجل تلبية هذا المطلب. ومع ذلك، تضاءلت آماله في التقدم الأكاديمي فالحكومة لم تحدد أي موعد. وكانت خيبة أمله مرة ثانية عندما تقدم في عام 1758 بطلب للحصول على وظيفة أستاذ في المنطق والميتافيزيقا. وتنتمي إلى هذه الفترة سلسلة من الأعمال القصيرة: "نظرية الرياح" (1756)، "الرياح الغربية" (1757)، "الحركة والسكون"(1758)، "التفاؤل" (1759)، و"الأفكار" (1760). ومن الناحية الفلسفية، قام بتأليف عملين فلسفيين فقط: "التوضيح الجديد" و"التفاؤل". صحيح أنّ عدداً من الأعمال العلمية التي كتبها في فترة الخمسة عشر عاماً هذه تحتوي على مناقشات لقضايا فلسفية: "القوى الحية" و"قضايا المكان وحدود المنهج الرياضي". "التاريخ الطبيعي العام"، "قضية التوافق بين الشرح العلمي والعقيدة الدينية"؛ ثلاث مقالات عن الزلزال في 1756، "قضية التفاؤل". "المونودولوجيا الفيزيائية"، و"قضايا المكان والعلاقة بين الفيزياء والهندسة". ومع ذلك، فإنّ جميع الأعمال الخمسة عشر التي كتبها ما بين 1746 و1761، كانت ذات طابع فلسفي. وفي المقابل، من بين الأعمال العشرة التي ألفها في فترة الثماني سنوات التي بلغت ذروتها بنشر الرسالة الافتتاحية في عام 1770، يمكن وصف واحدة فقط، "أمراض العقل" (1764) بأنّها غير فلسفية.

وتم كسر هذا الصمت الفلسفي فجأةً في عام 1762 بالكامل، في غضون أقل من عام ونصف بما لا يقل عن خمسة أعمال فلسفية: "الدقة الزائفة" (1762) و"الحجة الوحيدة الممكنة" (1763)، و"تحقيق" (1764) (اكتمل بنهاية 1762)، "المقدار السلبي" (1763) (اكتمل بحلول منتصف يونيو 1763)، و"الملاحظات" (1764). ومن بين هذه الأعمال الخمسة، يحتوي كتاب "الدقة الزائفة" على نقدٍ لجانب من النظرية الأرسطية بالقياس المنطقي، والملاحظات المكتوبة تحت تأثير **روسو**، مكرسة للمواضيع الجمالية والأخلاقية والأنثروبولوجية. ومن الناحية الفلسفية، فإنَّ أهم هذه الأعمال الخمسة هي الحجة الوحيدة الممكنة، والتي تُظهر التأثير القوي لـ**موبرتويس**، وتحتوي على دليل مسبق على وجود الله؛ "المقادير الإيجابية"، الذي يوضح التمييز بين المثالي والحقيقي؛ و"التحقيق" الذي يناقض مناهج الرياضيات والميتافيزيقا.

وكان كتاب "الأحلام" (1766)، الذي تناول فيه **كانط** صراحة لأول مرة مسألة إمكان الميتافيزيقيا. ويهتم بشكلٍ واضح بسلطات سويدبورغ الخارقة المزعومة، ويركز العمل في المقام الأول على توضيح أنواع معينة من الادعاءات الميتافيزيقية، مثل تلك المتعلقة بالأرواح النقية. وكانت مناقشة **كانط** شكية جداً وتؤدي إلى فكرة أنَّ الفهم الإنساني محصور بحدود لا يمكن تجاوزها. وربما يكون كتاب "الأحلام" في عامي 1764 و1765، وهي الفترة التي ينتمي إليها أيضاً نشر "أمراض العقل" (1765). وفي هذه الفترة رفض **كانط** في عام 1764،

النظر في كرسي الشعر، وقبوله في عام 1765، للمنصب المتواضع لمكتبة المكتبة الملكية.

وركز اهتمامه خلال النصف الأخير من فترة الثماني سنوات هذه على فكرة **لايبنتز** (ولا سيما نظريات المكان والحساسية) من خلال المظهر بعد وفاته في عام 1765 في كتابه "مقالات جديدة". وقبل ظهور "الرسالة الافتتاحية" في أواخر صيف عام 1770 ظهر في بداية عام 1768، منشور موجز ولكنه مهم للغاية وهو "الاتجاهات في المكان". ويحتوي هذا العمل على نقدٍ قوي لنظرية المكان الايبنتزية و"تحليل الموقع"؛ كما أنَّه يمهد الطريق للرأي، في "الرسالة الافتتاحية"، أنَّ المكان هو الشكل الخاضع لحساسيتنا. وبحلول أواخر الستينيات من القرن التاسع عشر، ترسخت شهرته الفلسفية. وعُرض عليه في عام 1769، كرسي الفلسفة في إرلانجن، وكذلك في بداية عام 1770في جينا. ولكنه رفض الدعوتين. وتمت مكافأة صبره في نهاية المطاف؛ لأنَّه في 31 آذار 1770، عُرض عليه كرسي المنطق والميتافيزيقيا في كونيغسبرغ - الكرسي نفسه الذي لم ينجح في الحصول عليه منذ حوالي 12 عاماً. ووفقاً للتقليد الأكاديمي، قام بتأليف أطروحة لاتينية ليتقلد منصب أستاذ، وكانت موضوعاً للنزاع عام 1770. ورغم أنَّه ألفها لمناسبة أكاديمية رسمية، غير أنَّها تمثل ذروة التطور الفلسفي المبكر له؛ كونها تحتوي على هجومٍ مدمر على عقيدة أساسية من نظرية المعرفة الايبنتزية، أنَّ الإحساس هو شكل من أشكال التفكير المشوش. كما أنها تحتوي على تصريحٍ كامل للرأي القائل بأنَّ المكان والزمان

ليست سوى أشكالاً سابقة على حساسيتنا. ولا يزال الاعتراف بإمكانية الإدراك الميتافيزيقي قائماً، ولكن تم تشخيص أنواع معينة من المزاعم الميتافيزيقية على أنَّها تنطوي على استخدام غير مشروع لمبادئ الحساسية. وكان هناك توتر بين البصيرة في مثالية المكان والثقة التي لم تتزعزع حتى الآن في إمكانية المعرفة الميتافيزيقية، وبعد عقد من الصمت كانت ولادة كتابه الشهير "نقد العقل المحض" في عام 1781.

# الهوامش

1 - "لا تستخف بهذه الهدايا التي قدمتها بازدراء، وأعدتها لك بعناية مخلصة، حتى تفهمها". (لوكريتيوس، الطبيعة، 1، 52 و53) وقد أشارت إلى أنَّ كانط يفشل على الفور في "إكمال" الاقتباس مع ما بين القوسين التاليين: (أنا على وشك أن أشرح لك الطبيعة المطلقة للسماوات والآلهة، ووضع مبادئ الأشياء أمام عينيك).

2 - الإثبات: راجع. المنطق (1800)، مقدمة، (IX (AK 9: 71، حيث يقول كانط: "البرهان الذي هو أساس اليقين الرياضي يسمى إثباتاً ..." العناصر الأساسية لأيِّ برهان مهما كانت مادته وشكله، أو الحجة (الدليل) واتساقها (النتيجة). وبالتالي فإنَّ الفرق بين الإثبات والحجة هو الشكل، ويتوافق مع التمييز بين التعريف والتفسير (راجع الملاحظة 4 أدناه). يعرّف كانط مفهوم الإثبات في كتاب نقد العقل المحض (1787/1781)، [A734 / B762 (AK 3: 481)]: "البرهان المعتاد فقط، بقدر ما هو بديهي، يمكن أن يُسمى إثباتاً". ويستمر كانط هناك بالتأكيد على أنَّ الرياضيات فقط يمكن أن تحتوي على براهين تكون في وقت واحد بديهية وعادية وبالتالي إثباتات بالمعنى الدقيق للكلمة.

3 - الدليل: يسرد المدخل في جريم المعادل اللاتيني الوحيد ببساطة، وهو الحجة، ويستشهد بعنوان هذا العمل الحالي لكانط كبرادايم لاستخدامه. ويعارض لويس وشورت الحجة (التي تناشد الحقائق) والنسبة (التي تناشد الأسباب). أنظر الملاحظة 2 أعلاه للتمييز بين الدليل والإثبات.

4 - التعريف: يستخدم كانط مصطلحي التعريف والتفسير كمترادفين في هذا الكتاب. وقد تُرجم المصطلحان بـ"تعريف". وفي نقد العقل المحض (1787/1781) A729 و730 / 757 B و758 (4:478 AK و479)، يميز كانط بين الاثنين: التعريف فقط هو التعريفات الصارمة، لأنَّها وحدها قادرة على التميز وكاملة؛ وتدين بهذه الخاصية الأخيرة لكونها نتيجة التركيب وبالتالي فإنَّها تعسفية أو إلزامية (تعسفية: نتيجة الإرادة والاختيار المتأنِ). وتكون المفاهيم الرياضية وحدها القادرة على التعريف بهذا المعنى الدقيق. في حين لا تعترف التفسيرات، والتي هي نتاج التحليل، بهذه الدرجة من التميز والكمال. ويكون تبرير ترجمة كلٍّ من التعريف والتفسير بالمرادف الإنجليزي الوحيد، وعلى الرغم من أنَّه يمكن العثور على تمييز كانط في الحقيقة التالية، التي يلفت فيها كانط بحد ذاته الانتباه إلى نهاية المقطع أعلاه: (730A / 758 B) (4:479 AK) هناك كلمة ألمانية أصلية واحدة فقط (تفسير) للتوضيح، الشرح، التصريح، والتعريف، ومن هنا يقول كانط: "يمكننا أن نخفف من صرامة المطلب بحرمان التفسيرات الفلسفية من اللقب الفخري (تعريفات)".

5 - ظهر الكتاب على نحوٍ غير معروف في آذار 1755؛ تمت مراجعته في السنة ذاتها وبحلول عام 1756 أصبح مؤلف كانط معروفاً بشكلٍ عام. ورغم ذلك وصلت نسخاً قليلة جداً من الكتاب للجمهور؛ لأنَّ الناشرين أفلسوا واستولت المحكمة على كامل مخزون المؤسسة. ولم يقم كانط بإعداد طبعة ثانية من العمل، على الرغم من أنَّه قام بتكليف جينسيخين Gensichen بإعداد نسخة مختصرة من الكتاب. وظهرت هذه المقتطفات بموافقة كانط في نيسان 1791. ويحتوي التأمل السابع بالقسم الثاني من الكتاب الحالي (AK 2: 137-51) أيضاً على ملخص موجز لمحتويات الكتاب.

6 - كان العنوان الكامل لكتاب لامبرت الذي أشار إليه كانط هو: "خطابات كونية حول تكوين بنية العالم"؛ نُشر في أوغسبورغ عام 1761، بعد ست سنوات من كتاب كانط ذاته. وشهد العام ذاته نشر كتاب لامبرت الثاني حول علم الفلك: "خاصية بارزة لمدار المذنبات". (أوغسبورغ: 1761) وفي رسالة إلى كانط، بتاريخ 13 تشرين الثاني 1765( AK 10:53)، يؤكد لامبرت على كانط الذي وصل إلى إحدى الأفكار المركزية لأطروحة التاريخ الطبيعي العالمي (1755)، "شكل يشبه عجلة درب التبانة"، في بداية عام 1749. وتحتوي هذه الرسالة أيضاً على إشارة إلى رايت دورهام.

7 - يتعلق ترقيم الصفحات بالطبعة الأصلية ١٧٦٣. ويشير كانط إلى التأمل السابع القسم الثاني (AK 2: 137-51).

8 - يشير كانط مرة أخرى إلى الطبعة الأصلية. واستبعدت الأخطاء، وبالتالي القائمة التي يلمح إليها كانط هنا من الطبعات اللاحقة.

9 - كان لايبنتز، الذي فكر فيه ربما كانط، يحمل وجهة النظر المعاكسة. راجع لايبنتز: "تأملات في المعرفة والحقيقة والأفكار" (1784).

10 -يشير كانط إلى النقطة ذاتها في بحثه (1764)، التأمل الأول، والتأمل الثاني والثالث (AK 2: 280 & 283). كأمثلة عن التصورات غير القابلة للتحليل تماماً، التي يسردها كانط: التصور، التجاور، التتالي. وكأمثلة على تصورات يسردها ويمكن تحليلها جزئيا فقط: المكان والزمان، والشعور بالسمو، والجمال والبغيض، والسرور والاستياء والرغبة والاشمئزاز.

11 -راجع. المقدار السلبي (1763)، تصدير (AK 2: 167 و168) والبحث (1764)، التأمل الأول (AK 2: 276-83).

12 -"علاقة منطقية".

13 - ميركمال: راجع. المنطق (1800)، المقدمة، الثامن (AK 9: 58-61) والملاحظة 2 بـ "الدقة الزائفة" (1762).

14 - راجع. نقد العقل المحض (1787/1781) B620-30 / A592-602 (AK 3: 397-14) لمناقشة التمييز بين المعاني المنطقية والوجودية لمصطلح "الكائن".

15 - راجع. البحث (1764)، التأمل الأول، 3 والتأمل الثاني (AK 2: 280 & 283) والملاحظة 10 أعلاه.

16 - اقتُرِحَ أن يكون تفسير كانط لسبينوزا مستمداً من المقالة المضللة عن سبينوزا في "قاموس تاريخي ونقدي" لبايل (روتردام: 1702).

17 - للحصول على العبارة اللاحقة والأطول بالأطروحة التي تقول: إنَّ الوجود ليس محمولاً حقيقياً أو محدداً. راجع: نقد العقل المحض (1787/1781) B620-30 / A592-602 (AK 3: 397-403).

18 - راجع. فولف، "بداية الفلسفة" (1730)، 174؛ أيضاً "أفكار معقولة عن العالم" (1720)، 14.

19 - راجع. بومغارتن، "الميتافيزيقا" (1739)، 55 (الطبعة الثالثة: 1750).

20 - راجع. كروسيوس، "المخطوطة" (1745)، 8 -46 (الطبعة الثانية: 1753).

21 - اليهودي الأبدي، أحشويروش: شخصية أسطورية محكوم عليها أن تعيش حتى نهاية العالم لأنَّها سخرت من يسوع أثناء طريقه إلى الصلب. ووفقاً لمؤرخ العصور الوسطى، روجر وندوفر في كتابه "تاريخ الزهرة"، كان اليهودي المتجول بواباً عند بونتيوس بيلاطس؛ ضرب يسوع أثناء طريقه إلى الصلب وحثه على السير بشكل أسرع؛ رد يسوع: "أذهب وأنتظر حتى أعود".

22 - راجع. كروسيوس، "المخطوطة" (1745)، 8 - 44 (الطبعة الثانية: 1753).

23 - راجع. لايبنتز، "المونودولوجيا"، 44.

24 - في "نقد العقل المحض"، أصبح هذا هو النموذج المتعالي (راجع: B385-6 [AK 3: 398-91]).

25 - راجع. البحث (1764)، التأمل الأول، 3 (AK 2: 280).

26 - التفسير الاسمي: راجع. "المنطق" (1800)، 106 (AK 9: 143) يستخدم فيه كانط مصطلحين كمرادفات: Namen-Erklärung وNominal-Erklärung؛ يستخدم أيضاً في مكان آخر مصطلحاً ثالثاً: "شرح الكلمة" ويعرّف كانط التعريفات الاسمية بأنّها تعريفات "تحتوي على معنى يُنسب على نحو اعتباطي [على نحو استبدادي: الناتج عن الاختيار المتعمد والطوعي] إلى مصطلح معين [اسم]، وبالتالي فإنّه يعين فقط الماهية المنطقية الخاصة بالشيء، أو الذي يفيد فقط لتمييزه عن الأشياء الأخرى". ويضيف كانط لاحقاً، في الملاحظة 2 (AK 9: 144)، أنّ "الأشياء التجريبية لا تقبل سوى التعريفات الاسمية".

27 - شرح حقيقي: قارن "المنطق" (1800)، 106 (AK 9: 143). يستخدم كانط فيه مصطلحين مترادفين: "شرح واقعي" و"تعريف حقيقي". ويعرّف كانط التعريفات الحقيقية بأنّها التعريفات "التي، يعرض من خلالها إمكانية الشيء من حيث علاماته المميزة الداخلية، وتكفي لمعرفة الشيء بموجب تحديداته الداخلية". ويضيف كانط لاحقاً، في الملاحظة 2 (AK 9: 144)، أنّ التعريفات الحقيقية "مستمدة من ماهية الشيء، وهي الأساس الأول لإمكانه. و[هي] تحتوي بالتالي على ما ينتمي في جميع الأوقات إلى الشيء - الماهية الحقيقية [الوجود الحقيقي] للشيء... يجب أن يتم البحث عن التعريفات الحقيقية دائماً في أمور تتعلق بالأخلاق...

يوجد تعريفات حقيقية في الرياضيات، والتعريف على نحو اعتباطي [اعتباطي: "الناتج عن الاختيار المقصود والطوعي"] هو تصور حقيقي دائماً.

28 -ليس من الواضح تماماً إلى أيّ مقطع يشير كانط بعبارة "التأمل النهائي لهذا الكتاب". وربما يعني القسم الثالث (AK 2: 155-63) وخاصة 156 و157.

29 -راجع. "المنطق" (1800)، 106 (AK 9: 143) والملاحظة 26 أعلاه.

30 -راجع. "المنطق" (1800)، 106 (AK 9: 143-4) والملاحظة 27 أعلاه.

31 -راجع. "الحركة والسكون" (1758) (AK 2: 23-4)، "المونودولوجيا الفيزيائية" (1756) (AK I: 480-3) و"المقدار السلبي (1763) ( AK 2: 179-80 & 5-193).

32 -راجع. المقدار السلبي (1763) (AK 2: 282-302).

33 -راجع. المقدار السلبي (1763) (AK 2: 171-2, 6-175).

34 -راجع. المقدار السلبي (1763) (AK 2: 171-2, 80-179).

35 -راجع. نقد كانط في وقت لاحق للدليل الكوني في نقد العقل المحض (1787/1781) A603-14 / B631-42 (AK 3: 403-10).

36 -راجع. مناقشة كانط لتصور الكمال في نهاية التأمل الثامن القسم الثاني (AK 2: 154).

37 -تم الحفاظ على هوية الواقع والكمال من قبل سبينوزا (الأخلاق [1677]، الكتاب الثاني، التعريف 6، الكتاب الرابع، التصدير)، لايبنتز (وجود الكائن المثالي)، وفولف (اللاهوت الطبيعي [1736-7]، المجلد الثاني، 5).

38 -يصل هذا إلى حد نقد الوحدة عند سبينوزا. أنظر الملاحظة 16 أعلاه.

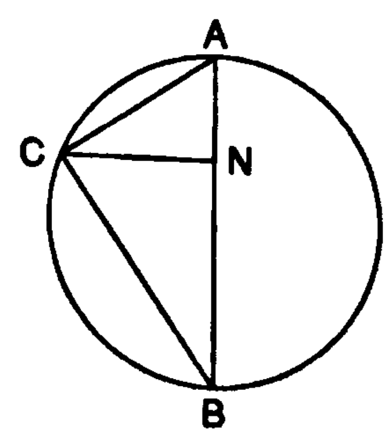
39 -راجع. فولف " الفلسفة المعقولة" (1728)، 195.

40 -راجع. نقد كانط اللاحق للدليل الفيزيائي اللاهوتي في نقد العقل المحض (1787/1781) A620-30 / B648-58 (AK 3: 413-19).

41 -راجع. إقليدس، "الأصول"، الكتاب الثالث، النظرية 35: إذا تقاطع خطان مستقيمان في دائرة، فإنّ القائم الزوايا المتضمن في أجزاء أحدهما يوازي القائم الزوايا المتضمن في الجزء الآخر".

42 -راجع. إقليدس، "الأصول"، الكتاب الثالث، النظرية 36. "إذا رسم من نقطة خارج دائرة خطان مستقيمان، وإذا قطع أحدهما الدائرة والآخر يمسها، فالقائم الزوايا المتضمن كلّ الخط المستقيم الذي يقطع الدائرة والخط المستقيم المتداخل معه خارج النقطة ومحيط الدائرة المحدب سيكون موازياً لمربع الخط المماس.

43 -والدليل على أنّ سلسلة من الجسيمات تنزلق إلى أسفل سلسلة من




الأوتار من أعلى نقطة في دائرة عامودية ثابتة، على افتراض عدم وجود احتكاك، ستأخذ كلها الوقت ذاته.

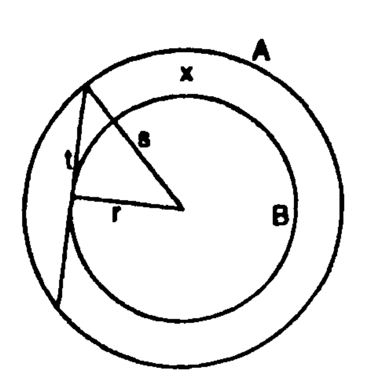
لتكن ABC الدائرة؛ لتكن AC أحد الأوتار. لتكن CN أفقية. لتكن AC = s ولتكن ACN = a المدة المستغرقة في انزلاق AC هي:

$$\sqrt{\frac{2s}{g \sin a}} \text{ seconds}$$

لكن AC = AB sin a ؛ أي أنَّ s / sin a = AB = 2r ، وطول نصف القطر هو .rوبالتالي، فإنَّ المدة المطروحة هي:

$$2\sqrt{\frac{r}{g}} \text{ seconds. which is the same for each chord}$$

44 -الدليل على هذا الادعاء هو كما يلي: لتكن A وB دائرتان متحدتان في المركز، ولتكن X هي الحلقة المكونة من A وB. ولتكن r نصف قطر الدائرة الأصغر، s نصف قطر الدائرة الأكبر، وt المماس الذي يمس B ويقطع محيط A عند طرفيه:




$$t^2 + r^2 = s^2$$
$$t^2 = s^2 - r^2$$

$\pi r^2$ = مساحة الدائرة الداخلية

$\pi r^2$ = مساحة الدائرة الخارجية

$\pi(s2 - r^2$ = مساحة الحلقة

-45 راجع. نظرية كانط عن الرياح (AK 1: 492-4) والجغرافيا الفيزيائية، 68 (AK 9: 290).

46- راجع موبيرتويس، "مقالات بالكونيات" (ليدن: 1751)، حيث يتم صياغة ما يسمى بمبدأ كمية الفعل الأقل على النحو التالي: عند تصادم الأجسام يتم توزيع الحركة بطريقة تجعل كمية الحركة، التي تفترض حدوث التغيير، أصغر ما يمكن. ويجب أن تكون موجودة في باقي الأجسام المتوازنة، بحيث إذا حدثت لها حركة صغيرة، فإنَّ كمية الحركة ستكون أقل. وللحصول على وصف عام لهذا المبدأ، أنظر أيضاً: اتفاق قوانين الطبيعة المختلفة (1744). أنظر أيضاً قوانين الحركة والسكون (1746).

47 - أنظر الملاحظة 46 أعلاه.

48 - يرفض موبيرتويس في كتابه "مقالات في الكونيات" (1751)كلّ من الدليل الميتافيزيقي على وجود الله (بما أنَّه يقع خارج نطاق اختصاصه) والدليل الغائي (حيث ينطوي على استخدام غير مشروع لمبدأ سليم بخلاف ذلك). ويبني برهانه على الوحدة المطلقة لقوانين الطبيعة، وعلى وجه الخصوص، على مبدأه الخاص عن كمية الفعل الأقل. ويذكرنا دليل موبيرتويس بقوة ببعض أدلة كانط الخاصة في الدليل الوحيدة الممكن (1763).

49 - كانت الصيغة الدقيقة للعنوان كما يلي: إذا كانت حقيقة مبادئ الإحصاء والميكانيكا ضرورية أو مشروطة. وحُددت المشكلة عام 1756 من أجل جائزة 1758، ولكن عدم وجود مساهمات مناسبة أدى إلى عدم منح الجائزة. وحُددت المشكلة مرة ثانية في 1758 من أجل جائزة 1760، ولكن مرة أخرى لم يتم استلام أيّ مشاركات مرضية، ولم تُمنح الجائزة أبداً.

50 - شرح كانط هذه الأطروحة بالفعل في مقالاته الثلاثة حول الزلازل، التي ألفها بمناسبة زلزال لشبونة عام 1755. راجع. "الهزات الأرضية"

(1756) (AK 1: 417-27)؛ "الزلزال" (1756) (-AK 1: 429 61)؛ التأمل الإضافي (1756) (AK 1: 463-72)؛ انظر أيضاً الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول، القسم 2، الفقرات 49 و5 (AK 9: 260-3 و268 -70).

51 - يشير كانط إلى خطابات متنوعة (1692) لجون راي، والتي ظهرت بالطبعة الثانية تحت عنوان ثلاث خطابات فيزيائية - لاهوتية (1693).

52 - يشير كانط إلى النظرية الجديدة للأرض لويستون (1696)، والتي ظهرت بالترجمة الألمانية في عام 1713.

53 - المعنى عند كانط غير واضح على نحو مباشر. وفي الواقع، يفترض هارتنشتاين وروزنكرانز وشيل أنَّ "110" يجب أن يكون خطأً مطبعياً لـ "10". وتُعتمد هذه المراجعة من دون تعليق أو شرح من قبل وفيستوغير وزاك. ويرفض مينزر حق التعديل (AK 2: 475). ولا يقول كانط، كما افترض التقليديون، أنَّه من بين كلّ زوجين متزوجين هناك 108 أشخاص غير متزوجين. وما يجب أن يقوله هو أنَّه في عينة عشوائية من 110 بالغين سيكون هناك شخصان متزوجان من بعضهما بعض. راجع. يوهان بيتر سوسميلش، "الأمر الإلهي" (الطبعة الثانية: 1761 -2)، ص. 118 وآخرون. يخبرنا مينزر (AK 2: 472) أنَّ كانط قد تبنى الرقم "110" على أساس تأكيد سوسميلش: "ومع ذلك، إذا كان المرء مستعداً لاتخاذ قرى زراعية، مثل تلك الموجودة في براندنبورغ وفنلندا، فقد تُستخدم نسبة 1 إلى 108 حتى 115. في الصفحة. 121 الرقم لبرلين هو 110، مع التعليق: "هذا يتفق تماماً تقريباً مع قرى براندنبورغ.

54 - تم التخلي عن نظرية الدوامات الديكارتيّة بتفسير مدارات الكواكب نتيجة الانتقادات المقدمة للنظرية من قبل نيوتن الذي قال في مبادئ الرياضيات إنَّ النظرية كانت غير متوافقة مع الحقائق التجريبية. وعلى سبيل المثال، لم تتأثر ذيول المذنبات بالدوامات. وستكون الدوامات على أيّ حال غير مجدية إذا كانت نظرية الجاذبية الكونية صحيحة.

55 - راجع. "عن النار" (1755) (AK 1: 369-84 وخاصة 376 -84). اقتناع كانط بأنَّ المواد المتوسطة تملأ كلّ مكان، بما في ذلك الفراغات بين الذرات، وتفسر ظاهرة الحرارة والكهرباء والمغناطيسية وصفات قابلية الامتداد للمعادن. أنظر أيضاً "المونودولوجيا الفيزيائية" (1756)، القضية الثالثة عشر (AK 1: 486).

56 - ربما يشير كانط إلى أطروحة اللورد جوزيف مونتي عن العفن (هير جوزيف مونتي عن العفن الفطري) في مجلة هامبورغ، المجلد التاسع عشر (1757)، ص. 563 -87.

57 - راجع موبيرتويس، تخمينات حول تشكيل الجنين المنشورة في مذكرات الأكاديمية الملكية للعلوم (باريس: 1744): عندما يمزج المرء بين الفضة وروح النتر مع الزئبق والماء، يمكن لأجزاء من هذه المواد أن تنظم نفسها لتكوين نباتات تشبه إلى حدٍ بعيد شجرة لا يمكن إنكارها اسمها ديانا...منذ اكتشاف هذه النباتات الرائعة، وجدنا العديد من الأشجار الأخرى؛ أولاً، حيث يكون الحديد هو القاعدة، يقلد شجرة بشكلٍ جيد بحيث يرى المرء ليس فقط الجذع والفروع والجذور، بل حتى الأوراق والثمار.

58 - راجع "نقد الحكم" (1790)، 81 (AK 5: 421-4).

59 - راجع. "نقد الحكم" (1790)، 81 (AK 5: 422)، حيث يدعو كانط هذه النظرية الصدفة؛ ويرفضها بما أنَّها غير فلسفية، لأنَّ كل كائن عضوي يُفسر على أنّه ناجم عن معجزة.

60 - راجع. بوفون، التاريخ الطبيعي (1740 -1804)، المجلد. الثاني، ص ii، ص.71. يقدم بوفون تفسيراً لتكوين الجنين من حيث القوالب الداخلية (القوالب أو المصفوفات الداخلية): الجزيئات العضوية الموجودة في بذور الجنسين هي مجرد خلط السوائل وترتيبها وتوحيدها عن طريق الجذب في القوالب أو المصفوفات؛ ومن هذا يتطور الجنين. أنظر أيضاً نقد الحكم عند كانط (1790)، 81 (AK 5: 422-3). ويسمي كانط هذه النظرية بـ ("الاستقلالية") التي يميز فيها بين نسختين: (1) نظرية التطور (نظرية الكشف"): نظرية التكوين الفردي؛ (2) المشاركة (نظرية التضمين): المعروفة أفضل باسم نظرية التفسير: نظرية التكوين العام. حيث يُنظر إلى كلّ كائن عضوي وفقاً للنظرية السابقة على أنَّه مستنبط من إنجابه، ووفقاً للأخيرة على أنَّه إنتاج.

61 - أنظر بوفون، التاريخ الطبيعي (1740 -1804)، المجلد. الثاني، صii: الاستنساخ بشكلٍ عام، ص. 71.

62 - راجع موبيرتويس، "التخمينات حول تكوين الجنين" (1744)، أنظر الملاحظة 57 أعلاه.

63 - أنظر نقد الحكم (1790)، 81 (AK 5: 421-4).

64 - يلمح كانط إلى نظرية التخلق التي تنص على أنَّ الجين أو الجنين يخلق من جديد تماماً بواسطة القدرة التناسلية. وتعارض النظرية التكوين الفردي. راجع. نقد الحكم (1790)، 81 (AK 5: 421-4).

65 - راجع. نقد العقل المحض (1787/1781)، A623 / B651 (AK 3: 415-16).

66 - يلمح كانط إلى جون هيل، مؤلف كتاب التاريخ الطبيعي العام الشهير (1748 -52)، الذي نقل العديد من تجاربه إلى مجلة هامبرغ خلال الفترة 1753 إلى 1758.

67 - يكرر كانط النقطة التي أثيرت في نهاية التأمل الثاني القسم الثاني ( AK 2: 103).

68 - يناقش كانط القضية ذاتها باستفاضة في مقدمة التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 221-31).

-69 راجع. الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول، القسم 2، 842 - 6 (AK 9: 241-56)

70 - راجع. الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول، القسم 2، 59 (AK 9: 276-9)

71 - يلمح كانط إلى نظرية الأرض الجديدة لويستون (1696).

72 - وجهة نظر كانط بنيوتن، في هذا الصدد، مفرطة في التبسيط. إذ أعطى نيوتن في الواقع، أهمية لاهوتية كبيرة لضرورة التدخل الإلهي (في البدء نظام وحركات الكواكب في النظام الشمسي، بمنع انحدارها، من خلال تصحيحات دورية، إلى عدم الانتظام والفوضى). هكذا كان أيضاً رأي كلارك.

73 - راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 338 ).

74 - راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 261-9).

75 - يشير كانط هنا إلى الأطروحة المركزية للتاريخ الطبيعي العام؛ وقد وردت في التأمل السابع القسم الثاني من الكتاب الراهن.

76 - راجع التاريخ الطبيعي العام (1755)، المقدمة (AK 1: 221-8).

77 - راجع. سوسميلش، "الأمر الإلهي"(1741)؛ على وجه الخصوص، أنظر الفصل الخامس: "حول التكاثر والعلاقة بين الجنسين الذكر والأنثى" ("فيما يتعلق بتكاثر الجنسين من الذكور والإناث وعلاقتهما")، 61.

78 - يهدم سوسميلش في الطبعة الثانية من كتاب "الأمر الإلهي" (2-1761) رأيه السابق بالأسلوب الذي أشار إليه كانط (راجع 423 و424)

ويحاول أن يقدم شرحاً جديداً للظاهرة (راجع 430).

79 - راجع نقد العقل المحض (1781 / 1787) عن العبارة اللاحقة بالاعتراض ذاته على الدليل الفيزيائي اللاهوتي : -A627-8 / B655 .6 (AK 3: 416-17)

80 - راجع على وجه الخصوص برهان كانط على أنَّ "النظام الضروري للطبيعة ذاتها يشير لخالق المادة الذي أمر بذلك". (AK 2: 124-6 ).

81 - يمكن العثور على العبارة الكلاسيكية عقيدة الدين الأبيقوري أو انحراف الذرات عند لوكريتيوس، "الطبيعة"، 2 (50 -216) يعود كانط إلى موضوع الاختلاف بين آرائه وآراء أبيقور بعد قليل في الكتاب الراهن (AK 2: 147-51) وقد نوقش الموضوع ذاته أيضاً في تصدير التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK I: 226-8). وكانت عقيدة الدين ابتكاراً لأبيقور وليست موجودة، كما يقترح كانط، عند ديموقريطس.

82 - أصر أرسطو على أنَّ المادة غير محدثة وبالتالي فهي أبدية. ورفض فكرة خلق العالم. راجع. أرسطو، السماء، 279، 12 - 280a، 31 و301، 31.

83 - لابد أنَّ كانط يشير إلى التأمل الثامن القسم الثاني من العمل الراهن (AK 2: 151-4).

84 - راجع. الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول، القسم 2، 6 -42 (AK 9: 241-8).

85 - يشير كانط إلى كتاب بورنت، "نظرية السلاح"، (1681 -1689)، وتحتوي الطبعة الثالثة (1702) على نظرية أصل الجبال. ويسيء كانط تقديم بورنت، الذي ينكر صراحةً أن يكون الطوفان بمثابة عقاب، على الرغم من أنَّه يؤكد على أنَّ الله "يضبط العالم الطبيعي ويستوعبه بالأخلاق" بحيث "يتوافق النظام والتنظيم السابق دائماً مع طبيعة

الأخير". راجع. أيضاً بورنت، "النظرية المقدسة للأرض" (1730)، المجلد.1، الفصل 3، ص ص 188 -205.

86 - راجع. الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول، القسم 2، 8 - 47 (AK 9: 256-60).

87 - راجع. الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول، القسم 2، 9 - 55 (AK 9: 276-8).

88 - راجع. الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول، القسم 2، 59 (AK 9: 278-9).

89 - راجع. الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول، القسم 2، 9 - 58 و74(AK 9: 278-297).

90 - راجع. الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول، القسم 2، 74(AK 9: 297).

91 - راجع. الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول، القسم 2، 61و74(AK 9: 280-296).

92 - اكتشف موبيرتويس مبدأ الكميات وأعلن عن اكتشافه في مذكرة مهمة قرأها للملكية البروسية. أكاديمية العلوم في 15 نيسان 1744. راجع: موبيرتويس، "أكاديمية العلوم" في 15 أبريل 1744. راجع. موبيرتويس، "قوانين الحركة" (1746) ومقالات في الكون .(1751) للاطلاع على صياغة قانون العمل الأقل، أنظر الملاحظة 46 أعلاه.

93 - كاستنير، عالم الرياضيات والفلكي الشهير الذي فعل الكثير لترويج موضوعاته، كان أيضاً مؤلف "المبادئ الأولية للميكانيكا العليا" (المبادئ الأولى للميكانيكا المتقدمة) (غوتنغن: 1758). أعجب كانط بكاستنير، وتضم مكتبته ثلاثة من أعماله.

94 - لا يمكن تحديد مصدر المرجع.

95 - يشير كانط على الأرجح إلى بورلاخ كوسين، مؤلف "مبادئ أولى في الرياضيات التطبيقية" ("المبادئ الأولى للرياضيات التطبيقية").

96 - راجع. الجغرافيا الفيزيائية (1802)، الجزء الأول. القسم 2، (AK 9: 279-80)60)

97 - يشير كانط إلى فقرة في الفصل 1 من "الشمعة"، أو "التفاؤل" لفولتير (1759) حيث تم صنع لمعان الوجه الايبنتزية ليقول: "لقد ثبت ... أنّ الأمور لا يمكن أن تكون على خلاف ذلك؛ لأنّ كلّ شيء يتم القيام به من أجل غاية، وكلّ شيء له بالضرورة غاية أفضل. لاحظ أنّ الأنوف صنعت لارتداء النظارات، لذلك لدينا نظارات". ويناقش فولتير علم الغائيّة في مقال "الغاية"، والغايات في قاموس فلسفي (1764)؛ لكن كانط لا يستطيع الإشارة إلى ذلك، كونه لم يُنشر إلا بعد عام من الكتاب الحالي. وربما كان كانط على الرغم من ذلك، على دراية بمقال فولتير؛ لأنّه ظهر أيضاً عند بايل في (قاموس النقد التاريخي) (روتردام: 1695 -7).

98 - يستبدل تريش Treash "منتظم" بـ "غير منتظم". وهذه "المقالة" مبنية على سوء فهم. فبعد أن وضع كانط الأطروحة القائلة إنّ المضلعات المنتظمة تماماً تتضمن مساحة أكبر من نظيراتها غير المنتظمة، يمضي في الإشارة إلى أطروحة مماثلة فيما يتعلق بالمضلعات غير المنتظمة: تلك التي تتضمن عنصر انتظام تشمل مساحة أكبر من تلك التي تكون غير منتظمة تماماً، وكلما زاد الانتظام، زادت شمول المنطقة.

99 - يشير كانط إلى قانون العمل الأقل، موبيرتويس. راجع. الملاحظة 46 أعلاه.

100 - ربما يشير كانط إلى "حكمة الله" عند راي (1691) و"نظرية الأرض" عند بورنت (1681 -9).

101 -كما تم الإشارة إليها من قبل بورنت (أنظر الملاحظة 85 أعلاه).

102 -كما تم الإشارة إليها من قبل نيوتن، الذي لم يتمكن من شرح أصل التكون وحركات النظام الشمسي بعبارات ميكانيكية بحتة.

103 -يشير كانط إلى نظريات التفسير والكشف. راجع. نقد الحكم (1790)، 81 (AK 5: 421-4)، أنظر أيضاً الملاحظة 60 أعلاه.

104 -يقتبس كانط من مقال عن الإنسان للبابا (1733 -4)، الرسالة الثانية، 29 -30. واقتبس المترجم مباشرة من البابا بدلاً من ترجمة اقتباس كانط من الترجمة الألمانية لبروكس (تجربة الإنسان) التي ظهرت عام 1740. وبقراءة الألمانية: اذهب، أملي أمر الله الحكيم على الفوج / ثم عد إلى نفسك في النهاية وكن ثوراً ("اذهب، حدد لأمر الله الحكيم قواعد الحكمة، / ثم عد مرة أخرى في النهاية إلى نفسك وكن أحمقاً").

105 -يحتوي التأمل السابع في شكل مختصر على النظرية الكونية التي طورها كانط في كتابه التاريخ الطبيعي العام" (1755).

106 -ربما يلمح كانط إلى نظرية آلهة النجوم بالأجرام السماوية الموجودة في تيماوس عند أفلاطون، الذي يفسر النجوم على أنهًا كائنات عضوية. راجع. نقد الحكم (1790)، 65 (AK 5: 375)، حيث يعلق كانط على كلمة الكائن الحي في الحاشية.

107 -راجع التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 243 & 247).

108 -راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 251). وتم طرح هذه الفكرة لأول مرة على كانط من خلال "النظرية الأصلية" عند رايت (1750). وربما كان اطلاع كانط على هذا العمل وسيطاً من خلال تفسيراته التي ظهرت في 1751 في أحكام وأخبار همبرغر فراين. وكان لامبرت أيضاً، كما هو واضح من رسالته إلى كانط، بتاريخ 13 تشرين الثاني 1765 (AK 10:53)، على دراية بعمل رايت دورهام.

109 - راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 247).

110 - راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 247-50).

111 - راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 251).

112 - يشير كانط إلى موبيرتويس، "الخطاب"(1732) أنظر أيضاً "التاريخ الطبيعي العام" (1755) (AK 1: 254)، حيث يشير كانط إلى عمل موبيرتويس المذكور أعلاه وإلى وجهة النظر التي عبّر بها عن أنَّ هذه "البقع" كانت "أجساماً سماوية كبيرة جداً، والتي بسبب تسويتها للخارج نتيجة الدوران حول محاورها، تعطي مظهراً بيضاوياً إذا عُرضت من الجانب".

113 - يشير كانط إلى النظرية الديكارتيّة عن الدوامات.

114 - راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 259-77).

115 - يشير كانط إلى المجلد الأول من كتاب بوفون "التاريخ الطبيعي" (1740 -88).

116 - يهاجم كانط الافتراض النيوتوني بأنَّ البنية الحالية للكون يجب اعتبارها تاريخاً مطلقاً يعتمد بشكلٍ مباشر على إرادة الله. راجع. نيوتن، "البصريات" (1704)، السؤال الحادي والثلاثون.

117 - راجع. نقد الحكم (1790)، 67 (AK 5: 377-81).

118 - رفض نيوتن النظرية الديكارتيّة عن الدوامات بسبب عدم توافقها مع قوانين الحركة الفلكية عند كبلر.

119 - يشير كانط على الأرجح إلى الحجج التي قدمها ميران في كتابه "الأطروحة" (1741) وفي كتابه "رسالة إلى مدام دو شاتليه"(1741)، وهي الأعمال التي يشير إليها كانط أيضاً في كتابه "القوى الحية (1747)، 33(AK 1:45).

120 - راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 262).

121 -راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 262-3).

122 -راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 263)

123 -راجع. الملاحظة 46 أعلاه.

124 -راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 264-5).

125 -راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 265-7).

126 -راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 267-9).

127 -راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 290-304).

128 -راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 221-8).

129 -راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 221-8).

130 -راجع. الملاحظة 118 أعلاه.

131 -يصفها ميلتون ليمبوس على أنَّها "جنة الحمقى" في الفردوس المفقود (1667)، الثالث، 495. وقد خلط كانط بين الفكرتين في عبارة ليمبوس المغرور.

132 -راجع. التاريخ الطبيعي العام (1755) (AK 1: 225) لاحظ أيضاً 35 أعلاه.

133 -تمت الإشارة إلى مذهب ميل الذرات أو الانحراف التلقائي للذرات من قبل أبيقور لتفسير وجود الأجسام المركبة وإمكانية حرية الإنسان. راجع. لوكريتيوس، "الطبيعة"2، 216 -50.

134 -راجع. "التاريخ الطبيعي العام" (1755) (AK 1: 290-304). وكان هيغنز هو الذي أثبت في عام 1655 وجود حلقات زحل (التي التقطت بداية للأقمار الصغيرة أو النتوءات ['المقابض'] المرتبطة بالكوكب). وقد أصبح الاكتشاف ممكناً بواسطة التلسكوب الفائق الذي اخترعه قبل ذلك بقليل. ورغبة في ضمان ادعائه بأنَّه كان أول من اكتشف الحلقات، بل لضمان المزيد من الوقت للتحقق من فرضيته، نشر في البداية

استنتاجه في التسلسل الغامض التالي للرسائل: ( aaaaaaa cccc d eeeee g h iiiiii llll mm nnnnnnnnn oooo pp q rr s tttt uuuuu)، واللازهرية إلى "حلقة محاطة بسطح مستو جداً، لا يلمس أبداً، يميل إلى مسار الشمس". (يتم تحريكها بحلقة مسطحة رقيقة، ولا تلامس أيّ مكان، وتميل إلى مسار الشمس.).

135 - في الحقيقة لا تشغل حلقات زحل خط الاستواء الممتد على الكوكب. ويمثل مستوى الحلقة حوالي 135 درجة إلى مدار الكوكب وحوالي 28 درجة إلى مسار الشمس.

136 - تقدير كانط غير دقيق بشكلٍ كبير. إذ وضع أول تحديد لدوران زحل في عام 1794 من قبل هيرشيل، الذي حسب الفترة 10 ساعات و16 دقيقة. وحسبت الفترة بشكلٍ صحيح في عام 1876 من قبل آصف هول بمدة 10 ساعات و14 دقيقة و24 ثانية.

137 - اخترع هيغنز عام 1656 ساعة البندول، مستخدماً المبدأ الذي وضعه غاليليو بأنَّ فترة تأرجح البندول مستقلة عن طول البندول وثابتة. ونشر هيغنز تفاصيل اختراعه المهم في كتابه "مؤسسة مختصرة" (1658) وفي" رقاص الساعة" (1673).

138 - راجع. "التفاؤل" (1759)، (AK 2: 30-3).

139 - راجع. ديكارت، "التأملات" (1641)، التأملان الثالث والرابع.

140 - راجع. بومستر، "مؤسسات ميتافيزيقية" (1738)، أيضاً كروسيوس، "المشروع" (1745)، 235 (الطبعة الثانية: 1753).

141 - راجع داريز، "أصول الميتافيزيقيا" (1754)، 44 (من الجزء المعنون أصول اللاهوت الطبيعي)، أيضاً بومغارتن، "الميتافيزيقيا" (1739)، 308 -10 و851 (الطبعة الثالثة: 1750)؛ أيضاً بومستر، "مؤسسات ميتافيزيقية" (1738)، 78 وما بعدها.

142 -راجع كروسيوس، الأطروحة (1743).

143 -راجع نقد العقل المحض (1781/1787) B636-7 / A608-9 (AK 3: 406-7).

144 -يشير كانط على الأرجح إلى "اللاهوت الفلكي" لديرهام (1715).

145 -يشير كانط إلى "حق الاستخدام" لنيوينتدت (1715).

146 -راجع ريمورس، "أنبل الحقائق" (1754).

# فهرس الأعلام

1 - أبيقور Epicurus (341 -270): فيلسوف وعالم أخلاق يوناني. تلقى تعليمه في أثينا؛ درس في ميتيليني ولامبساكوس. وفي عام 306 أسس مدرسة الفلسفة (المعروفة باسم الحديقة). وهو كاتب غزير الإنتاج، لا سيما في المسائل العلمية، رغم أنَّ همه الأساسي كان الأخلاق. وتتميز النظرية الأخلاقية الأبيقورية بسمتين مميزتين: اهتمامها بإزالة الخوف (الطبيعة، والآلهة، والحياة المستقبلية) والتمييز بين المتعة الحركية والساكنة. والخير الأعظم، بل والسعادة الفائقة، هي غياب الألم. بقيت الحركة الأبيقورية حتى القرن الرابع الميلادي، وتم العثور على العبارة الكلاسيكية للأبيقورية عند لوكريتيوس، "الطبيعة"، وهو عمل يحظى بإعجابٍ كبير من قبل كانط.

2 - ديموقريطس Democritus (حوالي 46 - 371 قبل الميلاد): الفيلسوف الذري اليوناني. درس تحت اشراف ليوكيبوس Leucippus. الوجود المفترض لعدد لا نهائي من الذرات، التي كانت أبدية، وغير مرئية، وغير قابلة للتجزئة، وتختلف فقط من حيث الحجم والوزن والشكل. وأكّد أنَّ الفوضى الأصلية للذرات تحولت بحد ذاتها إلى عوالم منظمة ومبنية (افترض أنَّ هناك عدداً لا نهائياً) بحكم الحركات المختلفة للذرات المختلفة كماً. وأكّد على أنَّ الحياة نشأت عن توالد عفوي، وأنَّ الروح كانت مادية وفانية، وأنَّ هذا التصور ينطوي على تأثيرات جسدية. وكان لديموقريطس تأثيراً عميقاً على أبيقور، لوكريتيوس، بيكون، وهوبز.

3 - **ريماروس، هيرمان صموئيل، Reimarus (1694 - 1768):** فيلسوف ألماني من المدرسة الفولفيانية ؛ رجل الحروف. درس في جينا، وعيّن في عام 1727 أستاذاً للغتين العبرية والشرقية في صالة الألعاب الرياضية في هامبورغ، وهو المنصب الذي سيشغله حتى وفاته. وأصبح منزله محوراً للحياة الأدبية والثقافية في هامبورغ. ومن أهم أعماله، (اعتذار أو نص الحماية) الشهير، والمنشور بعد وفاته، ويؤكد أنَّ الدين الطبيعي والمُعلن غير قابل للمنافسة بإطلاق: كلّ المعجزات (بصرف النظر عن الخلق نفسه) تم رفضها، على الرغم من أنَّ ريماروس أكّد أنَّ العقيدتين الأساسيتين للدين الطبيعي (وجود الله وخلود النفس) كانا قادرين على البرهان من خلال العقل. وتشمل أعماله (أطروحات حول الحقائق الرئيسية للدين الطبيعي، هامبورغ: 1754 ؛ الطبعة السادسة: 1791) ؛ و(تأملات عامة حول غرائز الحيوانات، وبشكلٍ خاص غريزتها الفنية، هامبورغ: 1762 ؛ الطبعة الرابعة: 1798).

4 - **سبينوزا، باروخ Spinoza (1632 - 77):** فيلسوف هولندي من أصلٍ يهودي برتغالي. تلقى تعليماً حاخامياً، ولكن افتقاره إلى التقاليد أدى إلى طرده من الجالية اليهودية. وانسحب إلى ريغنسبورغ (بالقرب من لايدن)، وألف "خطاب قصير" و"تعديل المفاهيم" بحلول عام 1662 ؛ ونشر في العام التالي نسخة مصاغة هندسياً من مبادئ ديكارت. وبدأ في ذلك الوقت تقريباً، العمل على كتاب الأخلاق (الذي اكتمل بحلول عام 1675 ولكن لم يتم نشره إلا بعد وفاته في عام 1677). ونشر كتاب "معاهدة لاهوتية سياسية" بشكلٍ مجهول في عام 1670 ؛ أثار دفاعه عن حرية الفكر والمعتقد الديني وتصريحه بمبادئ نقد الكتابة التاريخية جدلاً كبيراً. وحافظ على مراسلاته المهمة مع لايبنتز، وأولدنبورغ، وهيغنز. وكان توظيف المنهج الرياضي في الفلسفة – صفةٌ مميزة لأخلاق سبينوزا - هو موضوع نقد كانط في كتاب المقادير السلبية والبحث.

5 - **سوسميلش، يوهان بيتر، Süssmilch: (1707 -1767):**
اقتصادي ألماني، وديموغرافي، وإحصائي، ولاهوتي. درس الطب وعلم النبات والكيمياء واللاهوت في هاله، وبعد ذلك اللاهوت والقانون والفلسفة في جينا، وأكمل دراسته عام 1732 مع الأطروحة، (عن تماسك وجاذبية الأجسام). ثم شغل العديد من المناصب بما في ذلك مدرساً خصوصياً، وقسيس عسكري، وواعظ محكمة. وفي عام 1741 نشر كتابه الشهير "الأمر الإلهي"، الذي ضمن له الانتخاب في الأكاديمية الملكية البروسية. وأقنعه موبرتويس بإلقاء بعض المحاضرات العامة حول هذه المواد. ومن خلال استخدام إحصائيات من سجلات المواليد والوفيات والزواج، أثبت وجود انتظام إحصائي ديموغرافي وخلص إلى أنَّ يد العناية الإلهية مارست سيطرة على الحوادث التي تبدو عرضية. واقترح كتابه من قبل ديرهام في كتابه "الفيزيائي اللاهوتي" عام 1723. كما نشر كتاباً مهماً حول مقارنة اللغويات. العمل الرئيسي: (الأمر الإلهي في علاقات الأنواع البشرية، والذي تم إثباته من الولادة والموت وتكاثر الأنواع) (برلين: 1741؛ طبعة ضخمة جديدة في مجلدين: 1761؛ الطبعة الرابعة مع المجلد الثالث الذي وضعه بومان: 1775؛ الطبعة السادسة: 1798).

6 - **فولتير، فرانسوا ماري أرويت دي، Voltaire (1694–1778):**
شاعر ومسرحي ومؤرخ وفيلسوف فرنسي. تلقى تعليمه من قبل اليسوعيين وقُدم في وقت مبكر إلى دوائر التفكير الحر. وسُجن لفترة وجيزة في الباستيل بتهمة السخرية السياسية. وفي عام 1722 نشر "مع وضد"، دفاعاً عن الربوبية. وفي عام 1726، أدى شجار مع دي روهان إلى مزيدٍ من السجن ثم سافر إلى إنجلترا، حيث قضى ثلاث سنوات (التقى بيركلي، بولينجبروك، والبابا، وسويفت). وعاد إلى باريس عام 1729، لكن نشر كتابه "رسائل فلسفية عن اللغة الإنجليزية" عام 1734 أجبره على الفرار من العاصمة. وأقام مع السيدة دي شاتايه في سيري (بالقرب من سويسرا) من 1734 إلى 1743. وانتمى إلى هذه

الفترة المثمرة تكوين "رسالة في الميتافيزيقيا" و"مبادئ فلسفة نيوتن" والعمل التمهيدي عن " الكلام في آية الإنسان". وفي عام 1743 عاد إلى باريس وتردد عليه فرساي وفونتينبلو. وانتخب عام 1746 في الأكاديمية الفرنسية. وعند وفاة السيدة شاتليت عام 1749 ، قبل دعوة فريدريك العظيم واستقر في بوتسدام. وهناك أكمل "قرن لويس الرابع عشر" و" مقال عن الأخلاق". وتوترت علاقاته مع فريدريك عام 1752 ، وهو العام الذي نشر فيه هجماته على موبرتويس، رئيس الأكاديمية الملكية البروسية، في "مايكروميجاس" و"هجرة الدكتور عكاكية". وغادر فولتير بروسيا، واستقر في سويسرا، حيث قام بتأليف "قصيدة عن كارثة لشبونة" (1756) و"صريح" (1759)، حيث يتم مهاجمة التفاؤل. وتعاون مع داليبرت في الموسوعة. واستقر في عام 1760 في فيرني. وكان في تلك اللحظة رجلاً ذو ثروة كبيرة. وينتمي إلى هذه الفترة "القاموس الفلسفي" (1764) و"رسائل إلهية من ميميوس إلى سيسيرو" (1771). وفي عام 1778، عاد إلى باريس بإشادة شعبية كبيرة، وتوفي هناك بعد ذلك بوقت قصير.

7 - بورنت، توماس Burnet Thomas (حوالي 1635 - 1715): لاهوتي إنجليزي. صاحب نظرية الأرض المقدسة، والتي تحتوي على تفسير لأصل الأرض، وجميع التغييرات العامة التي مرت بها بالفعل، أو التي ستخضع لها، وتتحدث أيضاً عن استنفاذ جميع الأشياء. وأعقب النجاح الأولي للكتاب انتقادات معادية بين آخرين، وقام بورنت بتأليف عمل ثانٍ: علم الآثار الفلسفي أو التعرف على الأصول القديمة لكتابين (لندن: 1692) والتي، بسبب تفسيرها الاستعاري لقصة سفر التكوين "السقوط"، أطلقت العنان لعاصفة من الجدل عندما ظهرت الترجمة الإنجليزية تحت العنوان: "العقيدة القديمة المتعلقة بأصل الأشياء" (لندن: 1729).

8 - بوفـون، جـورج لـويس لـوكلير، كومـت دي BUFFON, Georges-Louis Leclerc, Comte de، (1707 -88): عالم طبيعة فرنسي درس القـانون في ديجـون ؛ قـام بجولـة في إيطاليـا وإنجلـترا مـع اللـورد كينغستون. ترجمة منشورة لهيلس، "إحصائيات الخضروات" في عام 1735 وأطروحة عن التدفق لنيوتن في عام 1740. وفي عام 1739 عُيّن حارساً لحديقة الملك" والمتحف الملكي. وهناك بدأ بتجميع مادة لكتابه الضخم "التاريخ الطبيعي، العام والخاص"، (36 مجلداً. باريس: 1740 -88). وطبّق مبدأ الاستمرارية الايبنتزي بشكلٍ منهجي للقضاء على تصور الأنواع والأصناف المتميزة بشكلٍ صارم. ومثل بونيه توقع بوفون نظرية التطور.

9 - بومغارتن، ألكسندر جوتليب، Baumgarten (1714 -62): فيلسوف ألماني في مدرسة ولفيان ؛ مؤسس الجماليات. وفي عام 1740 عُيّن أستاذ الفلسفة في فرانكفورت -دير -أودر، حيث بقي حتى وفاته. الأعمال الرئيسية: (ميتافيزيقيا) (هالي: 1739) ؛ (جماليات) (مجلدين. فرانكفورت أن دير أودر: (1750 - 8) ؛ (المبادئ الأساسية للفلسفة العملية الابتدائية) (هالي: 1760) ؛ (الخطاب المنطقي العام عن كريستيان ولف) (هالي: 1761). واحتوت مكتبة كانط على العديد من أعماله.

10 - درهـم، ويليـام، Derham (1657 -1735): رجل دين وعالم طبيعة إنجليزي. كان أول عمل رئيسي له هو "صانع الساعات الاصطناعية" الشهير (لندن: 1696). وهو زميل منتخب في الجمعية الملكية عام 1702. وساهم في كثير من الأحيان في أعمال فلسفية بأوراق عن علم الفلك والأرصاد الجوية والتاريخ الطبيعي. وفي 1711 و1712 "أعطى ديرهام محاضرات عن بابل"، التي تم نشرها تحت عنوان "الفيزيائي - اللاهوتي"، أو "إثبات وجود الكائن وصفات الله" (لندن: 1713). وتمتع الكتاب بشعبيةٍ هائلة وامتد إلى اثني

عشر طبعة بحلول عام 1754. وتم ترجمته إلى العديد من اللغات الأوروبية بما في ذلك الترجمة الألمانية.

11 - ديكارت، رينيه Rene Descartes, (1596 -1650): فيلسوف وعالم رياضيات فرنسي. تلقى تعليمه من قبل اليسوعيين. وبعد إكمال فترة الخدمة العسكرية؛ سافر على نطاقٍ واسع. وتقاعد في نهاية المطاف من الحياة النشطة في عام 1629 واستقر في هولندا، حيث أمضى عشرين عاماً في البحث الفلسفي والرياضي. وفي عام 1649 قبل دعوة من كريستينا ملكة السويد إلى ستوكهولم حيث توفي في العام التالي. ومن مؤلفاته: (تأملات في الفلسفة الأولى)، ويثبت فيه وجود الله وخلود الروح، (باريس: 1641)؛ (المبادئ الفلسفية)، وقد احتوت مكتبة كانط على العديد من أعمال ديكارت، وبعد قراءته له هاجم في كتابه 1755 (التفسير الجديد) وعام 1763 الدليل الوحيد الممكن، الدليل الديكارتي الوجودي على وجود الله كما هو معروض في (تأملات فلسفية).

12 - غاليليو غاليلي Galileo, Galilei (1564 -1642): عالم رياضيات وفيزيائي وفلكي إيطالي. درس من عام 1581 في بيزا، حيث اكتشف المبدأ الأساسي لساعة البندول لهيغنز من خلال مراقبة التذبذبات المنتظمة لمصباح معلق في كاتدرائية بيزا. وأثبت أنَّ جميع الأجسام، بغض النظر عن الوزن، تسقط بنفس السرعة. وتمّ تعيينه رئيساً للرياضيات في جامعة بيزا في عام 1592. وفي عام 1609 اخترع تلسكوب قوي بما يكفي ليثبت أنَّ سطح القمر غير منتظم، وأنَّ درب التبانة يتكون من نجوم، وأنَّ للمشتري أقمار، ويبدو أنَّ ظهور زحل يتغير بطريقة غريبة (تم الخلط بين الحلقات بسبب قمرين)، وأنَّ هناك بقعاً شمسية. وفي عام 1611 زار روما وعرض تلسكوبه. وفي عام 1613 نشر رسالة عن البقع الشمسية ودافع عن الفرضية الكوبرنيكية. وفي عام 1616، تمت إدانة

عمله. وفي عام 1623 ، منحه البابا الجديد أوربان الثامن (صديق غاليليو) الإذن للكتابة "بدون التزام" عن النظامين. وفي عام 1632 نشر غاليليو حواره الشهير. واتهم بخرق اتفاقه وأجبر على التراجع. وقضى السنوات الثماني الأخيرة من حياته تحت الإقامة الجبرية بالقرب من فلورنسا. وقد احتوت مكتبة كانط على العديد من أعمال غاليليو، ومنها (النظام العالمي) (ليدن، 1699) ؛ الأبعاد العملية الحسابية والعلمان الجديدان وتغير المكان.

13 - **فولف، كريستين، Wolff (1679 -1754)**: فيلسوف عقلاني ألماني وممثل رئيسي للتنوير الألماني. درس الرياضيات والفلسفة في جينا من 1699 إلى عام 1702. واجتذب كتابه 1704 "خوارزمية تفاضلية متناهية الصغر" ملاحظة لايبنتز، الذي دخل معه فولف في مراسلات مهمة، والذي ساعد فولف بكرسي الرياضيات في هاله في 1706 ؛ قام بالتدريس هناك حتى عام 1723 ، محاضراً في الرياضيات، والعلوم الطبيعية، وبعد 1709 ، الفلسفة. وتنتمي إلى هذه الفترة سلسلة مهمة من الأعمال المكتوبة، ليس باللغة اللاتينية المألوفة بل باللغة الألمانية ؛ وهكذا لعب دوراً حاسماً في تشكيل المفردات الفلسفية الألمانية. وأكسبه نجاحه وعقلانيته العديد من الأعداء في بيتي هاله. وخطابه المنشور عام 1721 "الفلسفة العملية" (مع التأكيد على أنَّ المبادئ الأخلاقية لكونفوشيوس كانت دليلاً على قوة العقل بالوصول إلى الحقيقة الأخلاقية بغض النظر عن الدين والوحي) أطلق عاصفة من الجدل، والتي تُوِّجت بطرده من الجامعة ونفيه من بروسيا. وعُرض عليه مباشرة كرسياً في ماربورغ من لاندغراف هيس. وبقي في ماربورغ حتى عام 1740 ، عندما خلف فريدريك الثاني العرش البروسي. وفي ماربورغ نشر سلسلة مهمة من الأعمال باللغة اللاتينية، مما جعل فكره الفلسفي في متناول المفكرين خارج ألمانيا. وفي عام 1740 أعيد كأستاذ في كرسي القانون في هاله. وفي عام 1743 تم تعيينه عميداً للجامعة. واستمر في النشر على نطاق واسع، لكن شعبيته كمدرس انخفضت. ومن أعماله الرئيسية :

(أفكار عقلانية بشأن سلطات فهم الإنسان وتوظيفها الصحيح في إدراك الحقيقة، هاله، 1712) و("أفكار عقلانية عن الله، والعالم وروح الإنسان، و عن جميع الأشياء بالمطلق"، هاله: 1719، الطبعة الخامسة: 1732)

14 - **كاستنير، أبراهام غوتلف، KÄSTNER، (1719 - 1800):** عالم رياضيات وفلكي ألماني. عيّن في كرسي الرياضيات في غوتنغن عام 1756؛ وأيضاً مديراً لمرصد غوتنغن. وكان رجلاً ذو تعلم واسع (عرف اثني عشر لغة)، نشر العديد من الأعمال في الرياضيات. وسرعان ما أثبتت سمعته شهرة فعالة وواضحة بعلم الفلك والرياضيات. واحتوت مكتبة كانط على العديد من أعمال كاستنير، ومنها ("الأعمال المختارة"، التينبورغ: 1755)، ("مقدمة بالمعرفة الرياضية والفيزيائية للعالم"، غوتنغن: 1755)؛ و("المبادئ الأولى للميكانيكا المتقدمة، التي تحتوي بشكلٍ خاص على النظريات العملية لحركة الأجسام الصلبة"، غوتنغن، 1758).

15 - **كروسيوس، كريستيان أغسطس، CRUSIUS، (1715 - 1775):** فيلسوف ألماني؛ خصم لايبنتز وفولف. أستاذ اللاهوت في لايبزيغ من 1750. استخدم المبدأ الوحيد لما يمكن ولا يمكن اعتباره معياراً للحقيقة والزيف. ومنه استمد مبدأ التناقض (وبالتالي حرمانه من سلطته النهائية)، ومبادئ ما لا يمكن فصله وما لا يمكن دمجه. ونفي أيضاً أنّ مبدأ السبب الكافي (الذي ميزه عن مبدأ السبب المحدد) يمكن أن يُستمد من مبدأ التناقض. ورفض كروسيوس، الذي ميز بين الوجود المثالي والواقعي، الدليل الأنطولوجي على وجود الله. كما رفض المذهب الايبنتزي عن الانسجام المسبق؛ ودافع عن حرية الإرادة (أو حرية اللامبالاة). وفحص كانط، الذي تأثر بعمق بكروسيوس، هذه الأطروحة الأخيرة في "التوضيح الجديد". ومن أعماله الرئيسية: ("أطروحة حول استخدام وحدود مبدأ السبب المحدد، والمعروف عموماً باسم مبدأ السبب الكافي"، لايبزيغ: 1743)، ("دليل العيش بعقلانية"، لايبزيغ: 1744)، ("مخطط عن

الحقائق الضرورية للعقل، بقدر ما هي معارضة للحقائق المشروطة"، لايبزيغ 1745)، ("الطريق إلى تحقيق اليقين والدقة في المعرفة البشرية"، لايبزيغ 1747) ("شرح كيفية التفكير بشكلٍ صحيح وحذر في الأحداث الطبيعية"، مجلدين. لايبزيغ: 1749). واحتوت مكتبة كانط على العديد من أعمال كروسيوس.

16 - لامبرت، يوهان هاينريش LAMBERT (1728 -77):

عالم رياضيات سويسري ألماني، فلكي، فيزيائي، وفيلسوف. وعوض عن نقص التعليم الجامعي من خلال القراءة الشرهة في مجالات الرياضيات والفيزياء والفلسفة. وعمل لفترة كمدرس وسكرتير خاص. وسافر على نطاقٍ واسع، وسرعان ما فاز بتقدير كبار العلماء في عصره (بما في ذلك كانط)؛ انخرط في مراسلات موسعة ونشر بكثرة. وفي عام 1759 قبل دعوة من الناخب ماكسيميليان جوزيف بافاريا للمشاركة في تأسيس الأكاديمية البافارية للعلوم، والتي أصبح عضواً مؤسساً لها. وزار برلين عام 1764 وعيّنه فريدريك العظيم عضواً في الأكاديمية الملكية البروسية. وفي عام 1765 عيّن رئيساً لمبنى البناء (مساح حكومي)، وهو المنصب الذي شغله حتى وفاته. وقدم مساهمات مهمة في تقدم علم الفلك والرياضيات والفلسفة. تشمل منشوراته الأكثر أهمية: ("رسائل كونية عن بنية الكون"، أوغسبورغ: 1761)، و("الخصائص الرئيسية لمدارات المذنبات"، أوغسبورغ: 1761)، واحتوت مكتبة كانط على عملين للامبرت: ("منظور حر، أو تعليمات حول كيفية، بحرية وبدون خطة، إعداد أيّ مخطط منظور"، زيورخ: 1759)، و("رسائل كونية"، أوغسبورغ، 1761).

17 - لايبنتز، غوتفريد فيلهم، LEIBNIZ، (1646 -1716):

منطقي ألماني، ومحامي، ورياضي، ولاهوتي، وفيلسوف، ومؤرخ، ودبلوماسي. درس القانون والفلسفة والرياضيات؛ دخل في خدمة الناخب ماينز

كمستشار أمني وسياسي. أمضى 1672 -1676 في باريس ببعثة دبلوماسية، والتقى مالبرانش، وأرناولد وهيغنز، عضو أكاديمية باريس الملكية. وفي عام 1673 زار لندن، حيث التقى برايل وأولدنبورغ، وانتخب زميلاً في الجمعية الملكية. وعاد إلى باريس: شارك في أبحاث رياضية مع هيغنز؛ اكتشف حساب التفاضل والتكامل. وعند وفاة ناخب ماينز، دخل خدمة بيت برونزويك - لونبورغ، الذي عمل أولاً كمكتبي ثم كمؤرخ رسمي. وتمتع برعاية ناخبة هانوفر وابنتها، التي دعته إلى برلين، حيث شارك في تأسيس الأكاديمية الملكية البروسية، وأصبح رئيسها الأول في عام 1703. وفي ذلك العام بدأ العمل على "اختبارات جديدة". وبناءً على دعوة من ناخبة براندنبورغ، أعد لايبنتز رداً على رؤية رايل (تمَّ التعبير عنه في "إجابات عن أسئلة المقاطعة") بأنَّ الإيمان والعقل ليسا متفقان. ولديه نتاج فلسفي ورياضي هائل، ويمكن اعتبار الأعمال التالية من أهم الأعمال وأكثرها صلة بكانط: ("أطروحة عن فن المركبات"، لايبزيغ: 1666).

18 - **موبيرتويس، بيير لويس مورو دي، MAUPERTUIS، (1698 -1759)**: فيزيائي وفلكي ورياضي فرنسي؛ مكتشف مبدأ العمل الأقل. أدخل فيزياء نيوتن إلى فرنسا وانتُخب لعضوية أكاديمية باريس الملكية. وفي عام 1736 قاد رحلة استكشافية إلى لابلاند لقياس طول الدرجة على طول خط الطول؛ وأكد ادعاء نيوتن أنَّ الأرض كانت كروية مفلطحة. وانتخب في الجمعية الملكية بلندن. وفي عام 1741 زار برلين، وانتخب في الأكاديمية الملكية البروسية. وفي عام 1745 تم تعيينه رئيساً لها.وكان له العديد من الأعداء في برلين، واتُهم بسرقة مبدأ العمل الأقل من لايبنتز؛ دافع عنه أويلر في حين هاجمه فولتير. وفي عام 1753 استقال من رئاسته وغادر برلين، أولاً إلى باريس ثم إلى بازل، حيث أقام مع برنولي، وتوفي في 1759.

19 - ميرن، جان جاك دوتوس دي، **Mairan (1678 - 1771)**: عالم رياضيات فرنسي. درس في تولوز وباريس، حيث استقر عام 1707. وانتخب في الأكاديمية الملكية بباريس عام 1718. وكتب العديد من الأوراق حول الهندسة والفلك والتاريخ الطبيعي والفيزياء. وفي عام 1740، انتخب سكرتيراً دائماً لأكاديمية باريس للعلوم، ولكن تم إعادة تعيينه بعد ثلاث سنوات فقط. وانتخب في الأكاديمية الفرنسية عام 1743. وأخرج مجلة "سكافان"، وراسل كبار العلماء والمفكرين، ومن بينهم والأهم مالبرانش. وأيضاً صادق فولتير وراسله. ومن مؤلفاته: "مقال عن الجليد" (باريس: 1715)؛ "أطروحة حول تقدير القوة الجوية وسلكها" (باريس: 1741)؛ واحتوت مكتبة كانط على ترجمة ألمانية لـ("مقال على الجليد، أو شرح مادي لتكوين الجليد") (لايبزيغ: 1752).

20 - نيوفنتيت، برنارد، **NIEUWENTIJDT، (1654 - 1718)**: عالم رياضيات هولندي. درس العلم الطبيعي والرياضيات (وكذلك القانون والطب). تأثر جداً بديكارت وشارك في لايبنتز - نيوتن وأثار الجدل فيما يتعلق بأصل التفاضل والتكامل. ونشر عدداً من الكتب حول الرياضيات (خاصة في حساب التفاضل والتكامل)؛ نشر أيضاً نقداً لسبينوزا. وأهم أعماله، التي أصبحت من أكثر الكتب مبيعاً في أوروبا، كانت محاولة لإثبات وجود الله بناءً على الاحتكام إلى بنية الطبيعة والظواهر الطبيعية. وتحمل العنوان ("التوظيف الصحيح للتفكير في العالم"، أمستردام: 1715).

21 - هيغنز، كريستين، **Huygens، (1629 - 1695)**: عالم رياضيات هولندي، فلكي، وطبيب. ومخترع ساعة البندول. درس الرياضيات في فرنسا. واكتشف في عام 1655 منهجاً جديداً لطحن العدسات أدى إلى اختراع تلسكوب محسّن جداً، اكتشف من خلاله حلقات زحل (يفترض حتى الآن أنها

كانت أقماراً أو "مقابض"). وأدرك من خلال عمله الفلكي الحا إلى منهج أكثر دقة لقياس الوقت. وباستخدام المبدأ الذي اكتشفه غاليليو والذي يقول: إنّ فترة تذبذب البندول مستقلة عن طوله، اخترع هيغنز ساعة البندول وقدم اختراعه إلى العقارات العامة الهولندية في عام 1657، ونشر تفسير الآلية ومبادئها وتطبيقها في عام 1658. وأسس في عام 1660 المبادئ التي تحكم اصطدام الأجسام المرنة. وانتخب في عام 1663 في الجمعية الملكية في لندن. وقام لويس الرابع عشر بتعيينه كحارس لمكتبة روي عام 1665. وأثناء إقامته في فرنسا، أكمل كتابه "المكتب العظيم"، وفي 1673 "رقاص الساعة". عاد في عام 1681 إلى هولندا، حيث عمل في بناء تلسكوبات أكثر قوة، وطور النظرية الموجة في الضوء. ومعترف به عالميا كواحد من أعظم العقول العلمية في عصره. ومن أعماله الرئيسية: ("مقدمة موجزة عن استخدام الساعات لإثبات خطوط الطول"، لايدن: 1658)؛ و(نظام زحل أو ما يتعلق بأسباب الظواهر المدهشة لزحل وكوكبه القمر الجديد"، هيغو: 1659).

22 - **ويستون، ويليام، Whiston(1667 -1752)**: عالم رياضيات ولاهوتي إنكليزي. درس في كلية كلير، كامبريدج حيث قرأ الرياضيات وعُيّن في زمالة عام 1693. كتاب ويستون الأول، في عام 1696 "نظرية جديدة للأرض"، نشر ست طبعات، وفاز بحفاوة نيوتن ولوك. وجعل نيوتن من ويستون نائبه في كامبريدج، وفي عام 1703 خلف نيوتن في كرسي لوكاسيان للرياضيات. وأثناء وجوده في كامبريدج، نشر ويستون العديد من الأوراق والكتب الهامة حول الرياضيات والفلك واللاهوت. وأكد مقاله 1708 عن "الدساتير الرسولية" أنّ عقيدة الكنيسة البدائية كانت أريانية. وأصبح ابتداع ويستون مشهوراً، وفي عام 1710 حرم من كرسيه وطرد من الجامعة، لكنه استمر في النشر في الرياضيات والفلك واللاهوت. وكان كتابه إحياء المسيحية البدائية محاولة لتبرير أرينيته. وكتب سيرة مهمة عن صموئيل كلارك (1730)

وترجمة مفيدة لجوزيفوس (1737). ومن أعماله الرئيسية: نظرية جديدة للأرض ... حيث الخلق ... الطوفان و ... حريق كما هو منصوص عليه في الكتب المقدسة تكون مقبولة تماماً للعقل والفلسفة. مع ... خطاب يتعلق ... الفسيفساء تاريخ الخلق (لندن: 1696).

# المصادر والمراجع


1) Aristotle, *De caelo*, 279b.
2) Baumeister, *Institutiones Metaphysica*, (1738)
3) Baumgarten, *Metaphysica*, (1739). (3rd edition: 1750).
4) Bayle, *Diaionnaire historique et critique* (Rotterdam: 1695-7& 1702).
5) Borlach of Kosen, *Anfangsgründe der angewandten Mathematik*.
6) Buffon, *Histoire naturelle*, Vol. II. (1740-1804).
7) Burnet, *Telluris theoria sacra*, (1681-9).
8) Burnet, *The Sacred Theory of the Earth*, Vol. I. (1730).
9) Crusius, *Entwurf* (1745), (2nd edition: 1753).
10) Daries, *Elementa metaphysica*, (1754).
11) Derham, *Astro-Theology*, (1715).
12) Descartes, *Meditationes* (1641)
13) Euclid, *Elements*, (1482).
14) Hill, John, *A General Natural History*, (1748-52).
15) Huygens, *Brevis institution*, (1658).
16) Kant, *Living Forces*, (1747).
17) Kant, *Negative Magnitudes*, (1763).
18) Kant, *Critique of Judgement*, (1790).
19) Kant, *Critique of Pure Reason*, (1781/1787).
20) Kant, *Earthquake*, (1756)
21) Kant, *False Subtlety*, (1762).
22) Kant, *Inquiry*, (1764).
23) Kant, *later critique of the physico-theological argument in the Critique of Pure Reason*, (1781/1787).
24) Kant, *Logic*, (1800).
25) Kant, *Motion and Rest*, (1758).
26) Kant, *On Fire*, (1755).

27) Kant, *Physical Geography*, (1802)
28) Kant, *Physical Monadology*, (1756).
29) Kant, *Terrestrial Convulsions*, (1756)
30) Kant, *the Hamburger freyen Urtheilen und Nachrichten*, 1751.
31) Kant, *Universal Natural History*, (1755)
32) Kant, *Allgemeine Naturgeschichte und Theorie des Himmels*, (Königsberg and Leipzig: 1755).
33) Kästner, *the Anfangsgründe der höhern Mechanik*, (Göttingen: 1758).
34) -Lambert, *Kosmologische Briefe über die Einrichtung des Weltbaues*, Augsburg,(1761).
35) Lambert, *on astronomy: Insigniores orbitae cometarum proprie- tates*, Augsburg: (1761).
36) Leibniz, *Méditations sur la connaissance, la verité et les idées*, (1784).
37) Leibniz, *Monadologie*, (1714).
38) Mairan, *Dissertation*, (1741).
39) Mairan, *Lettre à Madame du Chatelet*, (1741).
40) Maupertuis, *Academy of Sciences*, on 15 April (1744).
41) Maupertuis, *Conjectures sur la formation du foetas, Mémoires de l'académie royale des sciences* (Paris: 1744).
42) Maupertuis, *Essais de cosmologie*, (Leyden: 1751).
43) Maupertuis, *Les lois du movement*, (1746).
44) Merkmal, *Logic*, (1800), Introduction, VIII.
45) Milton, *Paradise Lost*, (1667)
46) Monti, Joseph, *Abhandlung vom Schimmel, the Hamburger Magazin*, vol. XIX (1757).
47) Newton, *Opticks*, (1704).
48) Nieuwentijdt, *Het regt Gebruik*, (1715).
49) Pope, *Essay on Man* (1733-4), Epistle, II.
50) Ray, John, *Miscellaneous Discourses*, (1692).
51) Ray, John, *Three Physical-Theological Discourses*, (1693).
52) Ray, *The Wisdom of God*, (1691).
53) Reimarus, *Die vornehmsten Wahrheiten*, (1754).
54) Spinoza, *Ethıca*, (1677).

55) Süssmilch, Johann Peter, *Die göttliche Ordnung*, (2nd edition: 1761-2).
56) **The Oxford Dictionary of Philosophy**, Blackburn, Simon (Ed). Oxford University Press, Oxford New York, 1994.
57) Voltaire, *Candide, ou l'optimisme*. (1759).
58) Voltaire, *Dictionnaire philosophique*, (1764).
59) Whiston, *A New Theory of the Earth*, (1696).
60) Wolff, *Philosophia prima*, (1730).
61) Wolff, *Philosophia rationalis*, (1728).
62) Wolff, *Theologia naturalis*, Volume II, (1736-7).
63) Wolff, *Vernünftige Gedanken von der Welt*, (1720).
64) Wright, *An Original Theory*, (1750).

ويناقش الكتاب الراهن الأدلة التي قدمها الفلاسفة لإثبات وجود الله، عـ
ثلاثة أقسام، توضح رفض كانط للأدلة النظرية على وجود الله في أنماطها
الثلاثة: وهي الدليل الأنطولوجي أو (الوجودي) القائم على فكرة الكمال،
والدليل الكوني (الكوزمولوجي) القائم على الإمكان، وبيّن كانط أنَّ هذا
الدليل هو الدليل الأنطولوجي ذاته، وكذلك الدليل الفيزيائي اللاهوتي
المستند على الشواهد من نظام الكون، فانتهى إلى استحالة وجود دليل
نظري صحيح على إثبات وجود الله. وأوضح أنَّ النظام الذي يلاحظه
الإنسان في الأشياء الممكنة لا يمكنه أن يدفع الإنسان إلا إلى استنتاج وجود
شيء منظم ممكن فحسب وليس إلهاً. ومن هنا فإنَّ العودة إلى الدليل
الكوزمولوجي هي فقط لسد الفجوة بين المنظم الممكن المحض الذي يبين
الدليل الفيزيائي اللاهوتي وجوده، والكائن الذي ليس كمثله شيء، وهو
الله. وبما أنَّ الدليل الأنطولوجي باطل، فكذلك الكوزمولوجي، والفيزيائي
اللاهوتي والذي يعيدنا من جديد إلى الدليل الأنطولوجي.

